عبد الوهاب مطاوع

رسائل محترقة

دار الشروق



رسائل محترقة



عبد الوهاب مطاوع

رسائل محترقة

دار الشروق

الطبعـة الأولــى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م



© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣
فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

رقصة الزفاف !

كدت أعرض عن نشر هذه الرسالة واكتفى بالرد عليها فى باب الردود الخاصة لولا أن استوقفتنى فى سطورها الأخيرة اشارة إلى صورة مرفقة مع الرسالة . . ثم إلى خطاب آخر منفصل فما أن مددت يدى إلى الخطاب المرفق وقرأته . . ثم امسكت بالصورة وتفحصتها . . حتى وجدتنى أقرر نشر الرسالة الأصلية . . والخطاب المرفق معها لأنه يطلعنا على جانب آخر من جوانب الحياة يمس القلب ويثير التأمل !

تقول كلمات الرسالة الأصلية :

أنا سيدة فى السادسة والثلاثين من عمرى كان أبى يشغل مركزا مرموقا وتزوجت وأنا طالبة بالسنة الثانية الثانوية وعمرى لا يزيد على ١٦ عاما من شاب يعمل بنفس السلك الذى يعمل به أبى وحملت بعد شهور وانجبت طفلا جميلا ثم نشبت خلافات عديدة بينى وبين زوجى وساهم صغر سنى . . مع صغر سن زوجى فى عجزنا عن احتوائها . . فتم الانفصال بيننا وتنازلت عن كل حقوقى وعدت حاملة اللقب البغيض إلى بيت أبى وعمرى ١٩ سنة فواصلت دراستى الثانوية وحصلت على شهادتها والتحقت بكلية التجارة . . ورفض أبى أن أعمل بعد تخرجى لأتفرغ لرعاية ابنى ، واستجبت لرغبته بالرغم من تقصير والد ابنى المادى والأدبى

تجاه ابنه فى ذلك الوقت ، ومضت حياتى على هذا المنوال إلى أن اعترضت حياتنا محنة مفاجئة حين انهار البيت الذى كنا نقيم فيه فى ضاحيه مصر الجديدة فى حادث نشرت عنه الصحف وفقدنا مأوانا فجأة وظللنا عامين نعيش فى الشقق المفروشة . . وتحت ضغط هذه الظروف وافق أبى على أن أخرج للعمل فعملت فى شركة استثمارية واقبلت على العمل بحماس وترقيت فى وظائفها إلى أن أصبحت رئيسة قسم ، وخلال هذه السنوات اشترى أبى شقة تمليك ودفع مقدمها من مال يخصنى . . ثم اشتدت عليه الأزمة النفسية مما عاناه من جحود البعض وتنكرهم له خلال محنته . . فأسلم الروح ذات يوم ورحل عنا مودعا بدموعى . . ولم يخلف لى سوى شهادتى ورصيد حبه الهائل فى قلبى وكانت صدمة هائلة لى ولأمى الحبيبة . . ولطفلى الذى لم يعرف لـه فـى طفولته أبا سواه . . وتقبلنا واقعنا الجديد . . وراحـت أمـى تبيع قطـع مـجوهراتها الواحدة بعد الأخرى لكى نستكمل مطالب المعيشة . . ولم تحتمل متاعب الحياة طويلا فرحلت عنها وخلا البيت إلا منى ومن طفلى الوحيد .

واشتدت معاناتى لمتاعب الوحدة وفقد الأبوين والزوج . . وباعدت مشاكل الحياة بينى وبين اخوتى . . فواجهت الدنيا وحيدة مع ابنى . . وثقلت علىَّ مطالب الحياة ونفقات التعليم . . ومشاكل اللقب البغيض الذى حملته . . ، وتقدم لى أكثر من شخص يطلبون يدى للزواج . . لكن مشروعات الزواج كانت تتعثر دائما إلى أن جاء إلى الشركة التى أعمل بها ذات يوم مهندس متوسط العمر لعمل يخصه . . فرآنى ورأيته وتكرر حضوره للشركة بعد ذلك بأسباب واهية ، ثم فوجئت بمحامى الشركة

يفاتحنى فى رغبة صديقه المهندس فى الزواج منى . . وعرفت منه أنه فى الخامسة والأربعين من عمره وأنه تزوج صغيرا مثلى وأن زوجته الأولى متوفاة وله منها أبناء كبار ثم تزوج مند فترة من أخرى لكنه لم يجد معها سعادته فانفصل عنها وعلى وشك أن يطلقها ووافقت على أن التقى معه فى العمل . . فوعدنى بالسعادة . . وبأشياء كثيرة فقلت له أن أهم من فى حياتى هو ابنى الوحيد . . وهو شاب مهذب ومتدين ولا تفوته صلاة . . ولا يجد راحته مع زوجة ابيه اذا اضطر للاقامة معه . . لهذا فإن شرطى الوحيد هو ألا أتخلى عنه ، فأكد لى أنه يرحب به بيننا فوافقت على الزواج منه وطلبت منه أن يخطبنى من شقيقى الأكبر رغم أنه ـ سامحه الله ـ لم يزرنى منذ وفاة أمنا فتوجه إلى شقيقى وتم الاتفاق على كل شىء . . وقرر زوجى أن يحتفل بزفافنا فى فندق كبير . وتعرف بابنى فوجده شابا رقيقا مهذبا متفتحا لحب الناس ، ودهش لروحه العالية وترحيبه به . . ومودته البادية له رغم حساسية الموقف ، وجاء يوم الزفاف فحضرت أسرة زوجى وأبناؤه الثلاثة وحضر أشقائى . . وارتدى ابنى الحبيب بدلة بيضاء جميلة وبابيون أحمر ولأنى وزوجى متشابهان تقريبا فى ظروف حياتنا . . فقد كنا متلهفين معا على السعادة فاشترى لى زوجى فستانا جميلا للزفاف وارتدى بدلة جميلة . . وتم زفافنا فى الفندق كما يزف عروسان شابان يتزوجان للمرة الأولى . . وعزفت الموسيقى فدعتنا المطربة للنهوض لكى نرقص معا كما يفعل الشبان . . فلم يتردد زوجى . . ولم أتردد أنا أيضا وقمت اراقصه بين تصفيق الحاضرين الذين التفوا حولنا فى دائرة . . فإذا بى ألمح حبة قلبى ووحيدى بين الملتفين حولنا وهو يصفق لنا بحرارة وحماس وابتسامته تملأ

وجهه وهو واقف بين اصدقائه الذين دعاهم للزفاف . وكأنه يقول لى : اسعدى يا أمى فأنا أريدك سعيدة فلم أتمالك دموعى . . ، وأسرعت امسحها وأنا ادفن رأسى فى كتف زوجى ثم رفعت رأسى ولوحت له بيدى ولوح لى بيده وانتهى الحفل . . وبدأت حياتى الجديدة مع زوجى الذى عوضنى به ربى عن وحدتى الطويلة . . واستجبت لرغبته فى الإنجاب رغم أن له أولادا ولى ابنًا هو قرة عينى . . وحملت . . وبلغت شهورى الأخيرة من الحمل فإذا برياح الخلاف تهب على بيتنا الجديد لأسباب لا تستحق . . وإذا بزوجى يهجر مسكنى بالعاصمة ليقيم مع ابنائه الذين يقيمون فى مدينة أخرى قريبة من القاهرة . . ، وجاء موعد الولادة ووجدت نفسى وحيدة ودخلت غرفة العمليات لأضع طفلتى الجديدة بعملية قيصرية . . وزوجى غائب عنى . . وغادرت المستشفى إلى شقتى . . وتركت عملى وفقدت راتبى الكبير ولم يعد لى مورد آخر وتفرغت لرعاية طفلتى وزوجى ما زال غائبا ، وسعى بيننا الساعون فى الخير فوضع زوجى شروطا للعودة . . منها بعض المسائل المادية استطيع أن اتفاهم مع زوجى فيها ، فهو إنسان كريم وميسور ولابد أنه سيقدر ظروفى . . ولن أتردد فى تلبية ما يرضيه . أما الشرط الآخر فهو أن اتخلى عن ابنى وأن أدعه يذهب للحياة مع ابيه وزوجته فى مدينة أخرى . . وأن أترك شقتى فى القاهرة وأذهب لأقيم معه فى بيت الأسرة بمدينة فى الأقاليم بعيدة عن بيت أولاده الذين ترعاهم مربية وبعيدا عن ابنى الذى ينبغى أن يغادر القاهرة إلى مدينة ابيه . . وهذا هو ما لا اقدر عليه أو استطيعه . اننى يا سيدى على استعداد لأن انفذ كل مطالب زوجى . . وهو والد طفلتى الصغيرة التى

لا ذنب لها فى مجريات الأمور لكنى لا أستطيع أن أتخلى عن ابنى الذى أصبح الآن طالبا بكلية الطب وعمره ١٩ سنة والذى يحترم زوجى ويحبه ويحب كل الناس ويتقبل كل ظروف الحياة بصدر رحب ، لأطلب منه أن يترك كليته فى القاهرة واصدقاءه وحياته ليعيش حيث لا يجد راحته فى بيت أبيه فى مدينة أخرى . وقد مضت الآن شهور طويلة . . وزوجى ما زال مصرا على موقفه وعازفا على العودة وأنا أريده لابنته البريئة ولى واريدك أن توجه إليه كلمة تخاطب فيها قلبه وضميره كرجل يعرف ربه وأن تحكم بيننا بالعدل . . ومرفق لك خطاب من ابنى الحبيب كتبه لك حين عرف أنى أكتب لك عن مشكلتى ومرفق لك أيضا بعض الصور التى تسجل زفافنا . . ومن بينها صورة ابنى ببدلته البيضاء وابتسامته العريضة وهو يصفق لى وأنا أراقص زوجى فى حفل الزفاف . . لكى تحكم أنت بقلبك وعقلك وضميرك . . هل مثل هذا الشاب الطيب يجوز أن اتخلى عنه؟

انتهت رسالة الأم . . أما رسالة الابن الشاب التى ارفقتها بخطابها فتقول كلماتها فى صدق مؤثر :

بسم الله الرحمن الرحيم

فى البداية أود أن أعبر لك عن اعجابى الشديد ببريدك الأسبوعى وما تقدمه فيه من حلول وآراء تساعد أصحاب المحن وتخفف عن آلامهم . . ويكفى أنه ينطبق عليك الحديث الشريف الذى يقول : « إن الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » وأنا لن أطيل عليك ولن أصف لك مشاعرى أو الأحاسيس التى تجيش فى صدرى لأنى اعتقد أنك ستشعر

بها مما ترويه لك والدتى ! لكنى فقط أريد أن أوضح لك موقفى حتى تكون على بينة من أمرك عندما تبدى رأيك فى مشكلتها ، فأنا فى البداية والنهاية لا أريد إلا سعادة والدتى ووالدى لأن ذلك يريحنى أما عن نفسى فبعون الله الذى لا يتخلى عن أحد وتوفيقه استطيع أن أدبر أمرى . . ولا تتصور مدى سعادتى عندما أرى أبى مستقرا فى حياته بالرغم من أى شىء يخصنى لأنى حريص على ألا أسبب له أية مشاكل. أما والدتى . . فتستطيع هى أن تقص عليك كيف حاولت وكم طلبت منها وشجعتها مرارا على أن تتزوج حرصا منى على راحتها وسعادتها وتحملت فى سبيل ذلك الكثير من الطعنات ، أما الآن وفى ظروف هذه المشكلة فإننى لا اعترض اطلاقا على سفرها للعيش مع زوجها فى بلدته ففى ذلك قد يكون استقرارها وسعادتها وبالتالى سعادتى . . أما أنا فلسوف يوفقنى الله لما يحبه ويرضاه سواء فى العيش فى القاهرة أو خارجها وسوف يعيننى الله على أمرى إذا أراد لى العيش خارجها ولقد كنت أريد أن اتحدث معك عن شروخ كثيرة داخل نفسى وانكسارات عديدة فى قلبى لولا عناية الله لما أنجانى منها لكنى لا أريد أن اشغلك عن الموضوع المهم . . وارجو أن يوفقك الله إلى حله وإبداء الرأى السديد فيه بعون من الله ولك الأجر الكبير من رب العالمين والشكر الجزيل منا والسلام عليكم ورحمة الله .

□ **وأبدأ بالرد على كاتبة الرسالة الأولى فأقول** : لا شأن لى بموضوع الخلاف المادى ما دمت تستطيعين معالجته مع زوجك ، لهذا فأنى سأركز حديثى على شرطه الآخر بانتقال ابنك إلى بيت ابيه فى مدينة أخرى خارج القاهرة وانتقالك للحياة معه فى بلدته ، ورأيى أن من حق زوجك أن

تقيمى معه حيث يريد أن يستقر ويعيش ، لكنه ليس من حقه بكل تأكيد أن يفرض على ابنك الانتقال إلى بيت ابيه حيث لا يستشعر راحته واستقراره ومما يضطره للانتقال من كليته إلى كلية مماثلة فى مدينة ابيه ولمفارقة زملائه واصدقائه وأقاربه وعالمه الخاص لغير ما ضروره ملحة . . ان ابنك له مسكن فى القاهرة . . ولا يمانع فى انتقالك للحياة مع زوجك فى بلدته تغليبا لسعادتك على راحته الشخصية واستقراره النفسى . وأبوه وان كان لا يعارض فى ضمه إليه إلا أنه كان يبدو لى من رسالتك لا يطالب بذلك ولا يصر عليه . . فلماذا نشقُّ نحن عليه وهو شاب يؤثر الآخرين على نفسه ومستعد لأن يفعل كل ما يرضيك ويرضى اباه وزوجه . . ولو عانى من جراء ذلك الكثير .

يا سيدتى اتصلى بزوجك واعرضى عليه قبولك لأن تقيمى معه حيث يشاء لتنشأ طفلتكما بينكما ، على أن يبقى ابنك فى مسكنه وكليته وفى مجتمعه الصغير . . وبحيث تشرفين على حياته وراحته وتعودين لرعايته كل أسبوع أو أسبوعين . . وبحيث تستطيعين الاطمئنان عليه تليفونيا كل يوم . . وتفاهمى مع زوجك على كل أسباب الخلافات الأخرى . . واعيدى بناء الثقة والتفاهم بينكما . . فبعودتهما سوف تحل كل المشاكل . . وسوف يبدى زوجك تفهما إنسانيا أكبر لوضع ابنك . . وهو الأب الذى عرف مرارة حرمان أبنائه من أمهم . . ولست أظن إلا أنه سوف يبادل ابنك النبيل هذا تفهما بتفهم وإيثارا بايثار ، خاصة إذا تنبه إلى أن هذه الروح المضحية المؤثرة لسعادة الأم مع زوجها إنما هى صادرة عن ابن فى . . سن الشباب . وليس عن ابنةً قد تكون بطبيعتها الأنثوية أكثر تقبلا لفكرة زواج

الأم وأكثر طلبا لسعادتها فى الزواج ، ولن تغيب عنه وهو الرجل الذى يعرف حقوق ربه دقة الموقف الذى يجد فيه ابنك نفسه حين يكتب لى خطابا يناشدنى فيه السعى بالصلح بينكما مبديا استعداده لقبول ما يراه زوجك . . ولعله يتذكر ان كان قد نسى صورته المؤثرة وهو واقف باسما يصفق لكما وأنت تراقصين زوجك بفستان الزفاف . . فلا يطالبه بأكثر مما تطيقه الطبيعة البشرية ويصر على مطلبه بانتقاله إلى كفالة ابيه لأنه لن يجد استقراره معه . . ولأن الراحمين يرحمهم الرحمن وليس العكس ! ولقد حرَّم الله الظلم على نفسه . . فكيف نرضاه نحن لانفسنا ؟ إننى اعرف أن حياة ابنك الشاب وحيدا فى مسكنك بالقاهرة فى هذه السن ليس هو الوضع الأمثل له . . لكن للضرورة أحكامها . . ، وابنك المهذب المؤمن بربه المتقبل لاوضاع حياته بنفس راضية والمضحى من أجل غيره والمتفتح للحياة وللناس رغم شروخه وانكسارات قلبه التى لا يزعج بها أحدا . ابنك هذا يا سيدتى . . لست أخشى عليه من الحياة وحيدا لأن الله راعيه وحافظه . . ولأن قيمه الدينية والخلقية سوف تحميه من كل الشرور والمفاسد وسوف يشق طريقه بنجاح وسيكون له برجاحة عقله وواقعيته ومغالبته لنفسه شأنٌ فى الحياة وأى شأن إن شاء الله . . فلا تترددى فى ابلاغ زوجك باستعدادك لتلبية كل مطالبه بشرط بقاء ابنك فى سكنه . . ولن يطول الوقت حتى تستقر الأوضاع ويتيح لك زوجك العودة لرعايته فى فترات شديدة التقارب . . وسوف يحثك هو بإحساس الزوج والأب العادل على أداء هذا الواجب كل حين .

هذا عنك يا سيدتى أما عن ابنك فلست أملك إلا أن أقول له : إننى أحس بكل ما تحس به وأتفهمه تماما . . واعجابى بنبلك وبتقبلك لكل ما تأتى به الأنواء بلا لوم لأحد ولا سخط عليه . . لا حدود له ولا نهاية لهذا فانى احييك . وأشكرك على كلماتك الطيبة . . واعتذر لك عما لا حيلة لك فيه !

الرجـل القـــوى

لم أكن حتى سنوات أتابع بريدك الأسبوعى . . . . ثم بدأت اقرؤه متندرا على ضعف هؤلاء الأشخاص الذين يشكون من هموم عابرة لا يليق بالأقوياء أن يشكوا منها . . أو أن يعرضوها تحت أنظار آلاف القراء لأنى أؤمن أن الرجل القوى لا يصح له أن يشكو . . أو يطلب عطف الآخرين . . وإنما عليه أن يصارع الناس والحياة ويظهر دائما بمظهر القوى الذى لا يضعف .

وكانت نشأتى تؤهلنى للإيمان بهذه النظرة تجاه الحياة فقد كان أبى موظفًا صغيرا بمجلس مدينة صغيرة بالأقاليم ونعيش فى بيت كبير مع شقيقين لأبى متزوجين ولكل منهما زوجة وأولاد ، وكنا نحن خمسة أخوة ولكل عم ٤ أولاد فكنا ١٣ ولدا وبنتا فى أعمار متقاربة نعيش فى بيت واحد من دورين ونتناول طعامنا ـ من مطبخ واحد تتناوب الخدمة فيه أمى وزوجتا عميَّ فتعد إحداهن بالتناوب الطعام للأسرة كلها وتقدمه للأبناء بغير تفرقه . . فإذا تأخر احدنا عن موعد الغداء لم يجد ما يأكله وكنت إذا لم أذهب إلى المطبخ قبل الآخرين فقد لا أجد ما أكله . . وان لم أسبق البعض فقد يظفرون قبلى بما لذ وطاب . وانتقلت معى هذه الطبيعة إلى المدرسة . . فتعلمت أن أخذ ما أريد بالحيلة أو بالقوة . . أو بالتفوق . .

وقد حدث أن شكوت لابى من أن ابن عمى الأكبر منى قد ضربنى فلم يزد على أن قال أننا أخوة ولا فرق بيننا ثم لم يفعل شيئا فتعلمت ألا أشكو لاحد وأن انتقم ممن يؤذينى بنفسى ، وبكل الطرق الممكنة . . وساعدنى بنيانى المتين على فرض سطوتى على إخوتى وأبناء عمى واصدقاء الشارع ، لكنى لم أنجح أبدا فى أن يكون لى أصدقاء دائمون فى مراحل عمرى كإخوتى وابناء عمى . فقد كانت لى دائما صداقات مؤقتة ترتبط بفترة معينة أو رياضة أمارسها ثم تنتهى سريعا من جانب الآخرين وبلا أى محاولة من جانبى لاستعادتها أو المحافظة عليها ، وكان أبى يرقبنى بقلق ، وقال لى ذات مرة أنه ليس قلقًا على أحد من إخوتى سواى لأنى كما قال فى عراك دائم مع الدنيا والناس ولن تكون رحلتى فى الحياة آمنة ، ونصحنى كثيرا بأن أحب الناس واتعاون معهم . ورغم أنى اعتبرت الحب أيضا من أنواع الضعف التى لا تليق بى فإننى وقعت فى غرام زميلة لى بالكلية وبذلت المستحيل لكى استميلها إلىّ بلا فائدة وغاظنى أن هناك زميلا لنا ترتاح إليه ويجلسان معا كثيرا . . فانتظرته خارج الكلية وتحرشت به ثم ضربته علقة موجعة . . وأمضيت ليلة فى قسم الشرطة حتى جاء أبى من البلدة . . واستعطف ضابط الشرطة ألا يضيع مستقبلى بعمل محضر رسمى ، وبكى أمام والد الشاب حتى تنازل عن المحضر ، وأخرجنى وسار أمامى صامتا مهموما . . ثم توقف فجأة فى الطريق واستدار نحوى وهوى بكفه على وجهى فتطاير الشرر من عينى لكنى سكت احتراما له ورغم ذلك فقد اثمرت هذه العلقة تحولا غريبا فى مشاعر زميلتى فقد بدأت تستجيب لمحاولاتى للتقرب منها . . وانتهى الأمر بأن تقدمت لخطبتها بعد تخرجنا

وفرضتُ هذه الخطبة على أبى رغم أنى كنت قد وعدت ابنة عمى بخطبتها وكانت الأسرة كلها تعلم ذلك لكن اصرارى على تفضيل زميلتى أدى إلى نشوء خلافات عائلية انتهت إلى استقلال عمى بمسكن خاص له بعيدا عن بيت الأسرة.. وإلى اتهامى من الجميع بأنى أفسدت ما بين الشقيقين بما اسموه نذالتى لكنى لم اهتم كثيرا بذلك بل واعتبرت ما حدث انتصارا لى.

وعينت مع خطيبتى فى هيئة مرموقة يحلم الشباب بالعمل فيها بفضل والد خطيبتى الذى كان من كبار مديريها واضطر أبى لبيع قطعة الأرض التى يملكها ليقدم لى المهر والشبكة اللذين طلبتهما وحرصت على أن يليقا بمستوى الأسرة التى صاهرتها وطيبت خاطر أبى عندما قال لى أننى ظلمت أخوتى بإصرارى على هذا الزواج الباهظ بالنسبة لنا فوعدته بأن أساعده فى زواج اخوتى بعد أن احقق نجاحى قريبا وتزوجت وواصلت حياتى بنفس منهجى . . وحددت طريقى دائما فى أن اتقرب من «الرأس» الكبير فى أى موقع أعمل به واكافح حتى أنال ثقته ، فإذا ما تمكنت منه نفضت يدى من الجميع وركزت جهدى واهتمامى عليه ، فأمضيت أيضا سنوات العمل الأولى بلا صداقات حقيقية مع الزملاء ولولا علاقاتى مع أسرة زوجتى وبعض أقاربى لما زرنا أحدا أو زارنا أحد . . واستاءت زوجتى من كثرة عداواتى فى العمل . . ومن كثرة ما سمعته من شكاوى الآخرين منى ، وحاولت أن تحسن صورتى أمام الزملاء وهى تقسم لهم بأنى لست بهذا السوء الذى يتصورونني به . لكن عيبى أننى لا اهتم بالرد على ما يقال عنى ! .

فلم تنجح كثيرا فى تغيير مواقف الزملاء منى . . ولم أهتم أنا بذلك

واكتفيت بأن أعاملها واسرتها معاملة طيبة وعشنا معا حياة زوجية هادئة وانجبنا ولدا وبنتين وحاولت اسعادهم بقدر طاقتى ثم ألححت عليها فى أن تحدث اباها فى ترشيحى للعمل بأحد مكاتب الهيئة المنتشرة فى بعض عواصم العالم لكى نرفع مستوى حياتنا . . ونحقق أحلامنا فى تربية أطفالنا تربية راقية ونكوّن لأنفسنا ثروة تحمينا من غدر الزمان فتم نقلى للعمل فى فرع الهيئة بإحدى العواصم قبل دورى الطبيعى بـ ٣ أعوام . . واعتبرنى من كان مرشحا للسفر مغتصبا حقه واتهمنى اتهامات سخيفة فتماسكنا بالأيدى وكاد سفرى يلغى لولا توسلى لمديرى وجهود صهرى وسافرنا وبدأت مرحلة جديدة من حياتى وبعد عدة شهور أراد شقيقى أن يعقد قرانه فكتب إلىَّ أبى يستنجزنى وعدى بالمساعدة فى زواجه ، فرددت عليه بأنى لم استطع بعد تكوين أية مدخرات وارسلت له مبلغا بسيطا فأحزنه ذلك ورد على بخطاب يتهمنى فيه بالأنانية والعقوق .

ومضت رغم ذلك سنوات العمل فى الخارج سعيدة ونجحت فى تكوين مدخرات كبيرة وشراء مستلزمات بيت عصرى وعدنا لمصر فأجَّرنا شقة أكبر وفرشتها بالأثاث الفاخر وبدأت أعيش حياة اجتماعية جديدة ، واسعى لمصادقة الأشخاص المهمين ودعوتهم للعشاء فى بيتى ، فى حين تباعدت زياراتى لاسرتى . . وانقطعت تماما كل صلاتى بزملاء عملى قبل السفر وكان قانون الهيئة لا يسمح بعملى فى الخارج من جديد قبل ٤ سنوات أخرى فسعيت عن طريق الأصدقاء الجدد واصهارى للحصول على عمل فى هيئة دولية وتم اختيارى فعلا بفضلهم للعمل فى نفس العاصمة التى أقمت فيها ٤ سنوات فعدت إليها وتسلمت عملى رئيسا

لأحد مكاتبها وكان نظام العمل بهذه الهيئة يقوم على نظام العقود المحددة المدة لعام أو عامين حسب الحاجة ، وكان معى فى هذا المكتب مساعدان مصريان يعملان بعقود محددة المدة ويقيمان مع أسرتيهما فى هذه العاصمة منذ سنوات ، فتعاونت معهما فى البداية وتصادقت أسرتى مع أسرتيهما لكن ذلك لم يمنعنى من أن أكون حازما معهما فى العمل بل ولا من عقابهما كلما تطلب الأمر ذلك . . حتى ضاقا بى وخيل إلىَّ أنهما يتآمران ضدى فبيت النية على التخلص منهما فى أقرب فرصة ، واستمرت العلاقات العائلية بيننا وأنا أبذل كل جهدى فى عملى وفى نيل ثقة رئيس الادارة التى نتبعها حتى جاءت اللحظة المناسبة وانتهى عقد أحدهما . . وسألنى المدير عن رأيى فيه فأكدت له عدم صلاحيته فرفض تجديد عقده وأثنى على اخلاصى للعمل الذى دفعنى لاصدار حكم محايد على زميل رغم كونه مصريا مثلى ! ونزل خبر الاستغناء عن هذا الزميل على أسرته كوقع الصاعقة فقد كان أطفاله فى المدارس وليست أمامه فرصة أخرى قريبة للعمل وعدت إلى البيت فوجدت زوجته وأولاده يبكون ويتهموننى بأننى وراء فصله فدافعت عن نفسى قدر استطاعتى وغادرت زوجته البيت باكية وهى تدعو الله علىَّ أمام زوجتى وأولادى وتشاءمت زوجتى وبكت فنهرتها . . فشتمتنى فصفعتها صفعة احتاجت لأن تتردد على طبيب الأذن بعدها لمدة شهر لعلاجها واضطررت أنا لشراء خاتم سوليتير ثمين لها لاسترضائها خوفا من ان تشكونى لابيها ، أما الزميل الأخر فقد ضيقت عليه الخناق حتى ضاق فدخل مكتبى ذات يوم ثائرا وحاول الاعتداء علىَّ فاستعنت بقوتى للدفاع عن نفسى والسيطرة عليه وأشهدت عليه الزملاء

فانتهى الأمر بفصله جزاء لرعونته ، ورغم خطئه الواضح فقد تكرر نفس المشهد السخيف فى بيتى وجاءت زوجته لا لتبكى وإنما لتتوعدنى بانتقام السماء منى وتنصرف داعية علىَّ ، وضقت بهذه المشاكل فطلبت نقلى إلى مدينة أخرى فنقلت إلى عاصمة أفريقية واحتفظت بمسكنى فى المدينة الأوروبية وعشت فيها ٤ سنوات أخرى شهدت أيضا بعض المشاكل المماثلة مع الموظفين والمساعدين حتى تعلمت ألا أزور احدا من الزملاء وألا يزورنى أحد خاصة ممن يعملون معى . وانتهت اعارتى للعاصمة الأفريقية فعدت للعاصمة الأوروبية وكنت خلالها أسافر كل عام إلى مصر لقضاء الأجازة الصيفية وزيارة أهلى وفى احدى هذه الزيارات توفى أبى وحزنت عليه كثيرا ولمت نفسى طويلا لأنى انشغلت عنه كل تلك السنوات الماضية ، وواسيت أمى وأخوتى ثم اشتريت لنفسى شقة جديدة وشاليهًا على البحيرات المرة وعدت إلى مقر عملى وواصلت عملى وكفاحى لتحقيق أهدافى وأصبحت مديرا لنفس الادارة . التى بدأت عملى فيها واكتشفت أن حياتى الماضية كلها كانت عملا فى عمل وأنى بلا أصدقاء تقريبا .

وتمر علىَّ معظم الأمسيات . . وأنا حبيس بيتى اتفرج على التلفزيون أو أعمل فى بيتى . . وخطر لى أن اسأل عن الزميلين القديمين اللذين كنت اصادقهما فى بداية عملى فعرفت أن الزميل الأول الذى لم يتجدد عقده قد ساءت احواله بعد الاستغناء عنه . . فظل عاطلا لفترة طويلة ، واضطرت زوجته للعمل فى فندق صغير عاملة نظافة ، واضطر هو للعمل فى محل تجارى عاملا، ثم عمل سائقا لسيارة نصف نقل عدة سنوات ثم اشترى

سيارة أصبح يعمل عليها بالطلب ، وأنه قد تديَّن وأصبح من المحافظين على التردد على مسجد المدينة الذى لم أزره سوى مرة واحدة فى بداية عملى فيها ، أما الزميل الأخر الذى فصل فقد هاجر إلى دولة أخرى وما زال على صلة حميمة بصديقة القديم . فركزت كل مشاعرى على أولادى ، وحاولت أن استعيض بهم عن الصداقة والأصدقاء وكانت ابنتاى تشبعان حاجتى العاطفية للإئتناس بالآخرين أما ابنى الوحيد فقد كان دائما فاتر المشاعر تجاهى رغم شدة اقبالى عليه ورغم محاولاتى الدائمة لاستمالته وابهاره وابهاجه فقد كان دائما مكتئبا بلا سبب مفهوم ، ويحن حنينا غريبا إلى أقاربه فى مصر ولا يسافر معنا بعد انتهاء الأجازة إلا بمعركة ، فإذا عدنا أمضى الأيام الأولى بعد العودة حزينا لا يكلم أحدا ويخصنى أنا بالذات بخصامه وابتعاده عنى ، وفسرت ذلك بعدم تأقلمه مع زملاء المدرسة ، لكن الأمر زاد حتى بدأت ألاحظ عليه قلة نشاطه ، ثم بدأت درجاته المدرسية تتدهور واستدعتنى المدرسة لتبلغنى بانخفاض مستواه الدراسى ، وتنصحنى بعرضه على الطبيب ، فعرضته على أحد الأطباء فقام بفصحه ثم طلب ادخاله المستشفى لاجراء بعض الفحوص له وانزعجت زوجتى لكنى طمأنتها بأن هذا اجراء عادى فى هذه البلاد ، وادخلناه المستشفى وأقامت معه أمه عدة أيام ، فكأنى به قد ادخلناه بيت التيه الذى لا مخرج منه ، فمنذ ذلك اليوم يا سيدى وهو لا يخرج من فحوص إلا ليبدأ فحوصا أخرى ، والأطباء هنا لا يراعون المشاعر العاطفية ويصدمونك بالحقيقة مهما كانت قاسية ، وقد قال لى كبيرهم فى هدوء أن هناك شكا فى كذا ، وأنه سوف يخضع للفحوص والعلاج ثم لاجراء عدة عمليات جراحية

متتالية ، وإن الأمل قائم لكنه ليس مؤكدا . . و . . ولم اسمع بقية حديثه لأنى رحت فى اغماءة انشغل هو ومساعدوه فى افاقتى منها ، وعدت لبيتى وقد تضاعف عمرى فى لحظة واحدة ، وحاولت كل جهدى أن أخفف عن زوجتى وطفلتيَ الأمر ، ولكن قلب الأم لم يدع لى فرصة لخداعها فانهارت باكية ، ووجدت نفسى ابكى معها لأول مرة منذ صباى .

وتغيرت حياتى تماما منذ ذلك اليوم . . وكرهت العمل الذى حاربت كثيرين لكى اتفوق عليهم فيه ، وساءلت نفسى : ما قيمة المركز والنقود والسيارة الفارهة إذا كان قلب الإنسان ينزف دما ؟ وتذكرت مسجد المدينة الذى لم أزره منذ عشر سنوات فسعيت إليه وصليت فيه ورطبت دموعى ـ التى كنت أعدها قبل ذلك ضعفا لا يليق بالرجال ـ سجاد أرضه ، ورأيت زميلى القديم فى صلاة الجمعة ذات مرة فلاحظت ملابسه البسيطة ولحيته الجديدة وتقدمت منه وصافحته باسما فصافحنى ثم استدار وانصرف قبل أن اتمكن من محادثته، وراقبته وهو يركب سيارته نصف النقل ويبدو هادئ البال راضيا ، وجاء موعد الجراحة الأولى لابنى ونزف قلبى دما وأنا أودعه ليبيت فى المستشفى ليلتها وحيدا وقد بدا وعمره ١٤ عاما فى حجم طفل صغير، وجاء الصباح وأنا لم أنم لحظة واحدة فذهبنا إلى المستشفى وجلسنا فى غرفة الانتظار أنا وزوجتى وأنا لا يستقر لى مقام، واللحظات تمضى كأنها دهور حتى فوجئت بمن يتقدم منى على استحياء ويقول لى بالعربية «وإذا مرضت فهو يشفين»، إن شاء الله بالشفاء فلا تخف ثم يجلس على أحد المقاعد بجوار زوجتى ويخرج مصحفه ويتمتم بآياته طويلا وأنا ارقبه من بين دموعى،انه الزميل القديم علم بجراحة ابنى فتناسى كل ما سببته له

من آلام وجاء يشد من أزرى ولم يفارقنا إلا بعد عودة إبنى لحجرته عارضا علينا خدماته ومعطلا عمله ومصالحه ليؤدى لنا أى خدمة ، وحين ودعنى على باب الغرفة وجدت لسانى ينطق ويطلب منه أن يصفح عنى ، فإذا به يقول لى أنه سامحنى منذ زمن طويل وكتب لصديقه المهاجر إلى دولة مجاورة ليصفح عنى هو الآخر بعد أن علم بالقصة وأنه يدعو لابنى فى صلاته فشكرته من أعماقى .

ومضت الأيام بعدها ثقيلة وخرج ابنى إلى البيت وبدأنا نتردد على الطبيب كل أسبوع . . وعاد للمدرسة مع التوصية الطبية بعدم مشاركته فى أى نشاط رياضى أو بدنى ، وبدأت اقرأ صفحتك باهتمام وبإحساس جديد بالتعاطف مع هؤلاء المهمومين الذين ضاقت صدورهم بهمومهم . فكتبوا إليك بها . . بل ووجدت نفسى أذرف الدموع أسفا للأب الذى تعانى طفلته من كليتها والذى نشرت رسالته منذ أكثر من عام بعنوان الشعر الذهبى وتعاطفا مع الأم التى أصرت على أن تذهب طفلتها للمدرسة وتواجه الحياة معتمدة على نفسها رغم مرضها المؤلم وأصبحت عيناى تدمعان مع كل هم إنسانى يعرضه صاحبه ، وأعرف معه أشياء جديدة لم أكن أعرفها عن الحياة التى كنت اتصور أن الفوز فيها للقوى الذى لا يضعف وحده .

ثم صحوت ذات صباح من نومى وغادرت سريرى فإذا بى أفقد توازنى واعود للاستلقاء على السرير ، وتكررت محاولتى وتكرر فشلى رغم أنى لا أحس بأى ألم ، ولاحظت زوجتى ذلك فسألتنى عما بى فطلبت منها بصوت هامس أن تدعو الطبيب ، وجاء الطبيب وظللت طريح

الفراش ممنوعا من الحركة لمدة ٤٠ يوما ثم نقلت للمستشفى وخضعت لاشراف طبى دقيق، ثم غادرته على أن ألتزم بنظام علاجى صارم ، وأعود إليه كل ٣ شهور، وخلال ذلك فلا عمل شاق ولا تدخين ولا سهر ولا رحلات ولا طعام شهى الخ .

ولم يؤثر ذلك كثيرا فىَّ ، فقد كان همى بابنى أكبر من همى بنفسى خاصة وقد اقترب موعد جراحته الثانية وقد أصبحت لا أذهب إلى العمل إلا يومين أو ثلاثة كل أسبوع . . ولولا حاجة ابنى للعلاج المتقدم فى هذه المدينة لتركته وعدت إلى بلدى وحاولت أن ابحث عن كل من أغضبته ذات يوم وسألته العفو والسماح واسترضيت كل أهلى الذين ابتعدت عنهم فى السنوات الماضية ، بل وحاولت أيضا ولو بالبريد أن أكتب إلى من آذيتهم خلال عملى فى تلك المدينة الأفريقية طالبا منهم جميعا ، الصفح عنى ، وقد تنبهت فجأة إلى أنى لم أخرج زكاتى منذ أصبح لى مال تستحق عنه الزكاة فقررت أن أكتب إليك لاسألك بمن ابدأ فى تقديم زكاتى اليهم ثم لأسألك : لقد أراد الله أن يردنى عن غيىٍّ بعد كل هذه السنوات وأنا راض بعقابى فى نفسى لكن هل يجوز لى أن اسأل مستغفرًا الله عن ذنب ابنى البرىء فيما فعلت بحياتى وهل يحاسبنى ربى على ما أبديه من هلع وخوف عليه الآن بعد أن قال لى قائل أن ذلك من ضعف الإيمان ! .

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : آه لو تعفف الإنسان عن ايذاء الآخرين وحاول دائما أن يحقق أهدافه فى الحياة بغير أن يمشى إليها فوق جثث الآخرين وصراخهم وعويلهم ، إذن لاختفت معظم أسباب الشقاء الإنسانى ولتخففت الحياة من كثير من آلامها .

لقد استعرض الفيلسوف الالمانى «كانت» شريط حياته وهو مستلق فى فراشه من الطفولة إلى لحظته الراهنة . . ثم هز رأسه وقال : هذا حسن، واسلم روحه لبارئها مطمئنا إلى أنه لم يؤذ أحدا فى حياته . وأحد الصالحين تولته رجفه وهو فى نزعه الأخير فعاتبه صديق صالح قائلا له : اتخشى لقاء ربك وأنت من عشت حياتك فى طاعته ؟، فأجابه باكيا : اخشى أن أكون قد أذيت نفسًا بغير أن أدرى .

فكم منا يا صديقى يستطيع أن يردد نفس العبارة وبعضنا لا يهتز له رمش وهو يطأ الآخرين فى طريقه إلى تحقيق مأربه وبعضنا الأخر لا يجد وسيلة لتحقيق بعض أهدافه الرخيصة فى الترقى إلا فى ايذاء بنى وطنه وأبناء جلدته ، فيكون كمن قيل عنه أنه قد ظلم ليشتهر بالعدل مع أن أبواب الحياة متسعة للجميع . . . ويستطيع كل إنسان لو أراد أن يحقق سعادته بغير إشقاء الآخرين . . ويستطيع أن يرضى بما حقق ولا يتعجل قطف الثمار إلى أن تأتيه راغبة وحين يأذن الله له بها . وما أحقر ما نتصوره أهدافا جليلة فى الحياة إذا قارناها بما يستحق ان نشقى للوصول إليه كالسعادة . . وراحة القلب . . ودفء المشاعر . . والسلامة من غوائل الدهر. . والإحساس بالأمان . وبأننا فى أمن من عقاب الله وعقاب الحياة .

لقد كانت هذه هى الحكمة الثمينة التى أدركتها أنت بعد أن لهِثت طويلا فى الاتجاه الخاطىء. فاكتشفت أخيرا بالتجربة الأليمة أن ضعف الإنسان أمام آلامه حق ، وأنه فى حاجة إلى من يشد أزره فيما يصادفه من محن واختبارات وأنه بغير حب الآخرين واحساسه بالرضا الداخلى عن

نفسه لا يساوى الكثير مهما تبدى له غير ذلك .

لقد عادت إليك الآن ياصديقى شجاعتك الحقيقية حين اعترفت بخطاياك ورغبت فى التكفير عنها ، ولقد كان الكاتب الروسى العظيم تولستوى يقول « إن الإنسان لا يقترب من الله إلا إذا كان وحيدا » والأصح فى رأيى هو أن الإنسان فى حاجة ماسة ودائمة لأن يقترب من ربه لكيلا يكون وحيدا أبدا . . ولكى يحس بأن له دائما سندا ونصيرا فاقترب من سندك الأكبر فى الحياة يا سيدى وأُدعه خوفا وطمعا خوفا من عقابه وطمعا فى رحمته وعفوه .

واستعرض شريط حياتك واكتب إلى كل من تحس أنك قد آذيته فى رحلة حياتك منذ صباك وحتى الآن وابدا بعمك وابنته التى نكثت بعهدك معها ثم بكل زملاء العمل فى مصر والمدينة الإفريقية ثم العاصمة الأوروبية واطلب منهم صفحهم جميعا واعرض عليهم خدماتك فيما تستطيع أن تقدمه اليهم وكن بلسما لجراح الآخرين يخفف الله عنك آلام جراحك . . وينزل السكينة على قلبك ويقرب ابنك الغالى من الشفاء الناجح بإذن الله أما عن تساؤلك المؤلم عن ذنب ابنك فيما فعلت بحياتك فلا ذنب له فى شىء وليس عندى من رد على تساؤلك سوى أنه ابتلاء من الله سبحانه وتعالى علينا أن نتقبله بالرضا والتسليم وليس لنا أن نسأل لماذا؟ فحكمته تجلُّ عن الأفهام ، وما من شوكة تصيب الإنسان إلا ويجزيه الله بها خيرا فى الدنيا والآخرة فلا تشغل نفسك بهذه الخواطر المؤلمة وتشاغل عنها بتنفيذ برنامج العلاج الدقيق لابنك الغالى ولك ، وبالتقرب إلى الله بالعمل الصالح وبالعطاء للآخرين وبخدمة الحياة عسى أن يتقبله منك ويمسح

على جراحك وابدأ بحساب زكاتك المتأخرة وأخرجها إلى من يستحقونها وليكن ذوو قرباك من الضعفاء فى مقدمة من توجهها اليهم ثم إلى الفقراء من بنى بلدتك وما أكثرهم فى بلادنا .

أما عن جزعك على ابنك فلا لوم عليك فيه ولا تثريب فهو إحساس إنسانى صادق ، وقديما قال الشاعر العربى متوجعا على ابنه :

أُلام على ما أبدى عليك من الأسى

وإنى لأخفى منه أضعاف ما أبدى

ولا عجب فى ذلك فلكل إنسان يا صديقى قدرته على الاحتمال والتصبر . والتحمل « ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » وأقرب إلى مرضاة ربك . . وانسب إلى حالتك الصحية التى تتطلب منك أن تعين نفسك عليها وعلى آلامك الأخرى . . بالصبر والاحتمال . . أعانك الله على آلامك ومنَّ على ابنك العزيز وعليك بالشفاء العاجل الكامل إن شاء الله . . . . إنه على كل شىء قدير .

العام الأخيـــر !

هذه الرسالة أريد أن أنشرها بغير تدخل منى فى صياغتها أو فى إعادة ترتيب بعض أجزائها . . ذلك أن اضطراب سياقها أكثر تصويرا لحالة كاتبتها وظروف قصتها من أى محاولة لروايتها بالتسلسل الطبيعى كغيرها من القصص ، فإن كنت قد تدخلت فى صياغة هذه الرسالة فليس سوى بحذف بعض الكلمات التى تجرح المشاعر . . وتوضيح بعض مفرداتها الغامضة ، واثبات بعض الكلمات التى سقطت سهوا من الكاتبة خلال انفعالها بما تحكيه . . ولنبدأ معا قراءة هذه الرسالة التى اقضَّت مضجعى ووضعتنى امام اختبار رهيب من اختبارات الحياة التى لا حد لقسوتها وبشاعتها فى بعض الأحيان . تقول الرسالة المفزعة . .

بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل وأتم السلام . . الأستاذ الفاضل . . . . . لا أعرف والله كيف ولا من أين أبدا رسالتى لكنى فقط ادعو الله ألا تصل إليك رسالة مشابهة لها من أحد غيرى وقاك الله ووقى الجميع شر ما تحكيه . إننى سأحاول أن أسرد قصتى بدون استخدام عبارات مثيرة للعاطفة أو للشفقة فالحقيقة أنى اكتبها تهدئة لى قبل غيرى ولا أريد مزيدا من الشحن والإثارة ، ولنبدأ القصة منذ ٥ سنوات ، فقد كنت طالبة بكلية الطب على قدر من الجمال ومحجبة

ومتدينة ولا اتحدث إلى أى شاب إلا لحاجة ضرورية فى الدراسة والعمل، وذات مرة وكنت فى السنة الرابعة بكليتى تحدثت مع طبيب امتياز شاب فاعجب بى لكنه فشل فى أن يتحدث معى مرة أخرى . . فتقدم إلى أبى وفاتحه برغبته فى خطبتى فرحب به أبى لكرم أخلاقه وبالرغم من تواضع امكاناته المادية ، وتمت خطبتى له ، وكان أول شاب فى حياتى فأحببته بكل جوارحى واحبنى كثيرا ، وبعد تخرجى مباشرة تزوجنا وسعدنا بزواجنا رغم قلة امكاناتنا ، فأنا أيضا من أسرة بسيطة تقطن فى حى شعبى وإن كان إخوتى جميعا قد استطاعوا أن يتعلموا ويشقوا طريقهم إلى أعلى المراكز العلمية .

وبعد عام من زواجنا رزقت بأول مولود لى ، وكان رزقه واسعا والحمد لله فحصلت على عقد عمل فى احد مستشفيات دولة خليجية تداعب فكرة العمل بها أحلام بعض الخريجين ، فسعدت به جدا وحسدتنى عليه زميلاتى ، لكن أبى وأهلى لتدينهم الشديد رفضوا فكرة سفرى للعمل وحيدة فى تلك الدولة العربية ، وأصر أبى على ألا أسافر إلا ومعى محرم أو أعتذر عن عدم قبول هذا العمل ، وشاء الحظ أن أحقق رغبة أهلى فعثر زوجى على عقد بمستوصف خاص بنفس المدينة ، وسافرنا إلى هذه الدولة أنا وزوجى وطفلى الوليد نحمل أحلاما ليست مسرفة فى الخيال واتفقنا على الا نطيل اغترابنا إلا بقدر ما نستطيع أن نحقق به مطالبنا الضرورية ، وهى شقة عيادة لزوجى فى مصر وسيارة متوسطة تحملنا إلى أعمالنا ونخرج بها فى زياراتنا ، ومبلغ مدخر لا يزيد على ١٠ آلاف جنيه نضعه فى البنك ليكون أمانا لنا ضد الطوارئ . ومضى العام الأول لنا فى الغربة فكنت فيه أبخل

من بخيله على نفسى وطفلى لنوفر ثمن شقة العيادة ، واستطعنا فعلا أن نحصل على شقة للعيادة ليست متواضعة وليست فاخرة وحققنا بذلك أول أحلامنا .

وتمكنا فى العام الثانى من شراء سيارة جديدة وادخار عدة آلاف من الجنيهات فى البنك فى مصر وانقضى العام الثالث فجهزنا شقتنا الزوجية فى مصر بالمفروشات اللائقة ، وجهزنا عيادة زوجى بالأجهزة الطبية المطلوبة وقام زملاء زوجى بشرائها لنا من مصر ووضعها بالعيادة ، لهذا فلم نتمكن من استكمال رصيد المدخرات المطلوب إلى ١٠ آلاف جنيه كما كنا نخطط لأنفسنا وتوقفنا نسأل نفسينا هل نكتفى بذلك أم نصر على تحقيق الهدف الأخير واستكمال الرصيد إلى المبلغ المطلوب وبعد مناقشات طويلة استقر رأينا على أن نمضى عاما رابعا فى تلك الدولة على أن يكون عامنا الأخير فيها ثم نعود بعده لنبدأ حياتنا العملية فى مصر راضين بما أعطانا الله من فضله وكنت وقتها حاملا فى طفلى الثانى . واقترب موعد ولادتى ، وولدت طفلا آخر منذ أربعة شهور وطلب منى زوجى أن « أنزل » بطفلى فى أجازة وحصلت على أجازة ٤٥ يوما فقط وانتهت الأجازة وعدت إلى المستشفى الذى أعمل به .

ومن هنا على رأى زوجى «تبدأ الحكاية» وبالمناسبة أنا كنت صاحبة دم خفيف وبنت نكتة كما يقولون أما زوجى فلا يُبارى فى النكت والضحك العالى لكنى «كنت» و«كان» . . وهذه مجرد ملحوظة ـ وأعود إلى رواية قصتى، فبعد أسبوع من عودتى للمستشفى حدث ما لا أقول عنه غزوا أو احتلالا أو تتارًا كما يكتبون فى الصحف ، وإنما حدث ما لا أستطيع أن أصفه فقد

حدث غزو العراق للكويت التى نعمل بها ، وكنت ليلة الغزو فى نوبتى للمبيت فى المستشفى الذى أعمل به وهو مخصص للنساء ، فلم استطع مغادرة المستشفى لمدة يومين لأن كل المستشفيات أصبحت فى حالة طوارئ ولم أعلم شيئا عن زوجى وطفلىّ الصغيرين ، وفى اليوم الثالث حدث ما لم اتخيله فى أشد الأحلام المزعجة رعبـًا ، فقد حدث هجوم وحشى على المستشفى من « أبطال الغزو » وأقول لك والسخرية القاتلة تملؤنى أن الوضع اصبح فجأة هكذا : الممرضات للجنود الأشاوس والطبيبات للضباط الأبطال !! هل تصدق ذلك ؟!! أنا نفسى لا أصدق ولا أعرف شيئا عما حدث لكنى أقسم لك أنى قاومت مقاومة لم أكن اتخيل أنى قادرة عليها حتى عجزت ووجدت الجميع يصرخن ويولون والمرأة التى تزيد مقاومتها على الحد المحتمل تصبح هى الطبق الشهى للجميع نكاية فيها ، وفجأة وأنا فى وسط المأساة رأيت زوجى . . نعم زوجى . . لا أعرف كيف حضر ولا كيف دخل إلى المستشفى . . هل أحس بالقلق علىَّ فجأة فجاء ليطمئن علىّ؟ . . لا أعرف ، كل ما أعرفه أنى رأيته فجأة ومعه مجموعة من الرجال المصريين والأطباء يحاولون ويحاول زوجى معهم الدفاع عن الممرضات والطبيبات بل والمريضات أنفسهن ضد « الأبطال الغزاة» الذين يعتدون عليهن بلا رحمة ورأيت زوجى والرجال بعد قليل محاصرين والجنود يصوبون إليهم المدافع والبنادق ويهددون من يتحرك بقتله وصرخت حين رأيت من يقف بجوار زوجى مباشرة وهو زميل وصديق يقع على الأرض قتيلا برصاصة فى صدره ، وصرخت على أطفالى وعلى نفسى وزوجى ولم يستطع أحد أن يفعل أى شىء لأى أحد . . أى شىء لأى أحد ولا أعرف

ماذا حدث سوى أنى وجدت نفسى بعدها على أرض المستشفى والدماء تنزف منى بغزارة وبجوارى زوجى يحاول انقاذى من النزيف الشديد، فرجوته ألا ينقذنى وأن يتركنى انزف حتى الموت ، فتمتم بكلمات مقتضبة بأن الأطفال يحتاجون لى وبأن الذنب ليس ذنبى ، وصدقته وقاومت المرض وعدت معه إلى البيت ولم أبك مطلقا ولم تنزل دمعة واحدة من عينى ولم تلتق عيناى بعينى زوجى أبدا فهو لا يرفع وجهه إلىَّ وأنا لا أرفع وجهى إليه ولا نتحدث إلا للضرورة القصوى ، وظللنا على هذا الحال عدة أيام لا نغادر البيت ولا نتكلم ولا نكاد نأكل طعاما ثم استطعنا أن نهرب من مدينة الأحلام المنهارة بسيارة الزميل الذى سقط قتيلا بجوار زوجى ، وبدأنا رحلة العذاب الطويلة فى الصحراء القاحلة ، وفى درجة حرارة لا توصف فلم يحتمل وليدى الصغير هذه الظروف القاسية «فنفَق » منا فى الطريق . . نعم «نفق » أى مات كما تنفق الهرَّة أو البقرة الضعيفة . . لأن الحزن سمم اللبن فى صدرى ولم يكن له معنا طعام ولا ماء «فنفق» بين أيدينا وأنا وأبوه طبيبان ولا نملك له شيئا فكان آخر وأغلى وديعة أودعتها أرض الأحلام قبل أن أغادرها للأبد . . ولم أبك أيضا ولم أذرف دمعة واحدة ولم يبك زوجى كذلك وواصلنا الرحلة فى الصحراء القاحلة صامتين لا نتفوه بكلمة واحدة طوال المسافة الشاسعة ، وكل همنا الوصول إلى بلادنا ولا يشغلنى إلا خوفى على ابنى الآخر الذى أصبح ابنى الوحيد وكاد يضيع منا هو الآخر .

وأخيرا وصلنا إلى أرض بلادنا الحبيبة فى نويبع ومنها إلى مدينتنا وفى الطريق نطق زوجى لأول مرة وبغير أن ينظر ناحيتى طالبا منى بألا احكى

شيئا عما حدث وأن أنكر ما حدث إذا سألنا أحد من الأهل عما كان يجرى فى المستشفيات هناك ، لانه كما قال ليس فى حاجة إلى المزيد من الفضائح، واستقبلنا الأهل ولم نرو لهم شيئا ، وعدنا إلى شقتنا بعد عناء الرحلة القاسية والذكريات المريرة . . وأملت أن تُخرج العودة لمصر الحزن من قلب زوجى لأنى لم أعد اتمنى شيئا من الحياة سواه لرعاية طفلى أما أنا فقد انتهيت ولا يستطيع أحد أن يمحو من ذاكرتى ما مر بى. لكن الأيام مضت يا سيدى وزوجى يلتهمه الحزن ويتدهور أكثر وأكثر وقد مضى على عودتنا الآن أكثر من شهر وهو لا يغادر الصالون ليلا ولا نهارا وينام على الأرض ولا ينظر إلىَّ ولا انظر إليه ، أما سبب إرسالى هذا الخطاب لك فهو أن زوجى يحب آراءك كثيرا وقد رأيته يكتب ورقة ثم يمزقها فلململت أجزاءها بغير أن يعرف وقرأت فيها رسالة كان يكتبها إليك ثم غير رأيه وكان يقول لك فيها ما معناه : أنه فقد الإحساس بالرجولة لأنه لم يفعل شيئا لحماية امرأة غريبة ولا حتى للدفاع عن زوجته وأنه لا يستطيع أن ينظر فى عينى لإحساسه بأنه خاف من البندقية والموت أكثر من خوفه على ضياع شرفه وأنه رآنى . . . (لا أستطيع كتابتها) ويتساءل لماذا انقذنى ويقول لك أنه يريد التخلص منى لأنه لن يستطيع لمسى بعد الآن ولكن بأى حجة يكون الطلاق .

هذا يا سيدى هو سبب ارسالى هذا الخطاب إليك ولا أعرف إذا كان ستغضبه كتابتى إليك أم لا . . لكنى اتساءل معه لماذا انقذنى ولم يدعنى للموت نزفا بعد أن متُّ روحا من قبل ، واتساءل هل ما حدث كان عقابا لى على ذنب لا أعرفه أم عقابا لزوجى على شىء ارتكبه فى شبابه وهل تعلم

أننى بدأت أشك فى زوجى بل فى أبى وفى احتمال أن يكون ما حدث لى عقابا من الله على شىء ارتكبه فى حياته أحدهما ، لأن الله سبحانه وتعالى عادل ولا يعاقب أحدا بغير جريمة أم ترى أنه ابتلاء من الله علينا أن نصبر عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله . إن كان ابتلاء فإنى صابرة لكنى انتهيت ولولا الخوف من الله عز شأنه لكان الإنتحار . . ولكن أبَعد الصبر نموت كافرين؟

أعود لاستكمال الرسالة . .

فلقد بكيت . . ولا أعرف هل كنت ابكى على شرفى ويا لها من كلمة؟ أم أبكى على وليدى الذى ضاع منى فى رحلة الهوان أم أبكى على زوجى الذى يقتله الهم والغم كل يوم أم أبكى على طفلى الآخر الذى يفتقد ابتسامة الأب والأم ولم يعد يرانا إلا واجمين ، أم ابكى على احلامنا الضائعة فى حياة سعيدة أم ابكى على حالى وحيرتى وأنا لا أعرف هل اطلب الانفصال . . وإذا فعلت فماذا عن ابنى واخوتى وكلام الناس . . وإن لم أفعل فكيف تستمر الحياة هكذا ؟ اننى لا أعرف ماذا سيقول زوجى بعد نشر خطابى بهذه الصراحة . . لكن عزائى أننا كنا عدة طبيبات لهن مثل ظروفى ومكن أن تتوه القصة بينى وبينهن وبين كثيرات غيرنا ، وعزائى أيضا أنى فى حالة من الحزن واليأس لن تتحملها صحتى طويلا لهذا فقد كنت أريد زوجى لابنى ، وكان يراودنى هذا الأمل لأنه يحبنى وإلا لما أنقذنى وأحضرنى معه وقد كان فى مقدوره أن يتركنى أموت ـ كما فعل زميل له ترك زوجته رغم أنها تحملت وكانت فى صحة معقولة وتركها لأنه لا يطيقها بعد ما حدث لها . . طبعا نذل ولكن « نعذره أيضا لأن عذره أكيد» . .

وهذا ما يحيرنى فى زوجى فكيف أنقذنى ، وكيف يريد الآن التخلص منى ، اننى لست المشكلة ، فأنا قد انتهيت وضِعت وما جرى قد كان ، لكن المشكلة هى زوجى ، انى أريدك أن توجه له كلمات تحاول بها مسح جراحه وأن تقول له أنه رجل كريم فاضل ، ماذا كان يستطيع أن يفعل وزميله قد مات بجانبه والرصاص فى صدره ، وإن ابنه يحتاج إليه أكثر منى ، وشكرا لك على صبرك على قراءة قصتى التى اقول من كل قلبى ليتها كانت قصة قرأتها فى كتاب أو شاهدتها فى تمثيلية تليفزيونية ولم تكن قصة حقيقية أنا بطلتها وضحيتها ولا حول ولا قوة إلا بالله .

□ **هذه هى الرسالة المروعة التى تلقيتها** وأقول بداية أننى لا أشك فى صدق أى كلمة من كلماتها ، لأنـه يستحيل على أعتى خبراء الحرب النفسية ان يزيفوا رسالة مماثلة تصور مثل أحاسيسها التلقائية والمضطربة والتى تصل إلى حد الهذيان فى بعض المواقف ، كما يستحيل على غير من عاش مثل هذه التجربة المروعة أن يحكى عنها بمثل هذا الصدق الإنسانى المؤلم .

والحق إنه ليس يعنينى هنا الجانب السياسى فى الرسالة بقدر ما يعنينى مصير أسرة مصرية صغيرة سافرت إلى بلد آمن تحلم بحل مشاكلها الصغيرة فباءت بهذا الخسران الأليم ، وابدأ بكاتبة هذه الرسالة فأقول لها مباشرة : يا سيدتى الفاضلة لا يُلام المرء على ما لم تجنه يداه ، ولم تكن له حيلة فى دفعه عن نفسه أو توقِّيه ، وأنت قد تعرضت لعملية «سطو مسلح»على حُرمة جسدك تحت تهديد السلاح ، من الممكن أن تتعرض لها أى سيدة فضلى إذا وضعتها الأقدار فى نفس الظروف الأليمة التى وجدت

نفسك فيها ، لهذا فإن ما جرى لك رغم بشاعته لم يكن عقابا الهيا على جريمة ارتكبها احد ، لا أنت ولا زوجك ولا أبوك ، وإنما هى الظروف القاسية التى اختارتك مع زميلاتك بالمصادفة لهذا الابتلاء الذى ـ توقيًا لمثله ـ يبتهل المسلمون إلى الله ألا يختبرهم بما لا طاقة لهم به ، ويدعو المسيحيون فى صلاتهم « ولا تُدخِلنا فى تجربة » ، وليس من العدل أن تستسلمى لهذا الإحساس المرير « بالدونيّة » وبأنك قد انتهيت ولم تعودى جديرة بالحياة لولا خوفك من عقاب ربك ، فشرفك مصون يا سيدتى ولم يمس لأن ما يؤخذ من الإنسان على رغمه لا يمس شرفه ولا ينتقص من فضائله ، وعاره إنما على السارق الغاصب لا على المسروق .. واستسلامك لهذا الإحساس المدمر يمكن أن يقودك إلى الرغبة فى تدمير الذات بغير أن تتنبهى إلى أعراضها ويمكن أن يؤثر تأثيرا بالغ الضرر على شخصيتك ونفسيتك وحياتك .

والحق أنك فى حاجة أنت وزوجك إلى علاج نفسى طويل لعلاج آثار هذا الحادث البشع على شخصيتكما بغض النظر مؤقتا عن مستقبل علاقتكما الزوجية ، فالمهمة العاجلة هى انقاذ كل منكما على حِدة من الانهيار النفسى والجسدى الذى يتهددكما إذا تجاهلتما حاجتكما إلى هذا العلاج ، وهو علاج معروف فى دول الغرب التى تكثر فيها مثل هذه الحوادث ، ويخصص لإزالة أثاره النفسية الضارة عمن يتعرضون له ، لأن حرمة الجسد شىء مقدس عندهم ، ولو نال شخص امرأة محترفة تبيع جسدها لراغبى المتعة بالثمن على غير رغبتها لهوت فوق رأسه مطارق القانون القاسية ، ولخضعت هى على الفور لهذا البرنامج العلاجى على

نفقة الدولة رغم اختلاف مفاهيم الشرف بيننا وبينهم فى هذا المجال ، فمرحى مرحى بما صنعه « الأبطال المغاوير » الذين نزلوا بحرمة أجساد الفضليات من بنى جلدتهم إلى ما دون مستوى حرمة أجساد بائعات الهوى فى دول الغرب ، لكن هذا حديث آخر لا أريد أن انجرف إليه ، أو ابتعد به عن مشكلتك الدامية .

يا سيدتى الفاضلة . . ان الخطوة الأولى فى الطريق الصحيح لمحو آثار هذه المحنة ليست فى تكتمها ومعاناتها أنت وزوجك وحدكما وإنما فى التماس العلاج النفسى السليم لك ولزوجك أيضا . . وبطرح هذا الأمر بشجاعة على طبيب متخصص وليكن من مدينة أخرى إذا تحرجتما من مكاشفة أحد أطباء مدينتكما به ، وبعد الشفاء من آثار المحنة اجلسا معا وناقشا الأمر معا بموضوعية وقررا مستقبلكما على ضوء تحليل هادئ للموقف وسوف تكتشفان معا أنه لا ذنب لكما ولا جريرة فيما جرى وإنه ليس من الحكمة أن تضاعفا من خسائركما بما جرى بفقد كل منكما للآخر لمجرد أن كلبا متوحشا قد عقر زوجة فاضلة وعجز زوجها عن أن ينقذ لحمها من بين أنيابه .

أما زوجك العزيز فإنى أقول له بكل الصدق وربى على ما أقول شهيد: أنك رجل بحق ونبيل وكريم وشجاع حقا وصدقا ، لكن ما حدث كان أكبر منك وأكبر من شجاعة أى إنسان يواجه مثل هذا الاختبار القاسى الذى واجهته ، وإن لشجاعة الإنسان حدودًا إذا تجاوزها اعتبرت خُبالا وحمقا لا شجاعة وان الخوف من الموت والمدفع إحساس إنسانى طبيعى يستوى فيه الجميع ، وعرفه أشجع الشجعان على مر التاريخ ،

وأنت بكل تأكيد اشجع من النذل الذى ارتكب جريمته فى حماية عصبة من الرجال المدججين بالسلاح وأكثر رجولة ممن استباح لنفسه حرمات الآخرين تحت تهديد مدفعه الرشاش إذ لو كان بغير هذه الحماية لجبن عن الإقدام على ما فعل ، أو لصارعته فإما صرعته وإما متَّ دون عرضك شهيدا ، أما وقد كان مدججا بالسلاح ومحاطا بالأنذال من كل جانب فلم يكن لاقدامك على مهاجمته سوى نتيجة واحدة هى أن تسقط قتيلا إلى جوار زوجتك ، وان تلفظ زوجتك أنفاسها الأخيرة متأثرة بجرحها الدامى بغير أن تجد من ينقذها ويعيدها إلى أرضها وأهلها وأن يضيع ابنك الصغير إلى الأبد فلا يجد من يعود به إلى وطنه . لقد كان الموقف أكبر منك ومن زوجتك ومن كل إنسان يا صديقى ، فلا تجلِد نفسك بجريمة ارتكبها نذل لا يستحق صفة الإنسانية ويكفيك أنك حاولت فلم تجد أى جدوى للمقاومة ورأيت زميلا لك يسقط قتيلا إلى جوارك ربما لأنه قد تحرك حركة غير مقصودة ارتعد لها الأوغاد الجبناء فعاجلوه بالرصاص وهذا هو الجبن الحقيقى الذى هو عار على صاحبه . . لأن استخدام السلاح ضد المدنيين العُزّل جبن وأى جبن وانتهاك حرمات الضعفاء كما كان يفعل التتار حين يقتحمون مدينة فيستبيحونها ثلاثة أيام يفعلون بها ما شاءت لهم شياطينهم هو العار الحقيقى على من ارتكبوه وليس عارك الشخصى بأية حال من الأحوال ، وأقولها لك صريحة انه لم يكن بمقدورك ولا بمقدور أى إنسان آخر يواجه ما واجهته أن يفعل غير ما فعلت ثم يعتصره الألم والقهر كما يعتصرك الآن بلا رحمة ، وبلا ذنب لك فيما جرى ، ولقد تصرفت بنبل وإحساس كامل بالمسئولية حين أنقذت زوجتك وأمَّ طفليك من الموت

وعدت بها فى رحلة الآلام إلى بلادك ، فلماذا تحمِّل نفسك ما لاطاقة لها به؟ ولماذا تضاعف من خسارتك لابنك الوليد بخسارتك لزوجتك الفضلى وأكررها للمرة الألف الفُضلى بكل ما تعنيه حروف الكلمة ، وبخسارتك لنفسك ولصحتك وسلامك النفسى إلى الأبد .

يا صديقى الفاضل النبيل . . انك رجل مثقف وطبيب وتدرك أهمية حاجتك إلى العلاج النفسى للتخلص من آثار هذه المحنة فلا تتردد فى التماسه لزوجتك أولا ولك ثانيا ، وكل ما ارجوه منك هو أن تؤجل اتخاذ القرار بشأن علاقتك بها إلى ما بعد تجاوز آثار هذه المحنة وعلاجها . . وكلى ثقة بعد ذلك فى أن قرارك حينئذ سوف يكون فى صالح زوجتك ، وفى صالح رجولتك التى لا شك فيها ، وفى صالح النظر إلى ما جرى فى اطاره الصحيح كحادث مؤلم اختارتكما الظروف ضحايا له ، ولا لوم عليكما فيه . . وإنما اللوم كل اللوم على البغاة الظالمين . . وليس من الحكمة أن نعاقب أنفسنا بما فعله الظالمون بنا . . وإنما العدل أن نضيف ما جرى لنا إلى قائمة جرائمهم التى لابد أن يأتى يوم قريب يحاسبون فيه عليها ويدفعون فيه ثمن جرائمهم غاليا ألا لعنة الله على الظالمين فى كل زمان ومكان .

لهيـــب النـار

أخيرا تلقيت الرسالة التى كنت انتظرها بلهفة منذ أسابيع . . ولم أطق صبرا حين عرفت شخصية كاتبها . . فالتهمت سطورها التهاما ثم عدت لقراءتها مرة أخرى بترو شديد وأسرعت لأضعها تحت انظار قراء هذا الباب الذين أعرف أنهم كانوا ينتظرونها مثلى :

تقول الرسالة الهامة : أخى العزيز . . . . . .

ها هو الفأر يخرج أخيرا من مخبئه بعد طول صمت واختفاء . . ولا أعرف والله ماذا أقول . . إذ هل تتكلم الفئران ؟ . لكننى سأستجمع شجاعتى وصبرى وتفكيرى لأتكلم بعد أن وجدت أن هناك من ينتظرون كلمتى كأننى ممثل مشهور أو صحفى كبير . . وأعتقد أنك الآن قد عرفتنى ـ فأنا الطبيب زوج « الطبيبة » التى كتبت إليك الرسالة الشهيرة عما جرى لها ولنا فى « العام الأخير » .

لقد صمتُّ خلال الفترة الماضية لأنى لم أكن أجد كلاما أقوله . . واعترف لك أن الفكرة الوحيدة التى خطرت لى يوم نشر الرسالة هى أن أكتب لك رسالة أقلِّد فيها خط زوجتى . ونحن متشابهان فى كل شىء حتى فى الخط وازعم لك فيها على لسانها أنى خدعتك وألَّفت لك هذه القصة من خيالى لكننى وجدت الفكرة حماقة لا داعى لها فصمتُّ حتى

قرأت تعليقات قرائك على رسالة زوجتى وتأثرت بمشاعرهم وقررت أن اتكلم معك حديث النفس للنفس وأحادث زوجتى لأول مرة بعد ما جرى من خلالك . وقبل أن أبدأ احب أن أشكر الأخ الفاضل الذى أرسل لك دعوة لنا لأداء العمرة على نفقته واعده بأننى خلال هذا الأسبوع سوف أقوم باجراءت سفرى للعمرة ولكن على نفقتى واعتذر له ولك عن عدم قبول دعوته الكريمة لأنى صراحة لن أستطيع أن تحمل الاحساس بأن هناك شخصا أو أسرة تعرفنى وتعرف قصتى وما جرى لنا ، وأنا اعتذر مرة أخرى له ولك ، وسوف اؤدى العمرة وساغتسل بماء زمزم واشرب منه ـ و «ماء زمرم لما شرب له » ـ وأدعو الله بالمغفرة والنسيان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولأننى بفضل رسالة الطبيبة قد أصبحت من « المشاهير » ـ ولكن أى شهرة وأى ألم ـ فقد أصبحتُ موضوعا للمناقشة . . لهذا فأنى أريد أن أرد أيضا على الأخت التى كتبت لك تستغرب من تسامح الرجل الغربى مع زوجته فى مثل هذه الظروف وعدم تسامح الرجل الشرقى معها مع أنها ضحية ، فأقول لها يا أختاه أن تقاليد الغرب شىء ونحن شىء آخر ولا دخل بالتسامح الإسلامى فى ذلك ، فالنفسية الشرقية يصعب تغييرها وهى نفسية يشترك فيها الجميع بغض النظر عن أديانهم . . والزوجة عندنا شىء مقدس وشديد الخصوصية بالنسبة للزوج . . وحاولى أن تفهمى ذلك!

والآن جاء دورى للكلام . . وفى البداية أحب أن اعرفك يا أخى بأننى بشر ولست ملاكا : احب واكره وانسى واتذكر . . فلا تطالبنى بأن اكون ملاكا . . ولقد تجمعت الشفقة حول « الطبيبة » ولكن من يشفق علىَّ أنا؟ . . وهناك فارق كبير كما بين الأرض والسماء بين أن تسمع أن زوجتك

قد خانتك وبين أن تراها بعينيك . . إنه شيء لا استطيع وصفه ولا أحب أن اتذكره وان كنت لا انساه . . لقد ثرت حين وجدت الرسالة منشورة وأحسست بأن الجميع قد عرفونى . . وتصورت أن «الطبيبة» قد كتبت لك ايضا بالاسم والعنوان ، لكنى وجدتك فى الأسبوع التالى تكتب أنها لم ترسل إليك الاسم والعنوان فهدأت قليلا ، خاصة أن الأهل لم يساورهم الشك كثيرا فى أننا أبطال القصة . . ثم تأكدوا أننا لسنا المقصودين بها ، والحمد لله على ذلك .

والآن أريد أن اناقش مع نفسى ومعك ما حدث واعترف لك فى البداية بأننى ظللت أفكر منذ تلك اللحظة القاسية وللآن هل أنقذتها من الموت لأننى أحبها . . أم لأننى طبيب وهذا هو واجبى ؟ ولم «اعلم» الاجابة !

لقد تزوجتها بإختيار العقل لأننا حين نتزوج فإننا نتزوج من تحمى البيت وتحفظ نفسها وزوجها ، ولم يخدعنى عقلى فى اختيارها فكانت دائما زوجة صالحة لم يرتفع صوتها أمامى مرة واحدة منذ عرفتها . . ولم تختلف معى يوما وكنا دائما نناقش كل أمورنا على إنفراد بهدوء ولا نشرك فيها أحدا . ولم تفرق يوما بين نقودى ونقودها فكل شيء باسمى . الشقة والنقود وكل شيء بالرغم مما كنت اسمعه فى الغربة عن المعيشة بالمناصفة بين الأزواج والزوجات والمعارك المستمرة بين الزوجين بسبب النقود والمدخرات . . . الخ ، لهذا فقد احبتها أمى كثيرا وقالت لى أن من يرضى عنه ربه يرزقه بالزوجة الصالحة ، وحسدنى عليها الجميع حتى إخوتى - وقد سمعتها ذات مرة تنصح أختى بأن تبرَّ زوجها وتطيعه لأن الرسول صلوات الله عليه قال أنه لو كان ليأمر أحدا بأن يسجد لغير الله لأمر

الزوجة بأن تسجد لزوجها وبصراحة فقد أعطانى هذا الحديث الذى سمعته ـ وزوجتى ترويه لأختى ـ غرورا شديدا ، وزوجتى أكثر تدينا منى ومحبوبة من الجميع فاحببتها . . نعم احببتها لأنى لم أر معها إلا كل خير وكانت نعم الزوجة لى . . وكما قلت لك فنحن متشابهان فى أشياء كثيرة حتى فى الخط لأنها عِشرة السنين وقد كنت حين تمرض أقلد خطها وانجز بعض أعمالها نيابة عنها . . والجميع يغبطوننا على ما نحن فيه من وفاق وحب وسعادة . إذن ماذا غير حالى الآن ؟ . لقد راجعت حياتى وأوراقى فلم أجد سببا لهذا إلا الابتلاء وهذا العقاب . . حتى خطبة الجمعة الماضية سمعت فيها أن أكثر الناس ابتلاء أكثرهم إيمانا .

أعرف أننى اتكلم بلا ترتيب لأنى اتجنب الموضوع اياه ، لكنى أريد أن أقول « للطبيبة » ما عجزت عن أن انطق به طول الأيام الماضية . . اريد أن أقول لها : آسف . . آسف حقا لأنه لم يكن بيدى شىء . . لم يكن بيدى شىء كان يجب أن تلومينى . . أن تعاتبينى . إن نظرة البراءة فى عينيك تقتلنى وتشعرنى بعجزى . . لكن ربما يطهرنا ماء زمزم مما نحس به .

اما أنت يا أخى فأريد أن أقول لك بصراحة شيئا عن سر هذا الحزن العميق الذى يحرقنى بالنار . . إنه طبعا ما حدث للطبيبة . . ولى . . ولابنى الرضيع الذى ضاع منا فى الزحام ثم هذا الشىء الآخر الذى لا يعرفه كثيرون . . ولا يخطر لك على بال فهل تعرف أننى تطوعت فى المقاومة الشعبية سنة ٧٣ رغم صغر سنى . . وهل تعرف أنى كنت فى صباى من المشبعين بالأفكار الاشتراكية حيث اصطادنى . . نعم اصطادنى أستاذى وأنا فى السنة الثانية الاعدادية بسبب نبوغى ولقننى كل

شيء عن الماركسية ، وهل تعرف أننى سرت فى مظاهره ضد كامب ديفيد وضد أى تعاون مع إسرائيل وكنت من انصار الفلسطينيين ، وعندما دخلت الجامعة تخليت عن أفكارى الماركسية واتجهت للتدين . . وواجهت تحديات كثيرة بصلابة واعتقلت مرة وأنا طالب بسبب نشاطى مع الجماعات الدينية . . وهل تعرف أننى كنت من النوع الذى يجيد الكلام ويعجب بكلامه من يسمعه وكانت زوجتى دائما مبهورة بى وتحس أنها قوية وهى معى وأنها بكلماتى تصبح أقوى على مواجهة الحياة . . هل تدرك معى عمق هذه المفارقة حين انهار كل ذلك.فجأة وتبخر عندما رأيت بندقية مسددة إلى صدرى ؟ . لقد خرست الكلمات المبهرة وتبخرت الجرأة والشجاعة . . وظهر الجوهر خاويا من كل شيء . . من كل شيء يا سيدى . . فكيف انظر فى عين من كانت تظننى شجاعا لا أبالى بالمعتقل . . ولا أتردد فى الاشتراك فى المظاهرات . . وتحس بأنى حاميها وسندها فى الحياة ؟ لقد تعريت أمامها تماما وأصبحت أحس بنظرتها كرابيج تلسعنى وتقول لى : يا جبان يا من لم تحمنى والذئاب تنهشنى . . أين كلامك المنمق . . أين الأمان الذى تمثله بالنسبة لى ؟ ـ أين . . وأين . . وأين ؟

انى أعلم أننى لست ملاكا وإنما إنسان له جبنه وله قوته . . لكن ألم أكن استطيع أن أبدى قليلا من الشجاعة ؟

ان كل كلمات العالم لا تستطيع أن تعبر عن مشاعرى . . فأرجوك أنت أن تتفهم مشاعرى وموقفى وأن تتولى إفهامها بكلماتك الجميلة كل ذلك .
أما فكرة الطلاق الملحة فهى أنانية منى لكننى لا أقوى عليها ولا أقدر

عليها كما لا استطيع أن احضر إليك . . ولا أن اكتب إليك اسمى ليس لعدم ثقة فيك ولكن لخوفى من الإحساس بالنقص وعجزى عن أن تستقبلنى فى أول لقاء لى معك وأنت تعرف نقطة ضعفى وربما أحضر إليك يوما ما فيما بعد . . والمؤكد أنى سوف اكتب لك بعد عودتى من العمرة كما أنى إذا حضرت فسوف أسافر إليك وأنا قد أصبحت أخاف السفر وأخاف الخروج من البيت وكلما هممت بالخروج تذكرت ما حدث « لمن خرج من داره » ولولا العمرة وإحساسى بأنى إنما أسافر إلى الله ما سافرت ولا تحركت رغم ذلك فاكتئابى يشعرنى بأننى حتى إذا ذهبت إلى الأراضى الحجازية فسوف تدخل إليها قوات « الأشاوس » وستكون النهاية أيضا . . وليتها تكون نهايتى وحدى فقد أصبحت أحس أنى « شؤم » لكنى أعود واتذكر قول الله سبحانه وتعالى «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » . . فأهدأ قليلا واسلم أمرى إلى من بيده الأمر وفى الختام قل لزوجتى ما تشاء «فقد لاحظت إنها أول مرة أكتب عنها فى هذه الرسالة بكلمة «زوجتى » . . «فلعلها بشرى خير » قل لها ما تشاء يا أخى . . ، ولك الوعد الصادق منى أن أؤجل التفكير الآن فى الطلاق كما طلبت منى . . والحقيقة أنى لا استطيع تنفيذه . . وهو عموما غير وارد فى تفكيرى بصورة أكيدة . . لكنه يظهر فى رأسى فى لحظات اليأس . . فأنا أعلم انى لا أستطيع الاستغناء عن الطبيبة أقصد عن زوجتى وأ ولدى . . والله المعين والسلام عليكم ورحمة الله .

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :** اذهب يا صديقى لأداء عمرتك . . وتوجه بقلبك إلى خالقك واستنصره على شدّتك واشرب من ماء زمزم . .

وقف بباب الملتزم واسكب عَبرتك حيث تُسكب العبرات وتطهر من آلامك . . وثق من أنك تمضى فى الطريق الصحيح لاجتياز آثار هذه المحنة القاسية .

وما إمساكك بالقلم لتكتب عنها إلا خطوة على هذا الطريق ، ومؤشر إلى أن فوران احزانك الداخلية قد بدأ ينزل عن درجة الغليان .

لقد كنت تتجنب الإشارة إلى ما حدث بأى صورة من الصور مع أى إنسان فى الوجود حتى مع زوجتك وتناقشه فى كل لحظة مع نفسك على لهيب النار التى تتأجج فى أعماقك والآن قد استطعت أن تناقش الأمر مع إنسان آخر خارج حدود نفسك . . ، وحتى ولو جرى ذلك على الورق وعن بعد .

ولن يمضى وقت طويل حتى تجد فى نفسك القدرة على مناقشته بعقلانية وهدوء مع زوجتك الفاضلة . . ، وعندها سوف تقتنع أنت لا هى لأنها مقتنعة تماما بأنه لم يكن فى مقدورك أن تفعل إلا ما فعلت . . وبأن ما جرى لا يتناقض مع ماضيك فى الصلابة والايجابية والشجاعة وتحدى الصعاب . . ولا مع اعتماد زوجتك عليك واستمدادها القوة منك، فالشجاعة لا تتعلق بالمستحيل . . واشجع الشجعان يترددون أمام الموت لأن الخوف أمام الموت إحساس طبيعى عند البشر الأسوياء . وأنت قد حميت زوجتك وطفلك من الموت حين أدركت الفارق بين الممكن والمستحيل فاخترت صالح زوجتك وطفليك رغم قسوة الاختيار . . وما كان أيسر عليك من أن تتحرك حركة واحدة للأمام لحظة الجريمة فترديك رصاصة غادرة وتحكم على زوجتك وطفليك بالهلاك وتستريح أنت من كل

ما تعانيه الآن من آلام ! لكن الشجاعة الحقيقية ليست فى الانتحار وإنما فى انكار الذات وتقدير المسئولية وتفضيل سلامة الأعزاء . . لهذا لم يقل أحد أبدا أن الانتحار شجاعة وإنما قيل دائما أنه الجبن الحقيقى واختيار الفرار من الحياة حلا للمشاكل ، وهذا ما لم تفعله أنت إذن فإيجابيتك وتقديرك للمسئولية عن أسرتك هما عنوان رجولتك وشجاعتك الحقيقية . . وليس أى شىء آخر. إننى أدرك عمق معاناتك والتمس لك فيها كل العذر لكنى أطالبك بالحكمة والعدل مع نفسك وعدم الانزلاق إلى هاوية تحقير الذات لأمر لم يكن لك فيه حيلة ولا لأى إنسان آخر ولولا أنى لا أريد أن أنشر المزيد من هذه القصص الدامية بعد ما أثارته رسالة زوجتك الفاضلة من مشاعر الألم لدى القراء لرويت لك ما هو ابشع من قصتك بكثير . . وحبذا لو أرسلت إلى عنوانا ولو بغير اسم وليكن عنوان صندوق بريد لارسل إليك عليه هذه الرسائل ولتعرف أنك قد تصرفت التصرف الوحيد الذى كان متاحا أمامك فى مواجهة هذا القهر البشع .

يا صديقى هدىء من روعك فأنت ما زلت موضع انبهار زوجتك بحكمتك ونبلك وشجاعتك فى تفضيل انقاذ زوجتك وطفليك على حساب آلامك ومعاناتك الشخصية . . وهكذا كنت دائما ـ ومازلت ـ فارسها الشهم ومنقذها وسندها وحصن أمانها ضد غوائل الحياة . . ، وليست رسالتك فى الحقيقة سوى شهادة جديدة لها بعفتها وفضائلها ومزاياها وجدارتها بألا تتخلى عنها وبأن تقف إلى جوارها فى محنتها وبأن تتساندا معا لاجتياز آثارها . . ثم تتركا للزمن بعد ذلك أن يداوى الجراح ويشفى الآلام . . إلى الأبد ان شاء الله .

المنطقة المحرمة

قرأت لك مرة كلمة لأحد الأدباء الفرنسيين كتب يقول فيها «بولادتى بدأ سوء حظى فى الحياة ، وأنا يا سيدى واحدة ممن تنطبق عليهم هذه العبارة . فقد ماتت أمى فور ولادتى فكرهنى أبى لذلك وتشاءم منى ثم تزوج بعد فترة من أخرى وعهد بى لجدتى التركية فرعتنى إلى أن بلغ عمرى ١٣ سنة فبدأ أبى يطالب بى وجُن جنون جدتى وجنون أسرتها ذات النفوذ، وأسفرت المنازعات والخلافات عن حل سعيد من وجهة نظرهم هو أن يسرعوا بزواجى وأنا فى الرابعة عشرة من عمرى خوفا علىَّ ونظرا لجمالى اللافت للنظر ، وهكذا ارغمنى أبى على قطع دراستى . . ووجدت نفسى بعد قليل زوجة لرجل يكبرنى بعشرين سنة فكرهته منذ اللحظة الأولى كما كرهت أبى الذى تسبب فى توقفى عن الدراسة . . ولم يكن أمامى خيار آخر سوى أن انضم إلى أسرة أبى وأصبح خادمة لزوجته فرضيت بالزواج كأهون الضررين ، لكنى لم أسعد به وكان زوجى مهندسا بإحدى الشركات لكنه كان بخيلا كثيب المنظر ورغم بخله فقد أغدق على أهلى بالهدايا والنقود ليتزوجنى . وبعد عام من زواجى كدت أكرر مأساة أمى وأنا انجب ابنى الأول ونجوت منها بمعجزة وبعدها بعامين أنجبت ابنى الثانى وأصبحت أما لطفلين قبل أن أبلغ الثامنة عشرة من عمرى ثم فجأة وجدت نفسى أضيق بكل شىء وارغب فى مواصلة دراستى لأعيش حياة

فتاة فى سنى ورفض زوجى فتمردت عليه لأول مرة وثرت وطالبت بالطلاق وطرقت كل الأبواب للحصول عليه ورفض باصرار أن يطلقنى كما رفضت أسرتى وابلغتنى بصرامة أنه لا طلاق عندنا ولابد أن أعيش مع زوجى على أى وضع لأربى الطفلين . . فانفجرت البراكين داخلى وحرمت نفسى على زوجى نهائيا بعد ٣ سنوات من زواجنا وخيرته بين قبول ذلك أو الطلاق فأبى إلا أن يضايقنى ومرت السنوات على هذا الحال وأنا منطقة محرمة بالنسبة له مهما فعل وكان قد ترقى مديرا وانتقلنا إلى شقة فاخرة بالإسكندرية بغير أن يحدث أى تقدم فى حياتنا ثم ماتت جدتى وورثت عنها بعض المال فحزمت أمرى واشتريت شقة وأثثتها بأثاث فاخر وانتقلت إليها وأنا فى الثانية والعشرين من عمرى ومعى الطفلان ورفعت دعوى طلاق استمرت فى قاعات المحاكم بلا نتيجة لمدة ٣ سنوات ويئست من الحصول على الطلاق ويئس هو من استرجاعى فعشت مع الولدين وحدى واحتويتهما . وحاولت أن اشغل حياتى بالعمل بشهادتى وهى الاعدادية الإنجليزية فخرجت أبحث عن عمل مناسب فوجدت جمالى يفتح لى أبوابًا كثيرة لكنى رفضت دخولها إذ كنت لا ألبث أن اكتشف أنهم لا يريدون عملى وإنما يريدون الصحبة ، فعدت إلى بيتى . . وعجزت عن احتمال تكاليف الطفلين اللذين لم ينفق عليهما أبوهما قرشا واحدا منذ انفصلت عنه فأعدتهما إليه وسافرت إلى لندن للعمل والإقامة ولم احتمل الابتعاد عنهما أكثر من سنة عدت بعدها واستردتهما وقررت أن استكمل دراستى التى انقطعت بزواجى فالتحقت بمدرسة ليلية وأصبحت استذكر دروس الدراسة الثانوية مع الولدين سنة بسنة . . وتقدمنا نحن الثلاثة إلى امتحان الثانوية العامة فى نفس السنة وحصلنا عليها معا وكانت فرحة

لا توصف . . والتحق ابنى الأكبر بكلية عملية والتحقت أنا كطالبة منتسبة مع ابنى الأصغر باحدى الكليات النظرية وواصلنا الكفاح وبعت خلال ذلك كل ما تبقى من ميراث جدتى ومجوهراتى وبعد طول انتظار تخرج ابنى الأكبر من كليته العملية وعمل عملا مناسبًا وتخرج ابنى الأصغر وعمل بوظيفة مرموقة أما أنا فقد تعثرت فى دراستى الجامعية بكل اسف بسبب مرض عصبى ألم بى فعجزت عن الحصول على الليسانس . وفرحت فرحة طاغية بانتهاء العبء وتخرج الولدين وعملهما . . وغبطتنى كثيرات على أن مسئوليتى قد انتهت وأنا دون الأربعين وأستطيع أن أعيش حياتى اذا أردت لكنى كنت قد كرست حياتى للولدين ويئست من الحصول على الطلاق وكففت عن المطالبة به ورضيت بحياتى هكذا حرصا على مشاعر الولدين، لكن فرحتى لم تطل بتخرجهما وعملهما يا سيدى فمنذ تخرجا واستقلا ماديا عنى حتى تغيرت معاملتهما لى وتباعدا عنى بعد أن كنت الأم والصديقة الأولى والوحيدة لهما فى الحياة فقد فوجئت بابنى الأصغر يتزوج رغما عنى من ابنة خياطتى ويمضى فى المشروع غير حافل باعتراضى . . ويؤجر شقة مفروشة ويقيم بها معها ثم بعدها بقليل تعرف ابنى الأكبر وهو الأكثر حنانا والتصاقا بى بطبيبة فى مثل سنه ورغب فى زواجها فزوجتها له بإرادتى . وهنا بدأت المشكلة فقد مات أبوهما وترك لى معاشا كبيرا لكنه حجب ميراثه الذى يبلغ حوالى ربع المليون جنيه عنى وعن ولديه وأخفاه لدى أهله . . وقال أنه قد فعل ذلك عقابا لى على كراهيتى له طوال ٣٠ سنة بلا سبب . فكرهنى إبناى لذلك وفوجئت بالأصغر يعد أوراقه فجأة للهجرة إلى امريكا ثم يصطحب زوجته ويهاجر إليها دون أدنى التفات لاعتراضى على هجرته وابتعاده عنى ، أما ابنى

الأكبر الذى تزوج وانجب طفلا وكان يزورنى بانتظام والذى اعتبرت طفله هو تعويض الحياة لى عن وحدتى ، فقد عز على البعض أن يحمل لى مشاعر الحب فحيكت المكائد بيننا ووقعت الكارثة منذ عام حين تهور علىَّ وأتلف الشقة وقاطعنى وحرمنى من طفله وانهرت ومرضت ببوادر ذبحة صدرية ونقلت إلى المستشفى فلم يفلح أحد فى إقناعه بالسؤال عنى فى المستشفى . . وها أنا يا سيدى أعيش فى شقتى فى الثامنة والأربعين من عمرى والوحدة تقتلنى وقد مات الأهل وتنكر لى الابنان وابتعد عنى أحدهما بالهجرة ! والأخر بالقطيعة ـ فماذا أفعل هل أقتل نفسى واستريح أرجوك أشر على بما أفعل .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : فى رسالتك الكثير والكثير مما يستحق أن يتوقف عنده المرء ويعتِبر به إبتداء من درس الزواج المبكر غير المتكافىء . . إلى درس التمرد والمنطقة المحرمة التى استمرت ثلاثين عاما ! إلى درس الإنتقام بعد الرحيل وقد ينتقم الموتى أحيانا من الأحياء . . إلى درس جحود الأبناء الذى هو أشق من عضة الحية الرقطاء على حد تعبير شكسبير إلى دروس أخرى كثيرة لا أريد أن أشير إليها حتى لا انكأ جراحا قديمة لكنى لم أفهم بعد كيف يقتص الأب الراحل من ابنيه بحجب ميراثه عنهما إلا أن يكونا قد باعداه فى حياته ولم يعوضاه حرمانه منك فآثر ألا يخلف لهما ولا لك ما تهنأون به فى مغيبه ، انه انتقام قاس على أية حال ومهما كانت مبرراته . . ولا أفهم كيف كرهك ابناك بسببه فإذا كانا قد فعلا ذلك لاعتقادهما أن مجافاتك لابيهما طول هذه السنين هى سر حرمانهما من ثروته فلماذا لم يحاولا التقريب بينكما بعد أن شبا عن الطوق وأصبحا شابيْن

راشدين . . بل ولماذا لم يؤديا هما حق الأب عليهما فأشعراه بأبوته لهما وتوادا معه بغض النظر عن خلافكما فإذا كانا لم يفعلا وهو أغلب الظن فالمسئولية مشتركة بينكم جميعا بغض النظر عن موضوع الميراث . ولا يحق لهما أن يكرهاك أو يجافياك لهذا السبب بل ولا لغيره من الأسباب، لأن حق الأم على الأبناء لا يرتبط بأسباب ومن واجبهم أداء حق الرعاية لها سواء قدمت الأسباب أو لم تفعل لأن الابن إنما يتعامل مع ربه فى ذلك وليس مع أحد غيره . غير أنى أخشى يا سيدتى أن يكون بعض ما تعانين منه مع ابنيك راجعا إلى أزمة بعض الأمهات اللاتى يكرسن حياتهن لرعاية الأبناء بعد الانفصال عن الزوج فيحاولن أحيانا تعويض النقص العاطفى فى حياتهن بالتغلغل فى حياة الأبناء والالتصاق الزائد بهم والرغبة غير الواعية فى التسلط عليهم . . وعدم القبول النفسى لنزوعهم الطبيعى نحو الجنس الآخر . . ونحو تكوين أسرة صغيرة والاستقلال بحياتهم عن حياة الأم . وهى أزمة كثيرات يعشن ظروفك ويعجزن عن إدراك الخيط الرفيع بين نزوع الأبناء الطبيعى للاستقلال بحياتهم وبين ما يعتبرونه جحودا وتنكرا لتضحياتهن من أجلهم . . فإذا كان الأمر كذلك فلعله يفسر لك رفضك زواج ابنك الأصغر وانزعاجك الشديد من استمراره فى مشروع زواجه غير حافل باعتراضك عليه . . ثم احساسك بالمرارة لاقدامه على الهجرة بغير التوقف أمام رغبتك المشروعة فى ألا يبتعد عنك . . لكن ذلك لا يعفيه أبدا من تقصيره فى محاولة استرضائك إلى أن ترضىْ عن زواجه . . وتقصيره فى نيل موافقتك وقبولك بهجرته ليبنى حياته كما يتصورها تقديرا منك لظروفه وليس رغما عنك فإن كان لا يحرص أيضا على الاتصال بك

ومودتك من مهجره فإن جرمه يكون اشنع وحسابه عنه مع ربه أشد عسرا أما الابن الأكبر فبغض النظر عن حقيقة ما جرى . . ومن المخطئ ومن المصيب فيه فإن قطيعته لك لا يمكن تبريرها أو الدفاع عنها حتى ولو كنت المخطئة فى النزاع فمن واجبه تجاه ربه قبل أن يكون تجاهك ألا يقطع ما بينك وبينه أبدا وألا يباعدك وألا يجافيك . . مهما كانت المبررات . . وهجرته لك وهو على بعد خطوات منك وحرمانك من طفله أشد مرارة على القلب من هجرة من تفصلك عنه البحار والمحيطات ذلك أنه قد أصبح الشمعة الوحيدة التى كان ينبغى لها أن تضىء ظلام وحدتك فعسى أن يشفق على نفسه مما يفعل الآن قبل أن تدور الأيام دورتها ويرد إليه ابنه الجزاء من جنس العمل . . إذا كان لم يعرف بعد أن جحود الأبناء للآباء والأمهات هو الإثم الوحيد الذى يعجل الله العقاب لمرتكبه فى الدنيا مع ما يدخره له من عقاب أشد فى الآخرة .

فأصبرى يا سيدتى . . واشغلى نفسك بنشاط اجتماعى مفيد . . وزورى واستزيرى واشكِ لربك بُعد البعيد وجفوة القريب .

ورددى لابنك الغائب الحاضر مع الشاعر العربى :

وكنت أذم إليك الزمان

فأصبحت أذم منك الزمانا

وكنت أعدك للنائبات

فها أنا اطلب منك الأمانا

فعسى أن يعود إليك نادمًا . . ومستغفرًا . . ومتنازلاً عن أية مبررات لما فعل . . وشكرا .

العـــودة !

أنا الأم التعسة التى كتبت إليك منذ شهور تروى لك قصة حياتها مع زوج لم تحبه طوال زواجهما وابنين كرست لهما حياتها فما أن تخرجا وعملا حتى تزوج الأصغر على غير رغبتها ثم هاجر إلى الخارج وتزوج الأكبر ثم انساق وراء بعض الأهواء فقاطعنى منذ عامين كاملين وحرمنى من رؤية طفلته الوليدة ، وتركنى لوحدتى وأحزانى فى شقتى الواسعة بالاسكندرية مع أن مسكنه ليس بعيدا عن مسكنى ، وقد نشرت هذه الرسالة بعنوان «المنطقة المحرمة » ثم نشرت عدة تعقيبات عليها كان آخرها رسالة الخوف التى تخشى فيها أم لها بعض ظروفى من أن تواجه نفس مصيرى فى المستقبل لما بدر من بعض أبنائها الذكور من علامات للجحود آثارت مخاوفها . . واليوم أكتب لك مرة أخرى لأشكرك على اختيارك لهذه النوعية من المشاكل الهامة ولأروى لك ما جدَّ فى قصتى ، فلقد جاء اليوم الأول من شهر رمضان الكريم وكان رمضان الثانى الذى أستقبله وحيدة منذ مقاطعة إبنى ـ سامحه الله ـ لى مع أن مسكنه لا يبعد عن مسكنى كثيرا ، وجهزت لنفسى طعام الإفطار البسيط الذى يتناسب مع حالتى الصحية . . وأعددت المائدة فوضعت طبق الشوربة والسلاطة الخضراء والعصير وطبق اللحم

المسلوق أمامى وجلست أنتظر مدفع إفطار الاسكندرية . . بعد أن أذّن المؤذن فى إذاعة القاهرة لصلاة المغرب وانتهى ، وخيّم على المكان صمت حزين وتذكرت أيام السعادة التى كانت مائدة رمضان تجمعنى فيها مع ابنىْ والأحاديث الجميلة والضحكات التى نقطع بها وقت الإنتظار ثم انطلق المدفع ومددت يدى لأرشف أول ملعقة من الشوربة فوجدت دموعى تتساقط بغزارة فيها وتختلط بها فلم أحتمل الجلوس إلى المائدة أكثر من ٥ دقائق ثم نهضت عنها وقد عافت نفسى الطعام رغم الصيام وخرجت إلى الشرفة ونظرت طويلا إلى البحر الذى لا يكف عن الصخب وتطلعت إلى السماء وأشهدت ربى على ما أعانيه من إحساس بالمرارة والوحدة والنكران ومضى وقت طويل وأنا فى الشرفة ثم عدت للداخل ومضت السهرة كئيبة ونمت ليلى بغير سحور . . وفى الصباح استيقظت على صوت جرس الشقة فنهضت لأفتحه وأنا أتساءل عمن يدق بابى فى هذا الوقت من الصباح فوجدت أمامى إبنى الأكبر العاق . . يحمل طفلته ذات العامين . . وقبل أن أنطق بشىء أو أسمع شيئا فوجئت به وهو على الباب يضع طفلته التى لم أرها منذ ولدت بين يدىَ فتلقفتها ولسانى معقود من الدهشة واقترب هو منى خجلا ومنكسرا ثم قبّلنى وهو يبكى بكاء مرا ودعوته للدخول وجلست وطفلته فى أحضانى ولا أستطيع أن أرفع عينى عنها . . فروى لى أنه قد تعرض أمس أى فى اليوم الأول من رمضان الذى أمضيته حزينة باكية لحادث تصادم بشع بسيارته وكانت معه زوجته وطفلته فكسرت ذراع زوجته وتم تجبيسها وأصيبت بشلل مؤقت فى وجهها وما زالت فى المستشفى وأصيب هو بكدمات شديدة ونجا مع الطفلة بأعجوبة

وتهشمت السيارة تماما وهى غير مومَّن عليها ، وطلب منى السماح لأنه قد تعرض لظروف سيئة كثيرة منذ قاطعنى ، ثم استأذننى فى أن يقيم معى شهر رمضان كله تكفيرا عن ذنبه لعل الله يغفره له ، فرحبت به وبطفلته التى حرمت منها منذ مولدها ، وبعد أيام خرجت زوجته من المستشفى وجاءت إلىّ بالجبس فى ذراعها لتقبل يدى بدموعها ولم أنطق بكلمة عن الماضى وطلبت منهما ألا يفتحا أى حديث عنه ورحبت وسعدت بهما كثيرا، وعاد إبنى الأكبر إبنا رائعا كأنما أدبه ربه فأحسن تأديبه، فإن كان بعض قلبى ما زالت به مرارة منه فإنى سعيدة بعودته وبعودة زوجته . . وسعيدة سعادة الدنيا بأسرها بحفيدتى الجميلة التى أعادتنى إلى الحياة ، وجعلت لأيامى مذاقا حلوا جديدا خاصة حين تنادينى بكلماتها المتقطعة وقد وجدت من واجبى أن اكتب لك مرة أخرى لكى تشاركنى فرحتى كما شاركتنى من قبل محنتى وشاركنى فيها معك قراؤك الأفاضل ، فالفضل بعد الله يرجع إليك فى عودة إبنى إلىّ . . فقد عرف بالمشكلة بعد نشر الرسالة كثيرون من أصدقائه ورؤسائه وقاطعوه شهورا . . إلى أن أذن الله له بالهداية وعاد . . وحمدت الله على ذلك وقلت «وأما بنعمة ربك فحدث » ولذا أهمس للأم صاحبة رسالة الخوف، الخائفة من جحود أبنائها فى المستقبل بأن تهدأ وتتخفف من مخاوفها وتدع الأمر لعدالة الإله الواحد القيوم الذى يمهل ولا يهمل ولن يضيعها الله أبدا بإذن الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:** من أحسن فإنما يحسن لنفسه قبل أن يحسن للآخرين، وهكذا فعل ابنك بعودته إليك نادما وطالبا الصفح عنه

وعن زوجته فإن كان لأحد فضل فى ذلك بعد الله العادل المتعال الذى أذن له بالهداية إنقاذًا لروحه من الهلاك فهو لأصدقائه ورؤسائه الذين قاطعوه حين عرفوا بالمشكلة . . وهذه هى أهمية الرادع الإجتماعى فى تقويم الخاطئين واعادتهم إلى جادةً الصواب إذ أن الحياة لا تتعقد إلا حين يهمل البعض استخدام هذا الرادع فى دائرة علاقاته . . فينهض مثلا تـحية للمنحرف وهو يعرف بإنحرافه . . ويهش للمختلس والمرتشى والكذوب والمستغل والعاق والماجن والمقصر فى عمله وواجباته وهو يعلم بكل نقائصه، فتختلط الحدود بينهم وبين الشرفاء ولا يحسّون هم بأى دافع اجتماعى يدفعهم للعودة للطريق القويم ما دام المجتمع الذى يحيط بهم لا ينبذهم بل ويرحب بهم تماما كما يرحب بالأسوياء . . وربما انقلبت الآية فنال من ترحيبهم ما لا يناله البسطاء الشرفاء بسبب امكانياتهم المادية ، لهذا كله فإنى احيى أصدقاء إبنك ورؤساءه الذين عاملوه بما يستحقه فى فترة «جاهليته » وحبذا لو تصرف الجميع مع كل المنحرفين بهذا الاحساس الفطرى السليم الذى ينفر من الإنحراف الخلقى ويدينه إدانة صامتة باجتناب أهله ونبذهم والحمد لله كثيرا على ذلك. . وشكرا لك على إسعادى وإسعاد قراء هذا الباب برسالتك المبهجة هذه . . فإن كان لى أن أطلب منك بعد ذلك شيئا فهو أن تذيبى ما بقى ببعض قلبك من ذيول المرارة السابقة تجاه إبنك العائد إليك ممدود الذراعين نادما لأن الصفح من شيم الكرام ولأن الحياة يا سيدتى أقصر من أن نقصرها بالمرارة والشحناء والأحزان ومن أكرم من أم خلقها الله سبحانه وتعالى نبعا دائما للحنان ونهرا لا يجف أبدا من العطاء لأبنائها . . وللحياة؟

فــى المنفــى

أعرف أنك لا تحب مثيلاتى لكنى رغم ذلك أريد أن أعرف رأيك فى مشكلتى . . فأنا يا سيدى مهندسة فى الرابعة والثلاثين من عمرى . . نشأت فى أسرة طيبة بمدينة من مدن الوجه البحرى . . وحصلت على شهادتى الدراسية من جامعة عين شمس بالقاهرة وعدت للإقامة فى مدينتى انتظارا للعمل . . ثم تقدمت للعمل فى مكتب مهندس استشارى معروف فى المدينة . . فعملت معه وأولانى رعايته ودربنى وعلمنى الكثير من أسرار العمل . . فوجدت نفسى بعد أقل من ستة شهور غارقة فى حبه بغير أن أعبر له عن مشاعرى وساعدتنى ظروفى على الإستغراق فى حبه رغم أنه متزوج فقد كان أول رجل أتعامل معه عن قرب فى حياتى . . حيث لم أتعامل قبله مع أى شاب طوال دراستى بالكلية ، وقد جذبنى برقته وخبرته بالحياة . . وبشخصيته القوية . . وكنت أظن أن سرّى سيظل خافيا عليه إلى أن فاجأنى ذات يوم بأنه يعرف أننى أحبه . . وبأنه يحبنى ويعرض علىَّ الزواج بشرط عدم المساس بزوجته وبيته . . وأقسم لك أنى ما حاولت أن أخطفه من زوجته . . بل لقد كنت على وشك أن أترك العمل بمكتبه حتى أهيىء نفسى لأن أنسى هذا الحلم المستحيل . . لكنه فاجأنى بهتك سرّى وبرغبته فى أن يتزوجنى لأنه ليس مستريحا فى حياته

الزوجية مع زوجته . . وأقنعنى بأن زواجى منه لن يؤثر على حياته الأخرى بل ربما أنقذها من الفشل نهائيا لأنه سيجد سعادته عندى فيستطيع الصبر على تعاسته مع زوجته . . ويحمى أبناءه من الضياع .

وترددت قليلا فى قبول عرضه . . لكننى اعترفت لنفسى بأنى أريده وأنى سأشقى إذا لم أتزوجه فوافقت وتقدم لأسرتى يخطبنى منها فعارض أبى وأمى وقرر أبى أن أتوقف عن العمل معه إلى أن تأتينى فرصة العمل بالقطاع العام أو الحكومة واستجبت لرغبة أبى . . واعتكفت فى البيت لعدة أيام . . وتحدثت مع أمى طويلا . . وأقنعتها بأنى لم أرغب فى خطف رئيسى من زوجته لكنه أول رجل دخل حياتى . . ولن يكون سهلا علىَّ أن أنساه . . وعاجلا أو آجلا سوف أعمل بالحكومة أو القطاع العام وسيجمعنى معه مجال العمل فى مناسبات مختلفة . . لهذا فمن الأوفق أن ألتقى به وأنا زوجته على سنة الله ورسوله . . واقتنعت أمى وبدأت محاولاتها لإقناع أبى ، وكان « رجل » أحلامى من ناحية أخرى قد وسَّط كثيرين لديه . . فوافق وتم الزواج . . وأثث لى شقة جميلة فى أحد أطراف المدينة . . وتوقفت عن العمل معه فى مكتبه وسعى زوجى حتى نجح فى تعيينى فى فرع هيئة عامة بنفس المدينة وغرقنا معا فى بحر السعادة . . وأنجبت طفلة بعد عام من زواجى سعد بها زوجى كثيرا رغم أنه له من زوجته الأولى ولدا فى سن المراهقة وفتاة تصغره بعام ، وفى قمة هذا ء السعادة فوجئت بزوجى يسعى لنقلى من المدينة التى نعيش فيها إلى فرع الهيئة بمدينة الاسكندرية . وحين ناقشته فى ذلك إعترف لى بأن زوجته الأولى تضغط عليه بشدة لكى يطلقنى وأنه يرفض الاستجابة لها ويتمسك بى

لهذا فمن الأوفق أن أنتقل إلى مدينة أخرى حتى يخف ضغطها عليه ، واستسلمت لرغبته وانتقلت بطفلتى للإقامة فى سكن الهيئة بضواحى مدينة الاسكندرية لمدة عامين كان يزورنى خلالها أياما كل شهر ثم إنتهى المشروع هناك فعدت إلى مدينتى بالوجه البحرى ومضت أسابيع فإذا بزوجى الحبيب يعدّ لى مفاجأة جديدة هى أنه نقلنى لفرع الهيئة بالقاهرة ويريدنى أن أستفيد من وجودى بالعاصمة فى الحصول على دبلوم من كلية الهندسة . . وأنه قد قدم لى طلبا للكلية ونجح بطرقه الخاصة فى قبول طلبى ولابد من سفرى للقاهرة للإقامة فى بيت للمغتربات مع طفلتى الصغيرة حتى احصل على الدبلوم . . وسوف يزورنى كل أسبوع . . فكدت أرفض هذه المرة خاصة وأنه لم يستشرنى فى شىء من ذلك .

لكنى قررت فجأة أن أقبل التحدى . . وانتقلت إلى القاهرة فعلا وأقمت فى غرفة غير مريحة ببيت للمغتربات . . وأصبحت أترك طفلتى كل صباح فى دار للحضانة وأذهب للعمل ثم يجيئنى كل أسبوعين أو ثلاثة . . فنقيم معا فى فندق صغير ليلتين ، وحصلت على الدبلوم ولم يعد هناك مبرر لوجودى فى القاهرة بعيدة عن أسرتى وشقتى فطلبت نقلى لمدينتى وعدت إليها . . فلم تمض شهور حتى فوجئت بزوجى العزيز وقد قدَّم لى طلبا آخر للعمل بدولة عربية . . وراح يقنعنى بضرورة السفر لكى أدخر بعض النقود لطفلتى مع أنه ثرى ولا يحتاج إلى نقود . . وبكيت واتهمته بأنه لا يريد سوى إبعادى عن أسرتى ومدينتى بسبب زوجته . . وقلت له أنى لم أطلب الزواج منه . . ولم أسع لأستأثر به . . ورضيت بوضع الزوجة الثانية لأنى أحبّه . . فلماذا هذا التشريد . . وأين حقوقى

وحقوق إبنته عليه . . فراح يقنعنى بكلامه المعسول بأنه لا يريد سوى مصلحتى ومصلحة ابنته وأنه يحبنى . . إلى آخره . . فسلمت أمرى لله ووافقته على كل ما طلب ونفذت الإجراءات والإختبارات المطلوبة ودعوت الله فى صلاتى كل يوم أن ترفض جهة العمل طلبى لكن تأتى الريح بما لا تشتهى السفن . . فقد قبلوا طلبى بكل أسف . . وسافرت مع طفلتى وَأمضيت فى تلك الدولة عاما ذقت خلاله الأمرَّين من الكفيل الذى يأكل حقوقى بلا حياء وشعرت بذل وهوان لم أشعر بهما طوال حياتى فأنهيت عقدى قبل موعده وتنازلت للكفيل عن مبلغ كبير من مستحقاتى لكى أنجو بنفسى . . وعدت إلى بلدى وبيتى . . وكان أول ما طلبته من زوجى هو ألا أسافر مرة أخرى مهما كانت الظروف خاصة وأننا لسنا فى حاجة إلى شيء . . وافقنى زوجى على ذلك . . واستراح قلبى وعشت شهورا فى هدوء وسعادة . . ثم بدأ القلق يساورنى حين لاحظت فجأة أنه يهتم بقراءة اعلانات الوظائف فى الصحف ويراسل جهات مختلفة فى الدول العربية فنبهته إلى أنى لن أغادر مدينتى وبيتى مرة أخرى . . فلم يعلّق وبعد أسابيع فوجئت به وقد أوجد لى عملا آخر فى دولة أخرى وبدأ يقنعنى بقبوله . . بحجة أنها ستكون آخر مرة . . وأنها فرصة لتحقيق كل الأحلام فبكيت . . وتوسلت إليه إلا يجبرنى على السفر . . وطلبت منه الطلاق إذا كان عاجزا عن مقاومة ضغط زوجته عليه لإبعادى . . لكنه رفض أن يطلقنى وأكدّ لى أنه لا يجد سعادته إلا معى . . فلما رأيته مصرا بهذا الشكل الواضح على إبعادى اضطررت للموافقة ليس عن رغبة فى السفر أو فى جمع المال وإنما حفاظا على كرامتى من أن أعيش مع رجل يحاول بشتى الطرق أن

يبعدنى عنه ، وانهيت الاجراءات وأنا حزينة وسافرت منذ ستة شهور وأنا فى قمة التعاسة ومازلت أقيم هناك إلى الآن لا أعرف لماذا جئت ولا لماذا أعمل وأعيش مغتربة وحيدة بعيدا عن أسرتى وزوجى وأهلى ، لقد بقى عام ونصف العام من عقدى مع الجهة التى أعمل بها . . ولست أظن أنى سوف أستطيع استكمالها لكنى أسأل نفسى كلما اشتد ضيقى . . وإذا عدت فإلى أين يا ترى ستكون « الترحيلة » القادمة التى يخبئها لى زوجى الحبيب وأسألك يا سيدى . . أليس للزوجة الثانية حقوق على زوجها كحقوق الزوجة الأولى ؟ . . إننى أعرف من قراءاتى لردودك أنك لا تحب الزوجة الثانية . . لكن هب أنه قد حدث وانتهى الأمر وأصبحت زوجة ثانية هل يجردنى ذلك من حقوقى الإنسانية على زوجى ؟

أوليس من حقى أن أحسّ بالراحة والأمان فى كنف زوجى كما تفعل زوجته الأولى . . وهل من العدل أن أظل شريدة ومغتربه بلا هدف خاصة وأننى لا أسعى لجمع النقود ولا أطمع إلا فى حياة بسيطة معقولة فى حين يستمتع هو فى مصر مع زوجته الأولى ولا يفكر إلا فى راحتها هى فقط . . وهل يجوز له أن يجرح كرامتى هكذا ويبعدنى ليس فقط عن مدينتى وإنما عن مصر كلها . . إننى احترق حين اتذكر أنى تزوجته منذ ٨ سنوات فلم أهنا بالحياة فى بيتى خلالها إلا لأقل من عامين . . فهل هذا عدل يا سيدى؟ أننى أرجوك أن تنسى كراهيتك للزوجة الثانية وأن تجيبنى بأمانة عن هذه الأسئلة ؟ وشكرا لك . .

☐ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : لم تعد القضية . . قضية كراهية أو استحباب فلقد حدث ما حدث وقُضى الأمر ، وما دمت قد أصبحت

زوجته ، فلك مثل ما لزوجته الأولى من الحقوق وأبسطها أن تعيشى فى كنفه وفى رعايته بغير أن تفصل بينكما بحار ومحيطات ، وعلى زوجك أن يعدل بينكما فى نفسه وماله ووقته . . فإن لم يفعل ومال فى ميزان عدالته إلى إحداكما على حساب الأخرى «جاء يوم القيامة وشقه مائل» كما جاء فى الحديث الشريف ، أما أن يتحايل زوجك لإبعادكَ عن مدينتك وأهلك وبلدك بهذه الطريقة المؤسفة ٤ مرات خلال ٨ سنوات فأمر لا يقره شرع ولا دين ، ومع إشفاقى عليك مما تعانين فإنى لا أعفيك من اللوم ليس لأنك قبلت وضع الزوجة الثانية فقد فات أوان اللوم فى ذلك وإنما لأنك قبلت أوضاعا لا تليق بك ولم يكن لك أن تقبلى بها مهما حدث إذ ما معنى أن يشرّدك زوجك بين المدن والدول بغير حاجة أو ضرورة تبرر ذلك ، وما معنى أن يشحنك إلى دولة عربية لتسافرى إليها وحيدة بدونه وتعانى فيها ما عانيت ، وهو الثرى الذى لا يحتاج إلى مال .

الحق أنك مغلوبة على أمرك معه إلى حد مذهل . . ولست أفهم أن يصل ضعفك العاطفى معه إلى هذا الحد الذى تفقدين معه حتى قربك منه . . وهو غاية كل محب ناهيك عن مسألة الكرامة واحترام آدمية المحب نفسه ، فتماسكى قليلا يا سيدتى - فإنى أخشى أن تكونى مغلوبة معه ليس فقط بمشاعرك تجاهه وإنما أيضا بما يسمى فى علم النفس بنزعة جبر التكرار ، وهى حالة يكون فيها المرء رافضا لما يفعل لكنه يجد نفسه يكرره بنفس الطريقة وبغض النظر عن النتائج التى يعلم مسبقا أنه سوف يعانى منها وبهذه النزعة يفسر بعض العلماء حالات الأخطاء الشخصية المتكررة بنفس الطريقة رغم سوء العواقب . . فأنت فى كل مرة تكرهين السفر

والاغتراب عن بيتك وأهلك لكنك لا تبدين إلا مقاومة واهية سرعان ما تنهار ثم تستجيبين بعدها لقرارات النفى والإبعاد التى يتخذها زوجك بأعصاب باردة . . مع أنه لا شىء يرغمك على قبولها . . ولا حاجة فعلية لك بها اللهم إلا خوفك المبالغ فيه من أن تفقدى زوجك إذا تمسكت بالرفض فإذا سألتنى المشورة قلت لك بلا تردد : عودى يا سيدتى إلى بلدك ووظيفتك وقَرى فى بيتك واطلبى من زوجك أن يواجه نفسه ويرى إن كان يستطيع أن يواجه زوجته الأولى بوجودك معه فى نفس المدينة أم لا . . فإن كان عاجزا عن ذلك فليعترف به وليطلق سراحك . أما إذا كان قادرا عليه بشىء من التضحيات من جانبه فليفعل وليتحمل من أجل سعادتك بعض ما تحملت أنتَ حرصًا عليه وأملاً فيه فإذا حاول بعد هدنة قصيرة أن يدبر لك منفى جديدا فتشبثى بالأرض التى تقفين فوقها . . واحتمى بأسرتك واطلبى الإنفصال وتمسكى به إلى أن يكف عن تدبيره . . أو يسرحك بإحسان . . ولا تقدمى أى تنازل جديد بل احفظى لنفسك قدرها يا سيدتى بعد أن أهنتها طويلا وآن الأوان لأن تنصفيها من ضعفك تجاه زوجك ، فمن لا يكرم نفسه لا يكرمه الآخرون ومن يعتد التفريط فى حقوقه يعتاد البعض منه هذا التفريط ويعتبرونه حقا لهم عليه !

أما آخر ما أقوله لك فى هذا المجال فهو ما قاله الإمام على بن أبى طالب منذ ١٤ قرنـًا « إذا وضعت أحدا فوق قدره فتوقع منه أن يضعك دون قدرك »!

ولا أزيد عن ذلك كلمة أخرى . . وشكرا !

صوت الصمت

توفى أبى وكان تاجرا للحديد المسلح تاركا لنا ما يكفينا من النقود فواجهت أمى الحياة وحيدة مع ستة من الأطفال أكبرهم فى الثالثة عشرة من عمرها ، وأرادت أن تخفف عنها بعض مسئولياتها فزوجت أختى الكبرى فى سن السابعة عشرة من رجل فاضل وبعدها بقليل زوجت أختى الثانية فى نفس السن أيضا ، فأصبحت أنا البنت الوحيدة بين ثلاثة أشقاء ذكور ، وشاء قدرى أن تمرض أمى وأن تلازم الفراش عامين كاملين بلا حراك فأصبحت المسئولة عن رعايتها وخدمتها وخدمة أشقائى ، وواجهت صعوبة شديدة فى التوفيق بين واجبى تجاه أسرتى وبين دراستى ، وكنت طالبة فى الثانوية العامة حين اشتد المرض على أمى وأسلمت روحها لبارئها .

وتقدمت للامتحان بعدها بأسابيع فرسبت ، ووجدت نفسى وأنا فى الثامنة عشرة من عمرى مسئولة عن نفسى وأخوتى وحصلت على الثانوية العامة والتحقت بالجامعة الأمريكية ـ ولم يكن لنا أصدقاء لأن أمى كانت تؤمن بأن الصديق قد يفسد صديقه فنشأنا « فى حالنا » واعتدت أنا ألا أشرك أقاربى فى مشاكلنا وأن اواجه كل الأمور وحدى بلا سند واخترت

ذلك رغم مشقته لكى اتجنب أن تصبح أمور حياتنا مشاعا فى بيوت الأقارب واستراحوا هم لذلك وابتعدوا عنا وتركونا نواجه أقدارنا وحدنا ، وفى هذه الفترة بدأ أخوتى يكبرون ويقضون معظم أوقاتهم خارج البيت فازداد احساسى بالوحدة وحاولت التغلب عليها بالقراءة والانهماك فى الأعمال المنزلية وسماع الموسيقى لكنى كنت أتمنى أحيانا أن يكون لى خطيب اتحدث معه واحس بالقلق اللذيذ وأنا انتظره فى البيت كبقية زميلاتى . . وكنت حين احضر زفاف زميلة لى أقارن بين حالها وهى بين أبيها وأمها حيث الأمان والاطمئنان . . وحالى يوم زفافى حين أكون وحيدة بلا أب ولا أم ، وأتساءل هل قدرت زميلتى هذه « النعمة» التى هى فيها أم أن اعتياد الأشياء يفقدها قيمتها ؟

وكانت كل حفلات الزفاف التى احضرها لفتيات أصغر منى فى السن، لأن ارتباطى بأشقائى دفعنى لرفض كل الفرص الجيدة التى اتيحت لى فى ذلك الوقت ، ومضت بى الأيام وتخرج شقيقى الأكبر وتزوج فور تخرجه من زميله له وسافر للعمل بدولة عربية ، وتخرج بعده بعامين شقيقى الثانى وتزوج أيضا فور تخرجه وعمل طبيبا بأحد المستشفيات الاستثمارية ، وتخرج شقيقى الثالث وهو أصغرنا جميعا وتزوج بعد تخرجه بعامين وانتقل للاقامة فى الاسكندرية حيث يعمل عملا حرا فيها .

أما أنا فقد تخرجت وعملت بإحدى الشركات بمرتب كبير ، وخلا البيت من أخوتى فأصبحت وحيدة تمامًا أعود إليه من عملى بعد الظهر فلا أجد من أحدثه أو يسمعنى منذ أضع المفتاح فى باب الشقة . . إلى أن أغادرها للعمل فى صباح اليوم التالى فإذا ضقت بوحدتى وفكرت فى أن

أزور أحد أخوتى لاتحدث معه ازددت احساسًا بالوحدة لأنى إذا زرت شقيقى هذا وجدته يشكو لى من شقاوة أولاده ومشاكلهم أو من زوجته وكثرة شجارها معهم ومعه وإذا ذهبت إلى أختى تلك وجدتها تشكو لى من تسلط زوجها عليها وعناد أولادها معها ـ فأسمع مشاكلهم ولا أجد من يسمعنى واتحدث إليه عن نفسى وهمى ووحدتى فأعود إلى البيت وكأنى لم أخرج منه فقد سمعت وأنا فى البيت أسمع أيضا ولا اتكلم حيث أسمع الراديو والتليفزيون ولا أتكلم إلا مع نفسى . . . والجميع مشغولون بأنفسهم ومشاكلهم وليس عندهم متسع لمشاكل الآخرين .

ومضت الأيام ووجدت نفسى اليوم احتفل بعيد ميلادى الخامس والثلاثين وحدى وبلا معايدة أو تليفون من أخوتى الذين لم يتذكروا عيد ميلادى وقد أصبحت زيارتهم لى عملة نادرة ومحسوبة بالدقيقة والثانية .

أما حين أمرض واحتاج إلى من يرعانى فأعانى الكثير لكى يأتى أحدهم ويقيم معى بضعة أيام . . وأحيانا أمرض ولا أجد من يجلس إلى جوارى فماذا جرى فى الدنيا يا سيدى حتى أصبحت أعانى من مشكلة إنى لا اتكلم مع أحد فى بيتى وأعانى من الصمت . . وما الخطأ فيما حدث ؟

هل اخطأت من البداية لأنى لم اهتم بنفسى على حساب أخوتى أم اخطأوا هم بانشغالهم عنى . . انها أسئلة كثيرة تدور فى ذهنى . ورأيت أن أكتب إليك بها لعلى أجد فى الكتابة بعض الراحة .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : فى قلب الإنسان المنصف متسع دائما لهموم الآخرين إلى جانب إنشغاله بأموره ومشاكله . . وكلما اتسع هذا المكان فى قلبه كان الإنسان غيرْيا يضع الغير فى اعتباره ويهتم بأمرهم وكلما

ضاق أو تلاشى كان الإنسان فرديا أنانيًا يرى الحياة من زاويته فقط ومصالحه واعتباراته وحدها .

والحياة تزداد صعوبة كلما تراجع فيها استعداد البشر للإستماع للآخرين ومشاركتهم أمورهم ومشاكلهم ولو بالكلمة الطيبة . فما بالك إذا كان هؤلاء البشر هم أهله وعشيرته ، لا لم تخطئى يا آنستى فى انشغالك بأمر إخوتك إلى أن خرجوا وتزوجوا وانصرفوا عنك إلى حياتهم وإنما أخطأوا هم فى حقك حين جرفتهم أمور الحياة اليومية عن الاهتمام بأخت لهم تكابد الوحدة بمفردها فى شقتها الواسعة بل وقصروا أيضا فى بذل الجهد المطلوب باستمرار وعلى المدى الطويل لمحاولة اتاحة فرص الزواج اللائق لك مع أن الساعى فى زواج شقيقته ساع فى عمل نبيل يقدره له الله ويجزيه عنه خيرا عميمًا حتى ولو لم يحقق هدفه .

إن الوحدة تثقل على الرجال الأشداء . ويضعفون أمامها حتى ليتحول بعضهم إلى أشباه مجانين إذا كابدوها طويلا ، والروائى الروسى مكسيم جوركى يقول «إن المرء فى خلوته يكون أقرب إلى الجنون منه إلى الرشد . . إذا راقبت سلوكه » .

فكيف بها مع آنسة وحيدة مثلك ؟

ان نصيحتى لك هى أن توسعى من دائرة صداقاتك مع زميلات العمل وأسرهن وأن تزوريهن وتستزيريهن كثيرا وأن تستعيدى روابطك العائلية التى تقطعت خلال معركتك مع الحياة ، وألا تتوقفى عن زيارة شقيقاتك واشقائك وأن تطالبيهم بحسم أكثر بحقك عليهم فى الاهتمام بأمرك وفى زيارتك فى فترات متقاربة ، وفى رعايتك والاقامة معك إذا

مرضت ، واطالبك بأن تكونى أكثر تمسكا بحقوقك عليهم فأنت لا تطلبين منهم خدمة تطوعية لهم أن يؤدوها أو لا يؤدوها وإنما بحق لك ليس مقبولا منهم التقاعس عنه فالتهاون فى حقوقنا لدى الآخرين قد يشجعهم أحيانًا على التكاسل عن أدائها واعتياد تجاهلها ، وأنت قد أديت واجبك كاملا تجاههم وأفضل الأوقات لأداء الديون هو الوقت الذى يكون الدائن فيه فى حاجة إلى دينه القديم ، وليس هناك وقت أفضل من هذا الوقت لكى ينهض اخوتك لأداء دينهم لك والاهتمام بك واشعارك بأن حياتك الماضية لم تكن عبثا بلا طائل ويبقى الأمل بعد ذلك فى أن تجد وحدتك حلها الأمثل فى حياة زوجية وأبناء يملأون عليك حياتك . . وتشكين من مشاكلهم لإخوتك كما يشكون لك على أن يكون فى قلبك دائما وإلى الأبد متسع أيضا لمشاكل الآخرين وهمومهم دائما بإذن الله .

ألــــوان الـــورد !

أكتب لأروى لك قصتى . . فأقول لك أننى فتاة من أسرة مصرية عادية نشأت فى بيت يسوده الحب والحنان والتفاهم بين أبى الموظف بوزارة الزراعة وأمى الموظفة بوزارة الرى وأختى التى تصغرنى مباشرة وأخى الأصغر ، وككل الأسر العادية كانت أفراحنا بسيطة . . وهمومنا صغيرة فتعلمنا فى المدارس المصرية . . ونجحنا ورسبنا . . واستعنا بمجموعات التقوية فـى المدارس حتى اجتزنا السنوات الصعبة فى دراستنا . . والتحقت أنا بكلية نظرية . . وتعودنا على أن يذاكر الكبير للصغير . . فكان أبى وأمى يذاكران لى . .

وحين كبرت بدأت أنا أذاكر لأختى . . وحين كبرت أختى بدأت تذاكر لأخى . . وتقبلنا حياتنا راضين وسعداء بها نعرف بعض الرخاء فى أوائل الشهر ثم نستعد للأيام الجافة بعدها فلا نضيق بها ونحرص على أن نرتدى الملابس اللائقة فى حدود امكانياتنا . . ونشترى معظمها من مشروع الكساء الشعبى . . ، ومع ذلك يشهد لنا الأهل والجيران والأصدقاء بالأناقة وحسن المظهر ، وأبى وأمى متحابان ومتفاهمان دائما ويتفاخران أمامنا بأن كلا منهما قد اختار الآخر عن حب عميق وبأن حبهما يزداد مع الأيام!

وبسبب هذا الجو العائلى الذى تفوح منه رائحة الحب والتفاهم استقر فى أعماقى أنى لن أتزوج أبدا إلا ممن أحبه ويحبنى فانصرفت إلى دراستى الجامعية . . ولم استجب لأى محاولة للتودد لى لا اتوسم فيها الجدية . . ولا تستجيب مشاعرى لصاحبها وفى عامى الثالث بالجامعة تقدم لى ابن أحد أقارب أبى البعيدين . . وهو الثرى الوحيد فى الأسرة . . ويملك الكثير ، أما ابنه فهو شاب مدلل متعثر فى دراسته وشبه متفرغ لمشروعات خاصة لا تربح ولا تخسر لكنه يتعزى بها عن تعثره فى الدراسة ويركب سيارة مرسيدس بيضاء . . ولم يكن أبى يستريح إليه . . لكن أباه رجاه أن يعطيه فرصته لعله ينجح فى اقناعى فيكون زواجى منه كما قال بداية لانصلاح حاله . . وافق أبى وفاتحنى وابدى رأيه فيه بصراحة وهو أن قد يكون ثريا وجاهزا وقادرا على الزواج على الفور . . لكنه مدلل . . ولا يعتمد عليه . . فإذا اقتنعت به فلن يرغمنى على عكس ما أريد ، ورغم نفورى من الفكرة . . فقد قررت أن أعطى نفسى الفرصة للتعرف عليه عن قرب لكيلا أظلمه . . فوافقت على أن يزورنا فى البيت وأن اجلس معه فى الصالون عدة مرات . . على أمل أن يخلق ذلك التفاهم بينى وبينه، ورفضت قبول أيه هدية منه خلال فترة الاختبار رغم أنه جاءنى فى ثانى زيارة بهدية من «الألماظ» تدير الرأس ، وبعد عدة زيارات وجدت نفسى لا أميل إليه . . ولا تعجبنى فيه ليونته وعدم جديته . . وتخيلت نفسى اعيش حياة رخَّية بلا حب فلم اتهلل لهذا الخاطر . . فحسمت أمرى وأبلغت أبى بأنى لا أوافق عليه فلم يدهش . . أما أمى فقد ضحكت وقالت لى : أنت «فقرية» مثلى تريدين الحب ولا يهمك

العز . وأشارت لأبى فأجاب باسما :

الله يسامحك !

وكانت أمى تنوه بذلك للقصة التى عرفناها منذ طفولتنا . . من أنها فضلت أبى الموظف الذى لا يملك الامكانات لأنها احبته فى صمت وهو صديق شقيقها على ابن عم أبيها الوارث الغنى الذى كان يعدها بالثراء والراحة !

وانتهت هذه القصة سريعا . . وفى عامى الجامعى الأخير احتجت إلى أن أصور بعض مذكراتى فتوجهت إلـى مكتبة غير بعيدة عن بيتنا لتصويرها . . وصورتها . . ودفعت الثمن وشكرت الشاب الوسيم الذى قام بالمهمة فلم يرد على، فانصرفت مستاءة منه ، ونسيت الأمر بعد لحظات . . ثم احتجت إلى تصوير مذكرات أخرى بعد شهر فتوجهت إلى المكتبة . . وتذكرت فجأة «غلاسة » الشاب الذى يعمل فيها فكدت أعدل عن الذهاب وأبحث عن أخرى . . لكنى استثقلت المشى فدخلتها . . وتكرر نفس الشىء ـ فثرت وعدت إليه وسألته لماذا لم ترد . . ففوجىء بثورتى . . واندهش واقسم لى أنه لم يسمعنى وأنه مشغول الذهن بامتحانه القريب واعتذر طويلا وعرفت منه أنه طالب فى السنة النهائية باحدى الكليات العملية وأنه يعمل بعد الظهر فى هذه المكتبة ليساعد نفسه . . ورق قلبى فقبلت اعتذاره وانصرفت وترددت على المكتبة بعد ذلك عدة مرات كان خلالها يقابلنى بكل احترام ومودة . . وبعد فترة فاجأنى بأنه يعرف أبى وأختى وشقيقى وباختصار انطلقت الشرارة السحرية التى تكتب عنها فى ردودك فى قلبينا فى لحظة واحدة تقريبًا . . ونجحت فى

الليسانس . . ونجح هو فى البكالوريوس وتقدم لأبى يطلب يدى . . وفاتحنى أبى فى الموضوع وهو ينذرنى بأن الشاب من أسرة طيبة . . وأباه مدير عام بأحدى الوزارات لكنه لا يملك شيئًا وأمامه مشوار طويل لكى يستطيع أن يدبر الشقة . . ووافقت . . وسعدت أمى بأن أبنتها مثلها لا ترضى بغير الحب بديلا . . وتمت الخطبة . . ودخل محمود أسرتنا فأحبه كل أفرادها . . وبدأنا مشوار الألف ميل لتحقيق أحلامنا ونجح أبى بعد عذاب فى توفير عمل لى يدر علىَّ ٨٠ جنيها . . ونجح أبوه فى توفير عمل له براتب ١٢٠ جنيها . . واستمر محمود يعمل فى المكتبة بعد الظهر مقابل ٦٠ جنيها . . وبحثت فى الصحف عن عمل اضافى لندبر تكاليف الزواج . . فوجدت عملا كموظفة استقبال فى فندق ٣ نجوم لا يبعد كثيرا عن مسكننا وتقدمت إليه ونجحت فى الاختبار فأصبحت أبدأ يومى فى السابعة صباحًا فأذهب إلى عملى الحكومى فى الثامنة . . وأخرج منه فى الثانية فأركب المواصلات إلى الفندق لأتسلم عملى فى الثالثة وابقى فيه إلى العاشرة مساء إلى أن يجيء محمود ويصطحبنى إلى البيت . . أما هو فيبدأ عمله فى الثامنة صباحًا إلى الثانية . . ثم ينتظرنى على باب الفندق ليطمئن علىَّ ونتحدث لمدة دقائق قبل أن اتسلم عملى ، ثم يذهب إلى بيته للراحة لمدة نصف ساعة ويتسلم عمله الاضافى الجديد فى أحد المكاتب المهنية فى الرابعة ويغادره باذن خاص فى العاشرة إلا ربعا ليأتينى فى الفندق ، أما فى يوم الأجازة الأسبوعية فإنى اصحو من نومى فأجده فى بيتنا ! ولا نفترق حتى الليل . . وقد أثار هذا بعض الحرج . . وتحدث فيه أبى مع أبيه فأجابه ببساطة ولماذا لا نعقد قرانهما الآن ونؤجل الباقى إلى أن تتيسر

الأمور . فينتفى الحرج . . فلم يملك أبى إلا أن يوافق . . وفى الجمعة التالية عقدنا القران بلا احتفال .

وواصلنا الكفاح . . وقدم والد خطيبى له المبلغ الذى أعلن أنه سيساهم به فى زواجه وهو اقصى ما يستطيع أن يقدمه له . . واستبدل أبى جزءا من معاشه وقدم لى المبلغ وانشغلت أمى منذ اللحظة الأولى فى دخول «جمعيات » بجزء من راتبها وشراء بعض الحاجيات لى . ورفض أبى أن يأخذ المبلغ الذى أراد خطيبى أن يدفعه لى مهرا وطلب منه أن يخصصه لمشروع الشقة وأصبحت أنا أمينة الصندوق لكل ما نوفره . . وكل شهر أسجل ما وفرته وما وفره خطيبى وأضيفه إلى [illegible] وجاءت الفرصة عن طريق نقابته فحجزنا شقة نتسلمها خلال ٤ سنوات . . ودفعنا المقدم ألف جنيه واشتريت غرفة النوم وخزنت قطعها فى «فراندة» الشقة . . وواصل محمود عمله الصباحى والمسائى . . وكلما فقد العمل الاضافى بحث عن غيره . . وتنقل بين جميع الأعمال التى يمكن أن تتخيلها فعمل فى مكتب هندسى . . وفى مكتب محام . . بل عمل سكرتيرا فى عيادة طبيب . . وفى وسط هذه الدوامة دعينا لحضور حفل زفاف قريبى الذى رفضته . . وجاءنا هو بنفسه ليدعونا ويدعونى أنا وخطيبى بصفة خاصة ويصر على حضورنا واحسست بأنه يريد أن يقول لى « تعالى لتتفرجى على العز الذى حرمت نفسك منه » فقررت قبول التحدى وقلت لنفسى « . . ولماذا لا نتمتع بسهرة جميلة تخفف عنا جفاف حياتنا وعملنا المتواصل؟» وذهبنا مع أسرتى إلى فندق هيلتون . . وكانت المرة الأولى التى أدخله فيها . . وتوجهنا إلى قاعة ألف ليلة فرأيت ما لا عين رأت ولا أذن

سمعت . . رأيت الديوك الرومية والخراف المشوية بالأكوام واستمتعنا بسماع ورؤية نجوم الطرب المشاهير الذين نراهم فى التليفزيون وعرفت أن احدهم تقاضى خمسة آلاف جنية خلال نصف ساعة . . ورأيت رأى العين التورتة ذات الإثنى عشر دورا التى يفتح عنها الستار فى مسرح جانبى وسط المشاعل والأضواء . . ربما تتصور أنى ندمت أو أحسست بالحسد. . لكنى أقسم لك بالله العظيم أنى لم أحسد الفتاة التى نالته . . ولم أسخط على اختيارى أو عجز خطيبى . . لأنى تربيت فى بيت لا يعرف الحسد والحقد . . ويؤمن بأن لكل إنسان نصيبه . . فامضيت السهرة سعيدة أداعب أسرتى . . وأضحك من قلبى على نكت خطيبى «الغلس» إذ نسيت أن أقول لك أننى اكتشفت بعد الأيام الأولى أنه يخفى تحت غلاسته معى فى اللقاءين الأولين روحا مرحه ولا عادل امام وظرفا وأدبا كبيرين . .

واستمررنا فى كفاحنا ٤ سنوات فوجئنا خلالها بأن مقدم الشقة قد ارتفع إلى ٦ آلاف جنيه . . ولابد من دفعها فدفعنا فيها المبلغ الذى كنا نخصصه للأثاث . . ، ورأت أمى أن الخطبة طالت فقررت أن نتزوج على أن نقسم اقامتنا بين بيتنا وبيت أسرة خطيبى بالعدل فنمضى هنا ٦ شهور وهناك ٦ شهور ورحب خطيبى وأسرته بالفكرة . . وتم الزفاف السعيد فى حفل بسيط بقاعة أفراح متواضعة فى كازينو على النيل ودعا أبى رؤساءه وأصدقاءه وأقاربه، ومن بينهم القريب الوحيد الثرى، فجاء الجميع وجاء الشاب الذى حضرنا زفافه التاريخى فى فندق هيلتون ومعه فتاة قدمها لنا على أنها خطيبته! فرحبت بها بحرارة ولم أندهش لأننا كنا قد عرفنا منذ

شهور أنه طلق زوجته بعد خلافات عاصفة معها بسبب استهتاره وعدم توافق طباعهما.

وانتهى الحفل على خير ما يرام .. وفعلنا كما يفعل أبناء الذوات فتوجهنا إلى الفندق الذى أعمل به لأمضى الليلة فى جناح العرائس كهدية من مدير الفندق لى وفوجئت عند ذهابى عند منتصف الليل بزملائى يقفون على باب الفندق فى صفين بالملابس الرسمية وهم يحملون مشاعل كالتى رأيتها يوم هيلتون ثم يزفوننا إلى داخله .. ثم إلى تورته كبيرة ستة أدوار فى الصالة الداخلية ومصور الفيديو يصور كأننا من أبناء الأكابر .. وشربات .. وبالونات .. وسياح يتفرجون والجميع يهنئون ويضحكون وأمى وأبى وأختى وأخى فى غاية السعادة .. وأنا أضحك .. وأدمع .. واهمس لزوجى «شفت» ؟. ربنا دائما .. مع الغلابة !

وبدأت حياتى الزوجية .. وبعد يومين غادرنا الفندق إلى بيت أسرة زوجى وعشنا ٦ شهور تفاهمنا خلالها على أنه مهما حدث من احتكاكات متوقعة بسبب الاقامة مع الأهل عندى أو عنده فلن نغضب من أحد ولن نعتب على أحد .. ثم أمضينا ٦ شهور مع أسرتى .. ورأت أمى أن الوقت مناسب للانجاب بعد أن بلغت السابعة والعشرين فانجبنا «عمر» ولم يتغير شىء فى حياتنا فالعمل من الصباح حتى العاشرة مساء ويوم الأجازة عيد ! وشقيقى الذى كبر وأصبح فى الثانوية العامة يحمل إلىّ طفلى كل مساء على باب الفندق إذا كانت الاقامة عند أهل زوجى لأصطحبه معى للبيت .. وهو يقول لى فى كل مرة متسخطا .. «انتو تحبوا واحنا نشيل!» لكنه اخ رائع واحبه كل الحب !

ومن حين إلى آخر يذهب زوجى إلى النقابة . . أو إلى شركة المقاولات التى تنفذ المشروع . . ويسأل ويتشاجر . . ويذهب إلى الصحف وينشر الشكاوى من تأخر تسليم الشقق . . وقد نشرتَ له فى بريد الأهرام احدى هذه الشكاوى منذ عامين ، وكل عدة شهور يطلبون زيادة فى المقدم فنعصر جيوبنا لنجمع المبلغ وندفعه . . ، والحياة تسير . . وكل تعب اليوم يتلاشى حين نعود إلى البيت . . ونتحدث فى صفاء ، وحصل زوجى من عمله الصباحى على أول أجازة سنوية تستحق له . . فإذا به يرفض أن يستريح ويذهب إلى العريش ليعمل فى قرية سياحية هناك ويعود ومعه مائتا وخمسون جنيها . . ليواصل الكفاح . . وأخيرا حدثت المعجزة . . وتسلمنا مفتاح الشقة . . ولم نحاول أن نشكو من التشطيب وإنما قررنا أن نحولها إلى جنة . . فنقلنا إليها غرفة النوم التى اشتريناها منذ ٤ سنوات . . ورحنا نصلح أخطاء التشطيب ونعيد طلاء الأبواب بأنفسنا وباللون الوردى وأنا أكتب إليك الآن من عش الأحلام الذى انتظرته ٦ سنوات . وأريد أن أصفه لك : الشقة مكونة من غرفتين مغلقتين ومساحة مفتوحة مفروض أن تضم الصالون والسفرة والأنترية . . احدى الغرفتين وضعنا فيها غرفة النوم . . والغرفة الثانية وضعت فيها كليما ملونا وسريرا للأطفال أضع فيه طفلى ومائدة أضع عليها طقم الصينى . . والبقية تأتى . ! المساحة الخالية وضعت فيها مائدة مستديرة و٦ «كراسى » وسنكمل باقى السفره خلال عام أو عامين . . قل يا رب ! إلى جوارها انتريه هو فى نفس الوقت صالون يكفى للغرض عدة أعوام ثم ملأت المساحات الخالية من الصالة ببوفات شرقية رخيصة . . وبعض كراسى القش التى لونتها كلها باللون الوردى

وتليفزيون ملون ١٤ بوصة من مدخراتى ومدخرات زوجى . . والحوائط كلها تقريبًا مغطاة ببراويز ـ يجيد زوجى صنعها ـ تحمل صور الزفاف . . وبعض المناظر الطبيعية . . أما مطبخى ففيه ثلاجة ١٢ قدم وبوتاجاز مصانع عملى ومائدة وفى الحمام غسالة أطفال صغيرة وفى الخطة الخمسية القادمة شراء غسالة نصف أتوماتيك بالتقسيط . . والحمد لله على كل حال . .

وقد جلسنا فى أول يوم اختلينا فيه بأنفسنا فى شقتنا نراجع موقفنا فوجدنا أنى قد قاربت الثلاثين . . وزوجى الثالثة والثلاثين وقررنا أن استمر فى العمل الاضافى إلى أن يسدد زوجى النقود التى اقترضها من شقيقه الأصغر لنشترى الثلاجة والبوتاجاز والغسالة . . وسينتهى ذلك خلال عام ان شاء الله . . ، وبعد ذلك اتوقف عن العمل المسائى واكتفى بعملى الصباحى لأتفرغ لطفلى وزوجى وبيتى أما زوجى فسوف يستمر فيه إلى أن نستكمل تأثيث شقتنا ثم يستريح . . أو ربما يستمر ليشترى سيارة هو حر ! أما أنا فهذا كاف بالنسبة لى . . وأنا سعيدة بما حققت . . وأشكر الله عليه وأقول لكل شاب وفتاة لا تيأسوا من رحمة الله . . وكافحوا مثلنا واصبروا ولا تتخلوا عمن تحبون بسبب الشقة أو الامكانات ولا تتسرعوا بقبول من لا تحبون لمجرد أنه جاهز . . فسعادتى مع من احب ويحبنى ويراعى الله فى معاملتى فى هذه الشقة شبه الخالية لا تقدر بمال ولو عشت فى شقة فاخرة مع من لا احبه ولا يسعدنى فلا شىء يعوضنى عن تعاستى . . ولا أريد أن أنهى رسالتى إليك دون أن أذكر أن بابك الجميل هذا كان خير عون لنا فى كفاحنا . . وأننا كثيرا ما تعزينا عن شقائنا بما كنا نقرؤه فيه من مشاكل الناس . . وآلام الحياة وبما قرأنا لك من ردود تدعو

فيها الشباب إلى ألا يتنازلوا عن أحلامهم وأن يتسلحوا بالإرادة والصبر لتحقيقها . . كما شدت أزرنا قصص الحب والكفاح التى نشرت فيه خاصة قصة الطبيب الشاب وحبيبته « المجنونة » ـ كما وصفها ـ التى رفض أبوه زواجه منها بسبب الوضع الاجتماعى واضطهده وسلط عليه الشرطة ليطلقها فتحملا الضغط والحرمان وناما على مرتبة من الأسفنج ودفعته زوجته بإرادتها الحديدية للأمام وشجعته على الحصول على الماجستير، والنجاح فى حياته حتى عاد لمصر من الخارج فى اجازة بعد ٨ سنوات فاصر على أن يقيم لنفسه حفل الزفاف الذى حرم منه عندما تزوج . . واصر على أن يزف من جديد إلى عروسه بعد ٨ سنوات من الزواج .

ولا تكفى الكلمات لشكرك . . لهذا فسوف أقدم لك مشكلة جديدة فى حياتنا الآن لكيلا يفقد بابك لونه وهو باب للمشاكل . . فأقول لك أن أختى الصغرى قد أصبحت الآن طالبة فى ليسانس الآداب وقد تقدم لها محاسب عمره ٣٩ سنة يعمل بإحدى الدول العربية منذ ١٠ سنوات ، ويملك شقتىْ تمليك فى مدينة نصر . . وعنده سيارة فولفو مكيفة وجاهز من كل شىء ويريد أن يقدم لها شبكة بـ ٨ آلاف جنية ومهرًا ١٠ آلاف جنية ومتمسك بها ويحاول اقناعها باصرار وأبى وأمى لا يعترضان على شىء فيه لأنه على خلق ومن معارف الأسرة . . لكن أختى « الفقرية » أيضا لا تحبه . . وتفضل عليه معيدا بنفس الكلية على «فيض الكريم » ولا يملك شقة وأمامهما معا ٧ سنوات على الأقل من الشقاء المتواصل لكى يحصلا على شقة ويتزوجا . . وهى تريد أن تعلن خطبتها عليه فى إجازة نصف السنة الدراسية فى يناير القادم . . وأكثر المتحمسين له فى أسرتنا

بعدها هو شقيقى الذى أصبح طالبا بالسنة الثانية بكلية التجارة . . لأن المعيد سعى للتعرف عليه فى الكلية وكسب صداقته وأعجب شقيقى بأخلاقه . . فماذا تقول فى هذه الأسرة التى تجرى وراء الفقر برهوان ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة :** أقول فيها يا سيدتى أنها أسرة رائعة تستهدى بفطرتها السليمة وبقيم دينها الحنيف التى تقول : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » وأسرة تستهدى بكل القيم السماوية التى تكرم الإنسان وتستهدف سعادته ، وتعرف أن أكرم الخلق أجمعين حين خطب له عمه السيدة خديجة قد اعتذر لآلها فى كلمته التقليدية التى يقدمه بها لهم عن فقره بأن المال ظل زائل وعارية مسترجعة ، وبأن قيمة الإنسان فى شرفه وخلقه وليست فى أى شىء آخر . . وأنت بالطبع تداعبين بسؤالك غير الاستنكارى هذا نفسك وشقيقتك . . وتؤكدين به ما عرفته أنت بالتجربة الشخصية من أن السعادة حيث يستكين القلب . . وليست فى أى مكان آخر ولا عجب فى ذلك فلقد نشأت أنت وشقيقتك فى بيت يتنفس أنفاس الحب والسعادة والوئام . . وفى ظل أبوين متحابين ، وأم لها تاريخ قديم فى تفضيل الحب والسعادة على الثراء بلا سعادة . . لهذا فإن نجمة هذه الأسرة فى رأيى هى السيدة والدتك التى انتقلت إليكما منها هذه الفطرة السليمة . . ولا ينقص ذلك من فضل أبيكما العظيم الذى لا يحكم على البشر بمقياس الامكانات وحده . إذن فلا عجب فيما رويت لى وان كنت قد اسعدتنى برسالتك هذه ولا عجب فى أن تعرفى بفطرتك السوية أن غاية الحياة هى السعادة وليست المال فى حد ذاته . . وأن من حق كل إنسان أن يبحث

عن سعادته بالوسائل المشروعة حيث يجدها . فإن جاءته مع الثراء فأهلا بها وبه وإن جاءته عن غير طريقه فلكل شيء فى الحياة قيمته . . وما نصل إليه بالعناء تزداد أهميته لدينا ونزداد استمتاعًا به وحرصا عليه وأنت وزوجك وامثالكما من الشباب المكافح من هؤلاء الذين ينطبق عليهم المثل الشرقى القديم الذى يقول أن النار تتلف الخشب لكنها تزيد الحديد قوة ، لهذا قد زادتكم نار الكفاح قوة وصلابة وقدرة على الاستمتاع بكل خطوة تحققانها على طريق الأحلام الطويل ولسوف يحقق الله لكما كل احلامكما ما تمسكتما بالحب والإرادة والصبر والكفاح . . فأنتم بلا شك ممن عناهم الحديث الشريف الذى تحدث عن ثلاثة « حقٌ على الله عونهم » . . أحدهم « الناكح الذى يريد العفاف » . . لهذا فكلى ثقة من أن شقتك شبه الخالية هذه التى طليت أبوابها بلون الورد سوف تصبح قصرا جميلا خلال سنوات معدودة بإذن الله . . بل هى من الآن أفخر من قصر . . وأكثر قيمة منه . . لأن فى رحابها تجدان السعادة والسكينة وراحة القلب التى عجزت ملايين البعض عن أن تشتريها لهم. وأى شقة مهما كان مستواها تصبح قصرا حقيقيا إذا خلت من الشقاق . . والبغضاء . . والآلام ولقد كان الأديب الروسى العظيم انطون تشيكوف يقول : لو أن كل إنسان فعل ما بوسعه لتجميل رقعة الأرض الصغيرة التى يعيش فوقها بالحب والتفاهم ولمسات الجمال لصار كوكبنا فتنة للأنظار ! وأنت يا سيدتى قد فعلت ما بوسعك لتجميل الحياة فوق رقعة الأرض الصغيرة التى كافحت كفاح الأبطال للحصول عليها . . وسوف تفعلين المزيد والمزيد لكى يصبح عشك فتنة للأنظار . . وللقلوب المتلهفة على الحب والسعادة والسلام . . فهنيئا لك وشكرا على رسالتك . . وعقبى لمن ينتظر!

هــــدوء العاصـــفة

لا أعرف هل تذكرنى أم لا انتى السيدة التى كتبت لك رسالة نشرتها منذ أكثر من ٣ شهور تحت عنوان « قلب العاصفة » وتفضلت بابداء الرأى والمشورة فى قصتى التى رويتها لك ، وكان ملخص قصتى أننى نشأت بين أب صارم لا يعرف إلا اصدار الأوامر بسبب نشأته العسكرية وأم طيبة مستكينة وشقيقين ، والتحقت باحدى كليات جامعة الاسكندرية فأقمت مع جدى فى الثغر بعيدا عن بيت أسرتى ، وتعرفت خلال دراستى بشاب مهذب هو ابن صديق لجدى ونما بيننا حب طاهر عميق ، ثم أنهيت دراستى وعدت إلى القاهرة وانتظرت تخرج فتاى فى كلية الطب حتى تخرج وجاء مع أبيه وجدى لمقابلة أبى رجل الأعمال فردهم بجفاء بحجة أن فتاى ليس من مستوى الاجتماعى ولا يحق له أن يطمح إلى الزواج منى ، ورويت لك أننى عشت على أمل أن يغير أبى رأيه عامين ثم يئست من ذلك نهائيا بعد وفاة جدى رحمه الله . . فاستسلمت وقبلت تحت ضغط أبى الزواج من شاب آخر وجد فيه الشروط الملائمة لعريس ابنته ، وكيف صارحت خطيبى بقصتى وحاول باخلاص أن ينسينى آثار تجربتى السابقة ، وتزوجنا لمدة عام لم نختلف خلاله يوما واحدا لكنه أحس أنه لم ينجح معى

فتفاهمنا على الانفصال بلا مرارة وطلقت ثم نقلت إلى فرع الشركة التى أعمل بها فى الأسكندرية ، والتقيت بفتاى الأول وكان قد تزوج من ابنة أستاذه الطبيب الكبير ويعمل معه فى عيادته ومستشفاه ويستعد للحصول على الماجستير بمساعدة صهره ، وروى لى أنه لم ينجح فى نسيانى وأن زوجته لا تكف عن تذكيره بفضل أبيها عليه ، واعترف كل منا أنه لن يسعد إلا مع الآخر فتزوجنا على الفور وأبلغت أمى بالخبر لتتولى ابلاغ أبى فهبت علينا العواصف من كل ناحية ، فأبلغ أبى صهر زوجى بما حدث وحاول الطبيب الكبير أن يقنعه بتطليقى وهدده بأن زواجى منه سيدمره لأنه سيفقد عمله فى العيادة والمستشفى ولن يحصل على الماجستير ولن يجد عملا فى الاسكندرية ما دام هو على قيد الحياة ، فترك زوجى عمله بالعيادة والمستشفى وصرف نظرا عن رسالة الماجستير ، وتوالت علينا العواصف والمشاكل فاتصل صهر زوجى بمديرى فى العمل وافترى علىَّ ـ سامحه الله ـ عدة افتراءات ونجح بنفوذه فى وقفى عن العمل والتحقيق معى واستمر التحقيق مفتوحا بلا داع امعانا فى اذلالى وحاصر بنفوذه زوجى الطبيب الشاب فلم ينجح رغم تكرار التقدم لفرص العمل فى الحصول على عمل وقاطعنى أبى نهائيا وأكد أنه لن يعترف بهذا الزواج وأنه سيحرمنى من كل شىء وأصبح يغلق سماعة التليفون كلما حدثته وسد أبواب رحمته فى وجهى وقاطعنى تماما فلم يعد لى أحد سوى أمى التى لا تملك من أمرها الكثير خاصة بعد سفر الشقيقين للدراسة فى أوروبا وكتبت أروى لك كل ذلك وأسألك لماذا يغضب منا الآخرون ونحن لم نفعل شيئا يغضب الله. وسألتك ماذا بفعل حتى نعيش فى سلام وبلا حروب فى الرزق وبلا ضغوط من

جانب أبى وأننى لا أريد مالا من أبى لكنى أريد عطفه وحنانه واعترافه بزواجى ممن احببت فقط ،فرددت علىَّ بأن لكل اختيار فى الحياة تبعاته التى ينبغى أن نتحملها راضين بها ما دمنا قد اخترنا بملء ارادتنا حياتنا ونحن نعرف ما سوف ندفعه من ضريبة لهذا الاختيار وقلت لى أننا الآن فى قلب العاصفة وقمة هياجها وأن أفضل ما نفعله هو أن يتشبث كل منا بالآخر لكيلا تقتلعه الرياح الهوجاء إلى أن تهدأ العاصفة ولابد أن تهدأ بعد حين ويتكفل الزمن بعلاج الجراح ، وتمنيت ألا يكون لزوجى أطفال من زوجته الأولى يدفعون ثمن اختيارنا لسعادتنا على حسابهم حتى تصفو لنا الحياة بلا مرارات وطالبتنى بألا أياس من محاولة استرضاء أبى إلى أن يرضى ذات يوم وبالصبر والصمود للعاصفة إلى أن تخمد . . ثم نشرت فى الأسبوع التالى أن أحد قرائك الأفاضل على استعداد لأن يوفر عملا لزوجى واليوم اكتب لك لأشكرك على نصائحك التى عملنا بها وشدت من أزرنا ولأطمئنك إلى أن زوجى لم ينجب من زوجته الأولى أطفالا والحمد لله ولأزف إليك بشرتين سعيدتين فى حياتنا الأولى هى أنى حامل فى شهرى السادس وأن الطبيب قد أخبرنى أننى سأرزق بتوءم إن شاء الله والثانية أنه بعد نشر الرسالة قرأها طبيب فاضل يملك مستشفى فى الدولة التى يدرس بها شقيقاى وعرف منهما أننى شقيقتهما فأبدى استعداده لأن يوفر لزوجى عملا فى مستشفاه وأن يساعده فى دراسته العليا وبالفعل أرسلنا أوراق زوجى إليه . . وسوف يتسلم عمله خلال أيام بإذن الله لكنى لم أشأ أن اكتب إليك بهذه الأخبار السعيدة إلا قبل سفرنا من مصر بيومين خوفا من أن يعرف صهر زوجى أو أبى الخبر عند نشر الرسالة فيحاولا منعنا من

السفر بطريقة أو بأخرى ، وقد تعلمنا مما تعرضنا له من أهوال خلال الشهور الماضية أن نتعلم الحذر ، وأن نفوذ صهرى أكبر مما كنا نتصور وحين يصل إليك خطابى هذا نكون قد حططنا الرحال فى بلاد الغربة غريبين فى بلاد غريبة ـ كما يقولون ـ لكن الحب يجمعنا . . والأمل يضئ قلوبنا بحياة هادئة سعيدة وقد قررنا أن نؤدى العمرة شكرا لله بعد ولادتى إن شاء الله أما أبى يا سيدى فقد عملت بنصيحتك وحاولت بشتى الطرق كسب وده لكنه أصر على ألا يعترف بزواجنا وألا يسمع لى أو يفتح لى باب الرحمة وظل طوال الشهور الماضية يضع سماعة التليفون بغير كلمة واحدة وبمجرد أن يسمع صوتى ولا يرد على خطاباتى وتوسلاتى له بأنى لا أريد شيئا سوى حبه ورضاه وهأنذا أغادر مصر هاربة منه ولا يدرى إلا الله متى نعود إليها . . ومتى يجمع الله بيننا وبين من فارقناهم ، لكنه وكما قلت لى فى ردك يجب علىَّ أن أتمسك بزوجى حتى لا يفقد كل منا الآخر بعد أن فقدنا من فقدنا وسوف أواصل الكتابة إليك من الخارج لاطمئنك على أخبارى . . واطمئن منك على اخبار مصر . . وفى النهاية أجد نفسى عاجزة عن شكرك لكن لى عندك طلبًا آخر هو أن توجه كلمة لأبى ليصفح عنى ولا يقطع ما بينى وبينه إلى الأبد فأنا ابنته مهما حدث وأحبه مهما فعل معى ولن أكره شيئا فى الحياة مثلما سوف أكره أن يجىء اليوم الذى يسألنى فيه أطفالى عن جدهم فلا أدرى بماذا أجيبهم به . . ، وختامًا لك سلامى وتحيتى .

☐ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : ما نحصل عليه بثمن رخيص ننظر إليه غالبا بدون اهتمام أما ما نحصل عليه بالثمن الغالى فهو وحده الذى

يستحق البقاء والاهتمام والتكريم ! هكذا كتب ذات يوم الكاتب الانجليزى توماس بين . . وهى كلمة صادقة تنطبق بدقة على قصتك وعلى مواقف كثيرة فى الحياة ولقد كانت العواصف الهوجاء التى هبت عليكما جزءا من هذا الثمن الغالى الذى حصلتما به على سعادتكما . . لهذا فهى جديرة بالاهتمام والرعاية والاستمرار لكيلا تذهب معاناتكما بلا طائل، واستمرار جفاء أبيك لك بعد كل ما جرى هو أيضا جزء من هذا الثمن الغالى . . وإن كان باهظًا وقاسيًا ولا مبرر لاستمراره. لقد هدأت حدة العاصفة من حولكما . . لكنها لم تخمد نهائيا بعد ، لا تنسيا أبدا يا سيدتى هذا الثمن الغالى لكى تدركا دائما قيمة السعادة وأهمية استمرارها وحمايتها من صدأ الاعتياد . . وفتور الأيام .

أما أبوك فلا تكفىِّ مرة أخرى عن محاولة استمالته واسترضائه ولا تفقدى الأمل فى ذلك مهما أبدى لك من جفاء . . واكتبى إليه من الخارج فى كل مناسباته العائلية وفى الأعياد ، وابعثى إليه بصورة طفليك القادمين بإذن الله لعلها تحرك مشاعره وتذكره بما يحاول عبثا تجاهله وهو أنك ابنته وهو أبوك مهما صنعت تصاريف الأيام . ولا تتوقفى عن الكتابة إليه ولو لم يرد على رسائلك لأنك إنما ترجين رضاء ربك قبل رضائه ولابد أن يلين قلبه ذات يوم . والكلمة الوحيدة التى أوجهها له بناء على رغبتك هى : يا سيدى لقد قضى الأمر وتزوجت ابنتك على سنة الله ورسوله وهى تنتظر الآن طفلين سيجيئان إلى الحياة بعد أسابيع . . ولن تتخلى عن زوجها الذى اختارته وسارت معه على طريق الأشواك وتوثقت روابطها به بالحمل . . فماذا يجدى الآن اصرارك على قطيعتها سوى أن تحرم نفسك من

أبنه تتحرق شوقا إلى رضائك عليها ولا تطلب منك شيئا سوى ذلك ، يا سيدى إن العدل والرحمة والحكمةتطالبك بألا تغلق أبواب قلبك فى وجه ابنتك . . وبألا تقطع ما بينك وبينها ، لقد أطاعتك ابنتك فى زواجها الأول الذى تم بمعاييرك أنت فشقيت به ، ثم تزوجت على غير ارادتك بمن أرادته منذ البداية وأعيتها كل الحيل فى اقناعك به ، فسعدت معه وحملت منه ولم يفرق بينهما شىء . . وأقدمت على ذلك لأنها كانت تعرف جيدًا أنها لن تحصل على موافقتك مهما فعلت . . وهى تعترف لك بأنها اخطأت فى ذلك لكن عذرها أنها لم تستطع أن تدع فرصة السعادة تفلت من بين يديها حين جمعتها الأقدار مرة أخرى مع من أرادته وانتظرته طويلا . . فهل يستحق ذلك كل هذا العقاب القاسى ؟وألا تحن إليها وتئن عليها احشاؤك كما تحن هى إليك وتئن عليك احشاؤها؟ يا سيدى إن قيمة الإنسان الحقيقية تتحدد بمن يعنيهم أمرنا وبمن يمثل لهم رضاؤنا عنهم أو جفاؤنا لهم شيئا ذا قيمة واعتبار . . فلماذا تريد أن تحرم نفسك من ابنة شابة سعيدة فى زواجها ومن ابن شاب جديد هو زوجها لم تتكلف جهدا فى تربيته وتعليمه ويحمل لك مشاعر الاحترام والتهيب ويتحرق لنيل قبولك ورضاك ثم من أحفاد صغار سوف يأتون من عالم الغيب . . فيمثلون امتدادك وتواصلك مع الحياة ، هل حقا تريد أن تحرم نفسك من كل هذه « النعم» التى يتلهف غيرك على بعضها .

ومن تعاقب سوى نفسك إذا اصررت على أن تحرمها من كل ذلك؟ يا سيدى إن الله يغفر الذنوب جميعًا . . فكيف لا تتسع رحمتك لما فعلت

ابنتك وهو هيِّـن ، فإذا كنت تقدِّر كل ذلك فترقب أول رسالة تصل إليك من ابنتك . . وأعلن صفحك عنها يهدأ خاطرك وتصفو حياة ابنتك من الكدر . وتهنأ قلوب أمها وشقيقيها وزوجها ويتضاعف احترامك واجلالك فى عيون الجميع . فهل تفعل ذلك حقا؟!

حـــادث الشـــاطئ !

مشكلتى تؤرقنى لكن أملى كبير فى أن أجد لها حلا فأنا يا سيدى زوجة فى مقتبل العمر . . تزوجت من زوجى عن حب واقتناع به وبشخصيته فقد كنا جيرانا ومستوانا العلمى والاجتماعى والدينى واحد . . وكنت بطبيعتى معتدلة فى كل أمور حياتى . . ومتدينة بلا تزمت فلم أرتد يومًا ملابس لافتة للنظر أو خارجة عن المألوف ، ولم أكن اضع المساحيق اللهم إلا فى مناسبات الخطبة والزواج العائلية وهى نادرة بطبيعتها فأضع قليلا من البودرة الهادئة ومنذ تزوجت زوجى أصبحنا لا نفترق إلا فترة عمله وعملى فما أن ينهى كلانا عمله حتى يعود إلى البيت وكله شوق إلى الآخر. . فنمضى الوقت نتناقش ونتحدث فى ود واحترام . . ونتفق دائما فى كل شىء . . ومن أهمه أن علاقة الإنسان القوية بربه مع التربية السليمة فى رعاية أسرة متدينة كفيلان بأن يقودا الإنسان دائمًا إلى التصرف الذى يتقى به غضب ربه . . لهذا لم يطلب منى زوجى أن ارتدى الحجاب . . وحرصت أنا على الاحتشام فى مظهرى . . وكانت أسعد أوقاتنا دائما هى التى نمضيها على شاطئ البحر حيث نقيم فى الاسكندرية فنتحدث وموج البحر يهدر أمامنا . . ونستمتع بالتهام الآيس كريم الذى احبه . . ومضت

حياتنا فى هدوء وتفاهم ثم لاحظت منذ شهور أن زوجى قد بدأ ينفرد بنفسه طويلا ليقرأ بعض الكتب . . ثم بدأ يعتذر عن العودة للبيت بعد انتهاء عمله ويمضى اليوم بعيدا عنى ولا يعود إلا متأخرًا ليلا ، وسألته عن سر هذا التغيير فأبلغنى بأنه يقضى بعض الوقت مع أصحاب له ، فبدأت احس بالقلق . . واستبعدت أن تكون لزوجى علاقة نسائية ، لكن التغير استمر وطالت فترات غيابه عن البيت . . فتملكنى القلق تماما . . ومن شدة خوفى عليه سمحت لنفسى بأن اتصل تليفونيا بأحد أصدقائه الذى أعرف اخلاصه لزوجى لاستطلع منه سر تغيره . . وحرصت فى حديثى معه على ألا أشعره بشىء وإنما سألته فقط عن أسباب انقطاعه عن زيارتنا ، ففوجئت به يقول لى أن زوجى قد أصبح له أصدقاء من نوع آخر . . وأنه حاول أن يلفت نظر زوجى إلى عدم ارتياحه لهذه الصحبة الجديدة فبدأ منذ ذلك الحين يتجنبه ولم يعد يقبل عليه كما كان يفعل قبل شهور . .

وازداد قلقى واضطرابى . . وكعادتى مع زوجى فى ألا أخفى عنه خواطرى ناقشته فيما عرفت ففوجئت به ينفعل وينهى المناقشة بأنى سأعرف كل شىء فى الوقت المناسب بعد أن يتخذ قراره ! وتضاعف قلقى وخوفى ، وبعد فترة لاحظت أن زوجى لم يحلق ذقنه لعدة أيام فلفت نظره إلى ذلك فأخرسنى بنظرة لائمة . . وبكلمات مقتضبة بأن على أن اتعود على ذلك لأنه سيلتحى ، ثم بدأ زوجى يرتدى الجلباب والطاقية فى البيت ويخرج بهما بعد الظهر لمقابلة أصحابه الجدد ويقضى معهم أغلب الليل ثم يعود حاملا بعض الكتب الدينية ، ثم امتنع عن الخروج بصحبتى نهائيا

إلا اذا تحجبت فلم أعارضه فى هذه الرغبة وارتديت الحجاب وظللت أرقبه بصبر اعتقادا منى أنه سيعود إلى طبيعته بعد فترة . . لكنه ابلغنى ذات يوم أننا سنستقبل ضيوفا أعزاء عليه . . وجاء الضيوف فكانوا مجموعة من السيدات المنقبات والرجال الملتحين الذين يرتدون الجلباب والطاقية البيضاء ، وانقسمنا على الفور إلى مجموعتين . . فريق من النساء فى حجرة وفريق من الرجال فى حجرة أخرى . . واستمرت الزيارة إلى ما بعد منتصف الليل فى أحاديث وأفكار غريبة لم أسمعها من قبل ولا أدرى من أية مصادر دينية أتين بها، واستمرت هذه اللقاءات وأصبحت أصاحب زوجى إلى هذه الزيارات وفرض علىَّ زوجى أن أرتدى النقاب مع أنى لست صاحبة فتنة وجمالى متوسط بحجة أن أصدقاءه يعترضون على وجودى بينهم بدون نقاب ، فتنقبت وأنا غير مقتنعة بذلك ولا راضية . . وإنما مرغمة إرضاء لزوجى وطاعة له . . وبعد فترة طلب منى أن استقيل من عملى وألح فى ذلك فقدمت استقالتى منه وأنا أعيش على أمل ألا تطول هذه الحالة الطارئة . . وأن نعود قريبا إلى حياتنا الطبيعة ، وأصبحت حبيسة جدران البيت لا أفتح الباب لأحد ولا أخرج إلا للاجتماعات مع نفس المجموعة ، ولا أسير فى الشارع بجانبه كما تفعل كل الزوجات وإنما خلفه ولا حديث بيننا إلا عن الحرام والحلال فقط . . ولا حديث عن المشاعر ، ولا الذكريات التى تربطنا . . ولا أى شىء آخر . .

وذات يوم من أيام الخريف التى ارتفعت فيها الحرارة فجأة ضاقت نفسى بالحر والرطوبة فتوسلت إليه أن نخرج لنجلس على البلاج كما كنا نفعل فى أيامنا الجميلة . . فوافق بصعوبة شديدة وعلى شرط أن يتم ذلك

فى المساء وسعدت بذلك وطلبت إليه أن نذهب إلى نفس المكان الذى شهد أجمل ذكرياتنا وكلى أمل فى أن تحرك الذكريات القديمة مشاعره التى ماتت تجاهى ، وذهبنا إلى نفس المكان فى سيدى بشر ولم يكن على الشاطئ سوى أسرة واحدة مكونة من أب وأم وطفلتين صغيرتين . . وجلسنا نتحدث وأنا بالنقاب الأسود الذى لا تظهر منه سوى عينىْ وسط ظلام الليل . .
واردت أن أستعيد ذكرياتنا الجميلة فطلبت منه آيس كريم ، وغادر البلاج ليشتريه من أحد محلات الشاطئ ورفعت رأسى إلى السماء واستغرقت فى الدعاء إلى الله أن يساعدنى على استعادة زوجى الذى أحس بأنى فقدته . .
وفى هذه الأثناء كانت الطفلتان تجريان أمامى وما أن اقتربتا منى حتى انتابهما فزع شديد وصرختا خائفتين فنهض إليهما أبوهما وأمهما فارتمت الطفلتان عليهما وهما ترددان فى خوف ورعب . . عفريت يا ماما . .
وبدون أن أشعر وجدت نفسى أنهض إليهما وأرفع النقاب الأسود وأقول لهما أنى إنسانة مثل ماما تماما . . وأنه لا داعى لخوفهما . . واستغرقت تهدئة روع الطفلتين بضع دقائق عادا بعدها مع أبويهما إلى مجلسهم . .
وعدت أنا إلى مجلسى فإذا بزوجى واقف فى جمود يرقب الموقف صامتا وفى يديه الآيس كريم وسألنى عن هؤلاء الناس وكيف سمحت لنفسى بأن اكشف وجهى أمامهم . . ثم استدار وغادر الشاطئ دون أن يسمع جوابى وتفسيرى لما حدث وأسرعت وراءه وهو لا يتكلم ولا يسمع إلى أن وصلنا إلى البيت ، وبصعوبة شديدة سمح لى بدخول بيتى ، وحاولت بكل الطرق أن أشرح له الظروف التى وضعتنى فى هذا الموقف الحرج لكنه أنهى المناقشة بأنى ما دمت قد سمحت لنفسى بأن اكشف وجهى أمام

غرباء فقد أصبحت محرمة عليه وأنه سوف يستشير «الإخوة» غدا فى ذلك عسى أن يكون لديهم حل لهذه المعصية الكبيرة التى ارتكبتها .

وأحسست فجأة بمهانة لم أحسها من قبل . . وتفجر سخطى على كل شىء . . هل إلى هذا الحد أصبح زوجى لا يملك قراره ولا إرادته . . ، وهل أصبح كل ما جمع بيننا طوال هذه السنوات مرهونا بقرار «الإخوة» بشأنى . . وامضيت الليل وحيدة لا يغمض لى جفن ، وفى الصباح غادر البيت إلى عمله صامتا فكتبت له رسالة اعتذار عن عدم استطاعتى انتظار رأى «الإخوة» فى أمرى وركبت أول قطار من الاسكندرية إلى القاهرة . . وأقمت فى بيت شقيقى وخلعت النقاب ولن أعود إليه ومضى أكثر من شهرين ولم يحاول زوجى الاتصال بى رغم أنى أبلغته أين أقيم ولا أعرف بماذا قضى « الإخوة » فى أمرى وهل جعلونى محرمة عليه كما قال أم لا وأنا الآن فى صراع خطير . . وارجو ألا تتهمنى بالسلبية فقد كنت طوال الفترة السابقة لحادث الشاطئ استجيب لكل ما يطلب منى على أمل استعادته وعدم التفريط فيه ، وارجو أن تخلص لى النصيحة هل اخطأت حقا وهل خطئى جسيم إلى هذا الحد . . وهل تنصحنى بالاستمرا مع إنسان لم يعد يملك أمر نفسه . . ولا يملك أن يتخذ قرارا بشأن علاقتنا كزوجين إلا برأى الإخوة أو على الأصح رأى رئيسهم ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : النّقاب ليس أمرا واجبا وهذا هو الرأى المعمول به فى الفُتيا . . ولهذا فلن أطيل فى هذه النقطة . . وإنما أقول لك أنك لم ترتكبى جرما يحرمك على زوجك باضطرارك إلى كشف وجهك أمام

غرباء لتهدئى من روع طفلتين مذعورتين لأن وجه المرأة ليس عورة بإجماع جمهور الفقهاء . . ولست أريد أن ابتعد عن مشكلتك الخاصة لأغرق فى جدل لا طائل تحته حول ما استقر عليه الرأى وجئنا نحن الآن لنعيد فتح باب النقاش فيه كأنه لم يعد لدينا من مشكلات الحياة ما يستحق أن نبذل فيه الجهد والوقت سواه أو كأنه لم يبق لنا من كل شئون الحياة المتعددة والمتشابكة سوى حديث الحرام والحلال وحده مع أن المحرمات محدودة فى القرآن الكريم وليس من حق أحد أن يتوسع فيها أو يضيف إليها ، ومع أن أئمة المسلمين الأجلاء الذين أفنوا العمر فى دراسة علوم القرآن الكريم لم يعطوا لأنفسهم حق الفتوى بالتحريم لأن تحديد الحلال والحرام فى الإسلام لله جل شأنه وحده ، فكان هؤلاء الأئمة العظام يكرهون الإفتاء بأن هذا حرام إلا اذا كان منصوصًا عليه فى القرآن وواضحا لا يحتاج إلى تفسير ، وكانوا يتحرجون من الإفتاء بحرمة هذا أو تحليل ذاك فيستخدمون عبارات من نوع هذا مكروه . . وهذا لا بأس به . . وكان الامام ابن حنبل يرد على سائله فى أمر من الأمور : هذا أكرهه . . أو لا استحسنه . . أو لا يعجبنى تحرجا من استخدام كلمة التحريم إلا فيما جاء به نص قطعى من القرآن الكريم فمن أين جئنا نحن بالعلم الذى نتصدى به للإفتاء بالتحريم والتحليل فى كل شىء بهذا اليسر وبهذه السهولة؟

ثم من يبنى إذن ويعمر ويكافح الفقر والجهل والتخلف ونحن لا يشغلنا سوى حديث الحرام والحلال وحده وسوى الإفتاء بغير علم فى مثل هذه الأمور وترى كيف انتشر الإسلام من حدود الصين إلى شواطئ الأطلسى؟ أبقوم يعملون ويجاهدون ويكافحون ويتحدون الصعاب إلى

جانب عنايتهم بالحلال والحرام أم بقوم متكئين على الأرائك لا يشغلهم سوى هذا الحديث؟

لا يا سيدتى لم ترتكبى جرما ولقد بالغ زوجك فى تزمته حين اعتبرك محرمة عليه لهذا السبب العجيب ، لكنك اخطأت بكل تأكيد حين استقلت من عملك بلا ضرورة من رعاية أطفال أو قيام بأعباء منزلية يعوقك عملك عن الوفاء بها ففقدت بذلك موردا للرزق الشريف كان يمكن أن تعتمدى عليه فى ظروفك الحالية أو فى المستقبل وأغلب ظنى أن «الإخوة » لم يوافقوه على حرمتك عليه بدليل أنه لم يطلقك حتى الآن . . وهذه كارثة أخرى أن يستفتى زوج كامل الأهلية والإرادة جماعة مهما كان شأنها فى أمر زوجته ثم يلتزم بما تشير عليه به كأن مشورتهم حكم واجب النفاذ . . كما أنها كارثة أشد أن يصبح استمرارك معه أو انفصالك عنه رهنا بمشورتهم بغير أى دور لرأى الزوج وتفكيره المستقل ناهيك عن روابطك الخاصة به وتاريخكما الطويل .على أية حال فإنى اتصور أن زوجك غاضب عليك الآن لهجرك بيتك قبل أن يعود إليك « بالبراءة » ، ولعله يتوقع منك الآن أن تعودى إلى بيتك تكفيرا عن خروجك منه بغير اذنه فإذا كنت ما زلت تأملين فيه خيرا فأوفدى إليه من يتفاهم معه على شروط مقبولة منك ومنه للحياة معا فى المستقبل أهمها أن يكون أمره فى يده هو وليس فى يد أحد غيره مهما بلغ شأنه . . و أن يكون من حقك ألا تفعلى إلا ما تقتنعين بصوابه وابتغاء مرضاة الله وحده . . ثم رضا زوجك من بعده ، وليس التزاما بتعاليم أحد أو طلبا للقبول منه ، فإن قبل بذلك فلا بأس باستمرار الحياة معه لأنه سيكون علامة على بداية إسترداده لزمام نفسه .

الجــوائز

هل تذكرنى ؟ . . لقد كتبت إليك منذ عام ونصف العام رسالة طويلة أروى لك فيها قصتى مع زوجى الذى ظلمنى . . واستجاب لتحريض أخوته ضدى وطلقنى . . رغم دموعى وتوسلاتى له ألا يستجيب لهم . . إلى حد أنى قبَّلت يده أمامهم فى مجلس الطلاق . .

وقلت له أنت زوجى أنت رجلى لا تسمع لمن لا يريدون لك الخير . . فكانوا كلما لاح لهم أنه سوف يلين أو يتذكر العشرة يتطاير الشرر فى عيونهم كأنما مسهم الشيطان وينتحون به جانبا ويطالبونه بألا يضعف . . وأنا أبكى ـ وأؤكد له أن كل ما بيننا يمكن التفاهم عليه وأنه لا شىء يستحق الهدم والطلاق الذى هو ابغض الحلال إلى الله . . وهم يتقافزون حوله كالمرُدة والشياطين ويشحنونه ويحذرونه إلى أن ضعف لهم وأجرى الطلاق . ورأيت الفرحة الآثمة فى وجوههم جميعًا . . والشماتة فى القلوب السوداء مع أنى لم أسئ إلى أحد منهم . . وإنما ظلمونى واتهمونى بالعقم وسكت على ظلمهم وترددت على الأطباء للعلاج الذين كانوا يؤكدون لى أنى سليمة وأن العيب ليس من جانبى وعز عليهم أن يصدقوا ذلك وجاراهم هو فى هذا الظلم ، حتى أفسدوا الحياة بيننا . . وجاءوا معه يوم الطلاق سعداء كأنهم فى عيد وأنا لا أصدق أننا قد وصلنا إلى هذا الحد . . حتى فوجئت

بالأحقاد وتهللهم لهدم البيوت . . فسلمت أمرى لله . . وتكاثروا على وأنا وحيدة وليس لى أب ولا أخ يدافعان عن حقوقى . . فأخذ زوجى كل حقوقى وراح يقول هنا وهناك أننى تنازلت بمحض ارادتى عنها . . ولقد تنازلت عنها فعلا بعد أن يئست من رجوعه عن الطلاق ولكن ليس بمحض ارادتى و إنما تنازلت يأسًا وكمدا . . وضعفا . . وقد قرأت لك فى ردك على احدى الرسائل حديثا شريفا يقول «أن ما أُخذ بسيف الحياء فهو حرام» فهزتنى هذه العبارة . . لأن ما حرمنى منه زوجى . . قد ناله بسيف الحياء والضعف وقلة الحيلة . . فأخذوا كل شىء حتى ملاءات السرير والفوط التى دخلت بها وغادرت بيتى مرغمة وهو يتفرج علَّى مع أخوته المحرضين الذين وقفت بجوارهم جميعا ولم أقصر تجاه أخ منهم . . وخرجت وأنا كسيرة وذليلة ولا أصدق أن العشرة قد هانت على شريك حياتى بهذه السهولة وانحفر هذه اليوم الأسود فى ذاكرتى فلم أنسه أبدا . . وما زلت كلما تذكرته أردد حسبى الله ونعم الوكيل ، وبعد شهور من الطلاق كتبت إليك تلك الرسالة ورويت لك ما حدث . . وقلت لك فيها أنى منذ طلاقى أشعر أننى بلا وطن . . لأن زوجى هو وطنى ، واخترت أنت هذه العبارة ونشرتها بعد عدة شهور بعنوان « كلمات فى البريد» وعشت أنا «اجتر أحزانى » واحرص على قراءة بريد الجمعة . . واتعزى بكلامك الجميل عن المظلومين . . ودعوتك لهم الا ينتقموا من خصومهم . . لأن عدالة السماء لا تغفل وسوف يرون بعد قليل جثث ظالميهم طافية فوق الماء وكم اعجبت بالكلمة التى استشهدت بها لكاتب إنجليزى ـ أو فرنسى لا أذكر تقول «ما الحزن إلا مقدمة للسرور» ،

وبالكلمة التى قلت فيها أن الحرص على استمرار الحياة الزوجية لابد أن يكون متكافئا بين الطرفين لأنه اذا تمسك به طرف إلى النهاية بغير أن يبادله الطرف الآخر نفس الحرص يصبح مذلة وهوانا . . كما أعجبت بباقى ردودك المؤمنة بالله وبالعدل الإلـهى .

ولقد انتظرت السرور الذى يجىء بعد الحزن . . وانتظرت عدالة السماء وطال الانتظار لكنى لم أفقد ايمانى بالله أبدا . . ثم بدأت أرى انتقام العزيز الجبار من كل من ظلمنى وافترى على امرأة ضعيفة لا حول لها ولا قوة مثلى . . فأما زوجى الذى قبّلت يده وذرفت دموعى فوقها لكيلا يخذلنى أمام إخوته . . فلقد أراد أن يتزوج من امرأة ثرية متبرجة . . متحررة . . منطلقة فلعبت به فترة ثم رفضته أمام كل زملائه وأهانته قائلة له كيف تتصور أنى أتزوج من موظف شحاذ مثلك ؟ . . ثم حاول بعد ذلك الزواج من أخرى . . وأخرى ، لكن ربك كان له بالمرصادوفشلت كل مشاريعه، الواحد تلو الآخر . . وأما الأخ الذى كان أكثر المحرضين تحمسا وتحريضا . . وكلما رأى أية بادرة صلح يوم الطلاق . . جرى هنا وهناك . . وأمسك أذن أخيه يضخ فيها السم ويحذره بأنه لو تراجع فى نيته فلن يكون رجلا . . وسوف . . وسوف . . هذا الأخ الذى كان متهللا وسعيدا بعد الطلاق كأنه يوم عيد ، فقد عرف الجميع فى مناسبة أخيرة أنه لا حول له ولا قوة مع زوجته التى تملك كل شىء . . وأنه مغلوب على أمره معها ولا يستطيع أن يرفع صوته عليها مهما قالت أو فعلت وإلا كان مصيره الطرد وعرفوا الآن فقط أنه إنما كان ينفس عن القهر الذى يحسه تجاه زوجته فى تحريض شقيقه علىّ . . وأن سر تكراره لعبارة كن رجلا فى حديثه

لأخيه لكى يطلقنى هو أنه محروم من أن يكون رجلا مع زوجته الحاكمة بأمرها فى حياته والتى تملك كل شىء . . ولا يملك هو شيئًا . . وسبحان من يكشف الأسرار وأما أنا . . فلقد مضت أيامى . . ودعائى فى صحوى ونومى هو حسبى الله ونعم الوكيل . . إلى أن هدأت نفسى قليلا وتصبرت . . وسلمت بما حدث . . ورحت اتطلع إلى رحمة الله . . فإذا بجائزة السماء التى تتحدث عنها كثيرا فى ردودك تهبط على بغير انتظار فى شخص إنسان كريم حنون محترم ، استراحت نفسى إليه ووجدت عنده شفاء لكل جروحى فتزوجته ولست أحلم بشىء سوى بأن أعيش مع إنسان يرعى الله فى معاملتى ويعطينى من الحب والحنان والرعاية نصف أو ربع ما أعطيه . . فإذا بزوجى الحبيب يغدق علىَّ من حبه وعطفه وحنانه . ويعطينى كل شىء . . ما حلمت به وما لم أحلم . . وإذا بناصر المظلومين يغير من حالى إلى الأفضل فى كل شىء . . فى كل شىء ، فبدلا من الشقة المتواضعة التى كنت راضية بها وبكيت حين طردت منها . . أعطانى الله شقة تعد قصرا بالقياس للشقة الصغيرة المتواضعة البائسة التى بكيت عليها . . وبدلا من الأثاث البسيط الذى كنت سعيدة به أعطانى الله أثاثا ثمينا جميلا فاخرا تتيه به أية امرأة وبدلا من أشيائى التى اغتصبها منى زوجى السابق وجدت فى شقة زوجى الحبيب كل الكماليات . . وكل ما أريد ومن كل شىء اثنين . . اثنين . . حتى التليفون ، ووجدت أهم من كل ذلك الحب والحنان . . والعطف والكرامة . .

أما جائزة ربك للمظلوم الذى يقول له فى الحديث القدسى . . . «وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » فهى أنى يا سيدى حامل فى

شهرى الرابع والحمد لله والشكر له والحمل طبيعى وبلا أية متاعب ولم يطلب منى الطبيب أية احتياطات غير عادية . . وهكذا جاء نصر الله على من اتهمونى بالعقم واساءوا إلىّ وتحملت اتهاماتهم لى ٨ سنوات رغم أن هذا الجنين كان أمنية لى منذ أول يوم لزواجى . . وأنا الآن أسعد إنسانة فى الوجود مع زوجى الحبيب . . وقد وعدنى ـ أكرمه الله ـ بأن نؤدى معا فريضة الحج بعد أن أضع مولودى باذن الله .

وقد كتبت لك هذه الرسالة لتسعد معى . . كما كتبت لك من قبل عن تعاستى ولكى تقول لقرائك أن رحمة الله واسعة فلا تيأسوا من رحمة الله ولكى تحذرهم من أن يظلموا غيرهم لأن من يظلم آخر هو إنسان غبى فى الحقيقة لأن الله سبحانه وتعالى سوف يقف بجانب المظلوم ويدافع عنه ويقتص له خير القصاص والسلام عليك وعلى قرائك ورحمة الله وبركاته .

□ **ولكاتبه هذه الرسالة أقول** : إنها ليست جائزة واحدة يا سيدتى . . وإنما جوائز عديدة . . أثمنها فى تقديرى هو أنك استعدت الثقة فى جدارتك بأن تسعدى مع إنسان آخر . . وبأن تجدى عنده كل ما افتقدته فى حياتك السابقة من عطف وحنان وقيمة إنسانية لشخصك . . بل وأمومة غالية طالما تلهفت عليها وحرمت ظلها منها . . وطُعنت فى كرامتك بسببها . . هذه هى الجوائز الحقيقية، أما الشقة الأفضل والامكانيات الأكبر فليست بشىء ذى بال إذا قيست بها . لكنها تضاف ايضا إلى تلك الجوائز السابقة ليحق عليك قول أصدق القائلين : «وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم»! فلقد كان ما كرهته لنفسك وأنت تتذللين لزوجك السابق ألا يخذلك وما تعرضت له من المهانة والجحود والظلم خيرا مدَّخرا

لك وان كرهته . . ولم يطل انتظارك له . . أليس هذا دليلا جديدا على أن الإنسان ينبغى ألا تفقده عثرات الحياة وجحود الآخرين ثقته بعدالة السماء وبجدارته بأن ينال ما يستحقه من تقدير ذات يوم أوليس ذلك دليلا جديدا على أنه إن كان البعض قد جحدنا فليس ذلك لعيب فينا وإنما لسوء تقدير من جانبهم . . ولابد أن نجد ذات يوم . . وفى مكان ما من الأرض من سوف يعرف لنا قدرنا . . ويرى فيما اعتبره الآخرون نقائص فينا مزايا لنا جديرة بالاعجاب والتكريم ؟

هذا هو الدرس القديم الجديد . . الذى ينبغى أن نؤمن به دائما مهما تخفَّى احيانًا وراء الغيوم . . وهذا ما اثبتته الأيام لك بعد وقت قصير من محنتك . . فاستمتعى بجوائزك يا سيدتى وبحب شريك حياتك وحنانه . . وبأمومتك التى طال انتظارك لها . . ولا تبددى لمحة واحدة من سعادتك بالحقد على من آذوك وظلموك . . لأن السعادة الحقة لا تصفو أبدا لمن يحمل ذرة حقد فى قلبه تجاه أى إنسان فى الوجود . . حتى لو كان ممن ظلموه وآذوه . . ولا بأس بأن تتأملى عدل السماء ينزل بمن افترى عليك . . ولكن لا تشمتى بأحد . . ولا تشغلى نفسك بتتبع مصائر ظالميك إلا أن تجىء إليك عرضا . . فحتى هذا التتبع يمثل نوعا من الاهتمام بهم لا يستحقونه . . وسوف تصفو لك الحياة حقا اذا نسيت آثار تلك التجربة بكل آلامها ورموزها وشخوصها حتى تمسى إذا عَرضت لك لم تجدى فى قلبك تجاههم لا الحب ولا الكراهية . . ولا الحقد . . ولا المرارة . . ولا شىء إلا الخواء . . إلا الخواء !

رســـــالة ممنوعة

أكتب إليك يا سيدى من مدينة ساحلية لأتحدث إليك عن سيدة من النوع الذى لا تحبه من النساء لكن لا مفر من أن احدثك عنها لأنها سبب مأساتى . . والمؤسف أنى سوف أحدثك فى رسالتى عن أمى وليس عن أى سيدة أخرى !

فأنا سيدة شابة متزوجة من شاب طيب من أسرة طيبة ويشغل مركزا مرموقا ولى منه طفلة صغيرة جميلة ومأساتى التى بدأت منذ طفولتى تكمن فى جمال والدتى وأناقتها . . فلقد كان لها دائما سطوة كبيرة على كل العاملين معها بل وعلى كل من تقع عينه عليها . . وقد جئت أنا وأختى الصغيرة إلى الحياة لأن أمى الجميلة الطاغية هذه أحبت أبى صاحب المركز الكبير فى مدينتنا مع أنه كان متزوجًا وأبا لخمسة أبناء وتزوجته وأنجبتنا ثم ملَّته بعد قليل فطلبت منه الطلاق وعادت بنا إلى بيت جدى ، وانطلقت بكل معنى الكلمة . . حتى عثرت على شخص آخر ذى مركز مرموق فى بلد مجاور وتزوجته وأصبحت تسافر إليه فى بلدته فى نهاية كل أسبوع ، وتتركنا طفلتين فى رعاية زوجة خالى المشغولة ببيتها ، حتى سقطت شقيقتى الوحيدة ذات مرة من النافذة وماتت أبشع ميتة رحمها الله بسبب انشغالها بنفسها وجمالها عنا . وبعد هذا الحادث الأليم أشارت على زوجها أن يؤجر

شقة فى مدينتنا لكى يلتقيا فيها بدلا من أن تسافر إليه كل أسبوع ، ففعل واستمرت حياتهما الزوجية فترة ثم ملته هو الآخر وتخلصت منه بالطلاق وبعد طلاقها مباشرة ركزت بطاريات جاذبيتها على مديرها فتزوجته سرا رغم أنه متزوج وله أبناء فى مدينة أخرى . . وبعد فترة نقل من مدينتنا إلى بلده حيث تعيش أسرته ، وأصبح يحضر إليها ، مرة أو مرتين كل شهر ثم ملته هو الآخر وطلبت منه الطلاق لكنه رفض طلاقها ولعله كان أول من استطاع الصمود لرغبة من رغباتها فلم تبدد حياتها فى المشاحنات لتحصل على الطلاق ـ وانما عادت لرقتها وليونتها معه وعاملته أفضل معاملة حتى تيقن تمامًا أن طلبها الطلاق كان نزوة عارضة وانتهت وكانت أسرته تقضى الصيف كل سنة فى مدينتنا الساحلية فانتظرت أمى فى صبر حتى جاءت أسرته إلى المصيف . . وبهدوء القاتل المحترف دبرت أن تفاجئهما زوجته ـ التى لا تعرف بالزواج ـ معا ، وتمت المكيدة بكل احكام وكان لها وقع الكارثة على الزوجة والأبناء فاضطر زوجها تحت وطأة الفضيحة والاضطراب إلى طلاق أمى ، وعادت الزوجة مع أبنائها من المصيف ، فلم يمض عليها وقت طويل حتى لقيت وجه ربها متأثرة باحزانها أما أمى فلم تهتز شعرة واحدة فى رأسها الجميل وحصلت على وثيقة طلاقها وأصبحت تحتفظ بها فى حقيبة يدها دائما . وانطلقت فى الحياة فى حماية هذه الوثيقة !

وبعد فترة أخرى عاد مطلقها الذى أصبح أرمل بعد مأساة وفاة زوجته وام أبنائه ، فتزوجته سرًا ودون علم أهلها بمهر كبير ومؤخر صداق أكبر والأدهى من ذلك أنها تزوجته بوثيقة طلاقه منها واحتفظت هى فى حقيبة يدها بوثيقة طلاقها الأول منه ، واشترطت عليه أن يلتقيا فى شقق بعض

أهله فى مدينتنا وألا تذهب إليه فى بلدته ، واستمر الحال هكذا حتى مرض الرجل ولزم بيته ولم يعد يراها وطلب منها ابناؤه أن تذهب لتعيش معه وترعاه فى مرضه فأبت أن تفعل ذلك وبقيت فى مدينتنا تنتظر موته لترثه ، وقد قاربت الآن الستين من عمرها لكن جمالها وأناقتها يزدادان اشراقا وخطرا كشيطان جميل . . بل لعلها ازدادت أنوثة ودلالا وشخصيتها ما زالت طاغية على الجميع ما عدا من تقرر أن تسيطر عليه فإنها تلين وتتدلل له حتى تشعره بأنه أعظم رجل فى العالم فيخر ساجدا أمامها !

والكارثة التى لا أعرف كيف اقترب فى حديثى لك منها هى أن هذا ما تفعله الآن مع زوجى وليس مع أى إنسان آخر فلقد انتقلنا إلى شقة فى ضاحية من ضواحى المدينة لكى نبتعد عنها ، لكنها بدأت تكثر من زيارتنا ومن محادثته بليونة أعرفها حق المعرفة وأعرف معناها وبنظرات وضحكات وهمسات كرهتها منها من أعماقى طوال عمرى وكلما حاولت أن اتخذ منها موقفا حادا نهرنى زوجى ، ثم بدأ يقوم بتوصيلها إلى بيتها عندما تكون فى زيارتنا ثم يعود شاردًا ثم بدأت المكالمات التليفونية الطويلة التى أواجهه بها فينكر مضطربا ثم تلاحق الايقاع حتى لم أعد أدرى ماذا افعل لمنع الكارثة من الوقوع أو ايقافها ، إننى أفكر فى قتلهما معا . . أو فى قتلها وحدها بالسم لكى يبقى زوجى من أجل طفلتنا ، لكن لماذا يا سيدى لا يسحبون وثيقة الطلاق من المطلقة عند زواجها من مطلقها مرة أخرى لكيلا تحتمى بعض السيدات فى هذه الوثيقة ويفعلن ما يشأن بغير حسيب أو رقيب .

إننى أعرف أن رسالتى مملة ولا فائدة منها لأحد وأنك لن تجد ما تقوله

لى عنها لأننا نعيش فى الزمن الظالم . . ولأنها من امرأة مجهولة قد تقرأ عنها قريبًا فى صفحة الحوادث قبل أن ترد عليها . . لكنى أرجو الله أن يلهمنى الصبر حتى اقرأ ردك عليها إذا رأيت ذلك .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : يا ألـهى كأنى تلقيت هذه الرسالة من عصر ما قبل الديانات السماوية حين كان كل شىء مباحًا بلا قيود ولا سدود ، ولا يحرك البشر فيه سوى نزواتهم وشهواتهم!

لقد وضعت رسالتك هذه بعد قراءتها فى ملف الرسائل الممنوعة وهو ملف احتفظ فيه ببعض الرسائل التى أحجبها عن النشر لاحتوائها على بعض ما يخدش الحياء العام ، أو بعض ما أخشى من تأثيره السلبى على الأخلاق خاصة اخلاقيات النشء ، أو بعض ما أراه يدخل فى باب تبرير أو تجميل الخطيئة بالمبررات الواهية مما قد يغرى آخرين بتكرارها أو يبرر للبعض الآخر الاستمرار فى خطيئته حين يقرأ عن «زملاء » له فى ضعفه البشرى والمرء يرضيه دائما أن يحس بأنه ليس الخاطئ الوحيد فى العالم .

لكنى وجدت نفسى بعد قليل أمد يدى إليها مرة أخرى وأسأل نفسى كيف استطيع أن أعينها على أمرها بكلمة قد تخفف عنها بعض همومها إن لم أنشر الرسالة ؟ أوليس من الممكن أن يتحقق احتمال الواحد فى المليون فترتكب فعلا ما تندم عليه بعد ذلك ؟ ثم كيف نعرف نحن الحياة بكل وجوهها ان لم نعرف وجوه الشر لنتجنبها . ووجوه الخير لنتبع خطاها ونحاول أن نتأسى بها بل وكيف نعرف للفضليات فضلهن إن لم نضعهن موضع المقارنة مع غيرهن لنزداد إكبارا لهن والأشياء تعرف أحيانا باضدادها لقد روى لنا القرآن الكريم بلا حرج ولنفس العبرة عن امرأتى نوح ولوط

وقد كانتا تحت نبيينْ وعبدينْ صالحين فخانتاهما فى العقيدة وحقَّ عليهما العقاب ، وروى لنا على الجانب الآخر عن الفضليات من أمهات المؤمنين ومريم ابنة عمران وامرأة فرعون الصالحة . فإذا كان الأمر كذلك فلأنشر الرسالة ولأقل لك يا سيدتى إفعلى كل ما ترينه فى صالحك لانقاذ زوجك من براثن هذه السيدة التى لا أسميها بغير ذلك تنزيها لرمز الأم النبيل أن يُقرن بها ما عدا التفكير فى أى عمل غير مشروع شرعا وقانونًا ولا يؤذى فى النهاية إلاك ولن يضر ضررا بليغًا إلا بطفلتك البريئة . . افعلى كل ما تشائين وقاتلى بكل سلاح فى يدك لإبعاد هذه «السيدة» عن حياتك وزوجك وسعادتك ، واجهيها بكل ضراوة وبلا أية مواربة فهى لن تفزع من لومك ولن تضطرب وهى من لا تهتز شعرة فى رأسها الجميل لوفاة ضحية من ضحاياها . . ومن عجب أن زيجاتها الثلاث كان لها ضحايا باستمرار هم زوجات وأبناء أزواجها ، إذن فالعبى معها «المباراة» على المكشوف فليس ثمة ما يبرر التجمل أو الاستحياء وأوراقها كانت دائماً علنية ومكشوفة فربما تحرك المواجهة ما بقى لها مما يربطها بجنس البشر فتعفيك من سمومها ثم استعينى إن فشلت المواجهة بكل أهلك عليها وهم أكثر الناس دراية بها وطالبيها بصرامة بالامتناع عن زيارتك والامتناع عن الاتصال بزوجك وطالبى أهلك بمساندتك فى ذلك وواجهى زوجك لكن مع الحكمة والاحتفاظ معه بشعره معاوية وبصِّريه بحقيقة الخطر الذى يتهدده والإثم الذى ينحدر إليه خاصة أنه حتى لو أراد زواجها بعد طلاقك فإنها لا تحل له شرعًا لإنها من المحارم بالنسبة له بعد أن تزوج ابنتها ودخل بها ، ولا بأس إذا اقتضت الضرورة القاسية بأن تصارحيه ببعض ما

لا يعرفه عنها رغم إيلام ذلك لك ومنافاته لكل الطبائع الإنسانية . . لكن ماذا نقول والوضع كله لا إنسانى وأنت فى حالة دفاع عن النفس ضد خطر داهم يبيح اللجوء للمحظورات . وجربى معها كل الوسائل حتى ولو اضطررت فى النهاية إلى الاتصال بزوجها وإقناعه بأن يحاول اغراءها بكل الوسائل لتعيش معه بعيدا عنك بدعوى أن ذلك فى صالحه وصالحها . .

افعلى كل ما تفعلينه إذا دافعت عن زوجك ضد عدوان غازية غريبة عنك ولا تربطك بها صلة دم، فالحق أنه لا تربطك بها هذه الصلة المقدسة منذ استباحت لنفسها أن تهدرها بيديها . . وافصلى ما بينها وبين حياتك ثم ادعى لها ربك فى النهاية بالهداية . . فالجمال لا يدوم وإن طال أمده، وهو وحده بغير جمال الروح والأخلاقيات لا قيمة له لكن بعض الناس قد تصدق عليهم مقولة عالم النفس سيجموند فرويد التى يقول فيها: «إن تصرفات البشر تصدر عن قاعدتين هما الغريزة الجنسية . . والرغبة فى العظمة !»

وهؤلاء يعيشون حياتهم بلا قيود ولا حدود كأنهم وثنيون من غزاة الشمال لن يواجهوا موتا ولن يبعثوا منه ولن يلقوا حسابا ولا عقابًا على ما فعلوه بحياتهم وحياة الآخرين!

أما الليونة والنعومة والجاذبية التى تتحدثين عنها فلا غرابة فيها إذ هل هناك ما هو أكثر ليونة وجاذبيةً ونعومة ملمس . . من جلد الحية الرقطاء ؟

الجنيه الذهبى

أشكرك جدا جدا على اهتمامك برسائل قرائك فأنا قارئة مستديمة لبابك منذ سنوات وأريد أن اكتب إليك قصتى لآخذ مشورتك فيها . . وهذه ثانى رسالة ولم ترد علىَّ . فأنا إنسانة حصلت على دبلوم التجارة منذ سنوات عملت فى عمل حكومى وقد بدأت عملى وعمرى ١٨ سنة فكنت لافتة للنظر لأنى مرحة جدًا جدا وعقلى كبير جدًا بشهادة جميع من حولى ومن السهل أن أحل مشاكل الأصدقاء الذين يستشيروننى فيها . رغم أنهم أكبر منى والكل يحترموننى لشخصيتى الجذابة . ولتعقلى فى الحكم على الأمور ولم تكن لى تجارب مع أحد فأنا والحمد لله محجبة ومتدينة ، وقد أثبت كفاءتى فى عملى فى فترة وجيزة جدا . . وعشت حياتى بسهولة ويسر لأنى وحيدة أبوىَ ومدللة جدا جدا منهما . . لكن حدث ما لا تحمد عقباه يا سيدى فقد احببت مديرى فى العمل . . ولم يكن الأمر بيدى فهو أول رجل ينبض له قلبى . . فوجدت نفسى ارتجف وأنا أكلمه فى أمور العمل رغم أنه يكبرنى بضعف عمرى ورغم أنه متزوج وعنده طفلان . . لكن الجميع يعرفون أنه غير سعيد فى زواجه وأنه على خلاف دائم مع زوجته ، مع أنه محبوب من الجميع ومتدين جدًا والكل يحترمونه لوقاره وشخصيته . . وقد تحاببنا جدًا من بعيد لبعيد دون أن

نعترف بذلك لمدة عامين ثم لم نستطع الاستمرار فى ذلك فخرجت معه فى سيارته وأنا التى لم تخرج مع إنسان غريب من قبل وذلك لأنى احببته جدًا جدًا . .

وأصبحنا نلتقى كل يوم فى العمل . . ثم أختلق لأهلى أسبابًا للخروج بعد الظهر والتقى به . . وأرجو ألا تسىء الظن بى فنحن لم نرتكب ما يغضب الله ، رغم علمنا أن مقابلاتنا حرام . . وقد أصبح يعيش من جديد بعد أن كان يعتبر نفسه إنسانًا ميتا مع زوجة لا تحبه . . وعشنا هكذا شهورًا طويلة نمضى الوقت كل يوم نتجول فى الشوارع ولا يعود إلى بيته إلا لينام ولأن لكل نار دخانا فقد بدأ زملاؤنا فى القسم يعرفون القصة وبدأ الهمس والغمز واللمز من حولنا واستنكروا حبنا لأنه متزوج وله طفلان وزاد الطين بلة أن بعض أقارب زوجته معنا فى نفس العمل فعرفوا بالقصة . . وذات يوم كان مديرى غائبًا فى مهمة لمدة يومين . . فجاء أقارب زوجته إلىّ وفوجئت بهم يتحدثون معى فى الموضوع بصوت عال وبطريقة استفزازية . . وذهلت من المفاجأة فلم أستطع أن أرد عليهم بكلمة واحدة، وشاع الأمر أكثر وأكثر وأصبح علنا ولم يعد لأحد فى قسمنا أو باقى الأقسام من حديث إلا فيه ، وتحملت كل ذلك ثم عاد مديرى وعرف بالموضوع فثار وهاج وهدد أقارب زوجته بطلاقها وقاطعهم فاعتذروا له وهدأت العاصفة فيما بينهم عند هذا الحد لكن الرواسب تجمعت عندى أنا فهو رجل لا يعيبه شىء فى النهاية أما أنا فإن سمعتى التى كانت «كالجنيه الذهب» أصبحت كالجنيه الصفيح ولم أعد قادرة على الذهاب للعمل فحصلت على أجازة مرضية لمدة شهر حاول أن يتصل بى خلالها

فى البيت فلم أرد عليه ، ثم عدت للعمل وأنا أنوى ألا أتكلم معه ! لكن بعض المتطفلين والحاقدين اتصلوا بزوجته تليفونيًا وأبلغوها بعودتى فانقلبت الدنيا أكثر مما كانت بالرغم من أنها « لا تحبه » وزواجها منه تقليدى، لكنها ثارت لكرامتها وللشكل الاجتماعى !!

ومضت شهور وأنا أحاول إقناع نفسى بنسيانه وقدمت طلبًا للنقل من القسم لكن للأسف رفض طلبى . . ثم وجدت نفسى لا أقدر على نسيانه وهو كذلك وكنت قد بلغت الرابعة والعشرين فعرض علىَّ الزواج ورحبت طبعا لكن المشكلة كانت أن أقنع أهلى به وهو زوج وأب لطفلين . وأنا إبنتهم الوحيدة ، لقد تقدم لأهلى . . وتحملت أنا مسئولية اقناعهم ووقفت أمامهم بكل صمود وكل قوة ! وهددت بالانتحار للضغط عليهم فوافقوا فى النهاية واحضر لى شقة صغيرة جميلة وتم زواجنا وتقدمت باستقالتى من العمل استجابة لرغبة زوجى وترك هو بيت زوجته الأولى ولم يطلقها ولن يفعل إلا إذا طلبت هى الطلاق لأنه يعرف أصول دينه . . لكنه لا يذهب إلى بيته الآخر لأنها لا تسمح له بدخوله ولا بمشاهدة طفليه ، مع استمراره فى الانفاق عليهم كما كان وأكثر . . وأنا يا سيدى أحب «أولاده » جدًا جدًا ولم أطلب منه أن يطلق زوجته لأنها لم تطلب منه الطلاق . لكن المشكلة هى أن زملاء زوجى فى العمل منذ علموا بزواجنا وهم لا يكفون عن الكلام عنا وتنكروا جميعًا لزواجنا كأننا قد قتلنا لهم قتيلا أو ارتكبنا جرما أو فعلنا شيئا حرمه الله ، وليس الزملاء فقط الذين اتخذوا هذا الموقف وإنما الأهل والأصدقاء والأصحاب أيضا الذين تنكروا لزواجنا لأنه متزوج وله طفلان وترك ذلك عند زوجى رواسب كثيرة فأصبح يذهب إلى عمله كل

يوم على مضض وكأنه ذاهب إلى حبل المشنقة ، وليس إلى العمل الذى كان يحبه وأصبح يتجنب الظهور معى أمام الناس حتى لا يعلّق أحد أنه أكبر منى سنا ولا يذهب بى عند الأصدقاء أو الأهل لكى يتجنب «كلام» عيونهم المستنكرة وإذا خرجنا لظروف قصوى تعمد ألا يمشى معى وأن يسبقنى إلى السيارة لكى نذهب إلى مشوارنا الضرورى . . لكننا والحمد لله داخل البيت سعداء جدًا جدًا ولا يعكر صفونا إلا هؤلاء الدخلاء المتطفلون . . فقل لهم ولأمثالهم يا سيدى إن ما فعلناه ليس حراما . . وقل لزوجى ألا يخجل من خروجه معى فكم من رجال تزوجوا ممن هن أصغر منهم بكثير وعاشوا سعداء ، واطلب منه ألا يهتم بكلام الآخرين . لأن كل هذا لا يصح أن يؤثر علينا ، وقل لهم يا سيدى أننا لسنا مخطئين وأن هذا ما حلله الله ، وأننا والحمد لله «ضميرنا» مستريح من جميع الجهات ! وأرجو أن تهتم برسالتى مع علمى أن هناك رسائل أهم من رسالتى بكثير لكنى استحلفك بالله ألا تهمل رسالتى وأن تقول لهؤلاء الدخلاء المتطفلين كلمة «قوية» لكى يكفوا عما هم فيه ويعرفوا إلى أى حد يعكرون صفو حياة الآخرين بتدخلهم هذا ؟ ولك منى يا سيدى جزيل شكرى وامتنانى .

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : يخيل إلىَّ يا سيدتى أنه إما إنك أخطأت العنوان الذى كان ينبغى أن تبعثى إليه بهذه الرسالة وإما إنك لست من قارئات بريد الجمعة المنتظمات كما تقولين وإلا لما توقعت منى تعاطفًا وتأييدًا لجانبك مهما كانت مبرراتك العاطفية ، أو تبريراتك غير المؤكدة عن انعدام الوفاق بين زوجك وزوجته قبل ظهورك . لهذا فلن أطيل فى تعليقى على رسالتك لأنى لا أريد أن أكرر موقفى من الزواج الثانى الذى

يمزق أسرة وأطفالا أبرياء بلا ضرورة قصوى أو لمجرد الاستجابة لنزعات أو نزوات عاطفية . . ناهيك عن الخطأ الأساسى فى قيام علاقة من هذا النوع من البداية بين فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها وبين زوج وأب يكبرها بضعف عمرها إن لم يزد على ذلك وحاولت التخفيف منه فى رسالتك بدليل ظهور الفارق بينكما صارخا إلى الحد الذى يجعله موضعا لتعليقات الأصدقاء والمارة ناهيك عن كلام العيون المستنكرة . على أية حال فإنى سأقول لك فقط أن لكل إنسان أن يختار لنفسه ما يشاء لكنه ليس من حقه أن يتحسر على عدم احترام الآخرين له أو يشكو من استنكارهم لاختياره أو رفضهم له . . أو حتى من تناولهم لهذا الاختيار بالنقد والتشنيع لماذا يا سيدتى ؟ لأننا لا نستطيع أن نحول بين الناس وبين ألسنتهم لكننا نستطيع إن أردنا أن نلتزم بالقيم والأعراف والتقاليد وقوانين الحياة الطبيعية . . فلا يجدون فى سلوكنا ما يغريهم بالانشغال بنا . . ولا تتحول سمعتنا من جنيه ذهبى إلى عمله من الصفيح ! هذا هو الطريق الوحيد الميسور لكى يكف عنا الناس ألسنة الأذى .

وهذه هى « التكاليف» التى يتحملها المرء . لكى يحصد احترام الآخرين وقبولهم له ثمنا لها أما أن يعفى الإنسان نفسه من كل التكاليف وينساق وراء الأهواء بلا ضوابط . . ويصادم الآخرين فى أعرافهم، ويسلب استقرار أسرة وأمنها ويروع أطفالها ويعرضهم لمحنة بلا مبرر إلا حساباته العاطفية هو وحده ثم يطالبهم بعد ذلك بقبوله وإحترامه وكف ألسنتهم عنه . . فهذا هو المستحيل بعينه لأننا لا نعيش فى صحراء جرداء وحدنا وإنما بين بشر علينا أن نحترم مثلهم العليا إن أردنا أن نتوافق معهم

وأن نتبادل معهم الحب والاحترام ، فإن كنت قد نشرت رسالتك رغم أنى لا أفضل نشر مثيلاتها ورغم ما فيها من تبريرات غير مقنعة قد تستفز المشاعر ، فإنما فعلت لأنها يمكن أن تفيد غيرك وتكشف لهم تبعات مثل هذا الاختيار ، والوجه الآخر له وهى تبعات ثقيلة ، «جدًا جدًا» كما ترين . واسف لعجزى عن تلبية ندائك لأن انشغالى بالتفكير فى أمر الزوجة والطفلين الذَينْ لا ذنب لهما فى أحوال القلب . . ولا فى جرأة البعض على خرق المألوف . . قد سلبنى القدرة على صك كلمة «قوية» أرد بها عنك تطفل المتطفلين . . ولوم اللائمين .

الأحـــلام المـوءودة !

قرأت رسالة الجنيه الذهبى التى تروى فيها فتاة صغيرة السن إنها احبت رئيسها فى العمل الذى يكبرها بأكثر من خمس وعشرين سنة رغم أنه متزوج ولديه ولدان وتزوجته مما أثار عليها سخط زملائها فى العمل واضطرها للاستقالة ثم بدأ زوجها يتحاشى الخروج معها أو اصطحابها فى الزيارات العائلية تجنبا لما اسمته «حديث العيون» الصامت والرافض لهذا الزواج . . وقد أثارت هذه الرسالة شجونى فأردت أن أروى لك أنا أيضا قصتى ، فأنا فتاة ابلغ الآن من العمر ٢٤ سنة لكن لى تجربة أعمق مع الحياة ، فمنذ ٥ سنوات تزوجت وأنا فى التاسعة عشرة من إنسان طيب القلب كريم الخلق من أسرة طيبة اخترته عن اقتناع بالرغم من أنه لا يحمل أية شهادة دراسية ويعمل بالتجارة . . ولقد عارضنى الجميع فى اختيارى له بحجة أنه غير متعلم وأنا طالبة جامعية فتمسكت به وصممت على الارتباط به بل وقررت ترك دراستى الجامعية حتى لا أكون افضل منه فى شىء وتركتها بالفعل وتزوجنا سريعًا وعشت معه حياة سعيدة بكل معنى الكلمة وواجهت بعض المتاعب التى حاولت أن تخلقها بيننا احدى قريباته فصبرت عليها وتحملت وصممت على ألا تنتصر علىَّ هذه السيدة أو تهزم حبنا ومضى عام وثلاثة شهور من زواجنا ونحن فى سعادة تامة نستمتع بالحب والتفاهم

ودفء المشاعر والأخلاص . . ثم ذات يوم وقع زوجى الشاب وهو يقف فى محله على الأرض . فأسرعوا إليه ليعينوه على الوقوف فوجدوه يتنفس بصعوبة وأسرع بعض الحاضرين لاستدعاء طبيب لاسعافه من هذه الأزمة الطارئة التى يمكن أن يتعرض لها أى إنسان بسبب ارهاق العمل فإذا به يلفظ أنفاسه بين أيديهم بلا مقدمات ولا مرض ولا أى شىء و إذا بحلمى السعيد ينهار فجأة أمام عينى وانا أكاد أجن من الذهول والصدمة ولا أصدق ما حدث ، وبعد ثلاثة أيام فقط من هذا اليوم الأسود بدا أهله الذين كنت على علاقة طيبة بهم واحبهم ويحبوننى يلمحون لى بضرورة مغادرة الشقة . . وكأنى قاتلته ولست زوجته التى احبته واحبها من كل قلبه لكن قاتل الله الميراث والخوف على الشقة الذى بدد سريعًا المودة السابقة ولست فى حاجة لأن أقول لك أنى تركت لهم الشقة الجميلة لأنى لا أستطيع أن أواصل الحياة بها وكل شىء فيها يذكرنى بزوجى الراحل رغم أن أهلى عارضونى فى ذلك فتركتها لهم وغادرت عش أحلامى الموءودة قبل مرور ٤٠ يومًا على رحيل زوجى وسلمتها لشقيقه . . ونلت ما يقضى به لى الشرع من ميراث وعدت إلى بيت أسرتى أرملة فى الثانية والعشرين من عمرها وعشت أيامى حزينة وحيدة وتعرضت لأزمات صحية عديدة طفت معها على عيادات الأطباء طلبًا للعلاج . . ووجدت فى الصلاة وقراءة القرآن راحتى وملاذى . . ومضت الأيام والشهور وأنا لا أستطيع نسيان ما جرى واسائل نفسى فى حسرة وبلا جدوى لو أنى على الأقل انجبت طفلاً منه أعيش له ويجدد ذكراه دائمًا فى قلبى . . ألم يكن ذلك يخفف من وحدتى ، واشفقت علىَّ صديقة مخلصة ذات يوم فنصحتنى بأن أطوى

هذه الصفحة الحزينة من حياتى وأن أستعين بالزواج من جديد والانجاب على نسيانها مؤكدة لى أنى سأتزوج إن اجلا أو عاجلا ، وما دام الأمر كذلك فليكن ذلك عاجلا لأخرج سريعًا من دائرة الأحزان قبل أن تورثنى اكتئابا مستديما .

وتقدم لى كثيرون لم أجد فيهم ما أريده من سلوى ، ثم تقدم لى إنسان أحسست أنه يستطيع أن يعوضنى عن سوء حظى فى الحياة بالرغم من أنه أرمل يكبرنى فى السن وله ثلاثة أبناء بلغ اثنان منهما المرحلة الثانوية . ومرة أخرى عارضنى أهلى فى زواجى منه بسبب فارق السن والأبناء الثلاثة بل واتهمنى البعض بأنى وافقت عليه لأنه ميسور الحال ، مع أن ظروفى المادية مقبولة كما أنى ورثت من زوجى الأول ، لكنى قبلت به لأنه صنع الكثير ليقنعنى بالزواج منه ورسم لى أحلامًا جميلة عن المستقبل وأكد لى أن ابناءه يحتاجون إلىَّ . . وبكى أمامى وهو يؤكد لى أنه حتى لو قُضى أجله فإنه يريدنى من بعده إلى جانب أبنائه ، فساءلت نفسى وماذا يساوى فارق السن وقد تزوجت الصغير المعافى من كل مرض فإذا به يموت فجأة ويتركنى ، وانتهيت إلى القرار بالزواج منه . . واكدت لنفسى ولغيرى أنى سأحب أبناءه وسوف يحبوننى لأنى لا احمل للناس إلا الحب ، وتزوجنا سريعا وبدأت حياتى الجديدة معه بحنين جارف إلى السعادة وإلى تعويض ما فاتنى منها وإحببت أبناءه الثلاثة واحبونى بالفعل . . ثم بدأ زوجى بعد شهرين فقط من الزواج يتغيب كثيرًا عن البيت ولا يعود إليه إلا فى موعد النوم . . وكلما سألته عن سر غيابه الدائم تعلل بالعمل ، فوجدت نفسى مرة أخرى وحيدة لا عمل لى إلا رعاية أبنائه الثلاثة فى غياب زوجى

وحاولت أن اشغل وحدتى بإشباع عاطفة الأمومة فرغبت إليه فى أن انجب طفلا وصدمت برفضه الانجاب وطلبه منى أن اكتفى باعتبار أبنائه أبنائى، ثم بدأت الاشاعات تترامى إلى أنه على علاقة بسيدة موظفة وبدأت اتتبع هذه الأخبار فعرفت أنه على علاقة بها منذ عشر سنوات ومن قبل أن ترحل زوجته الأولى وأنها رحمها الله كانت تعرف ذلك ولا تملك له شيئًا لمرضها الدائم وخوفها على أبنائها، وتعجبت من نفسى كيف خدعت فيه وفى الآخرين الذين شهدوا له بالاستقامة عندما تقدم لى وعندما واجهتهم بما عرفت قالوا لى أنهم كانوا يعرفون بالأمر لكنهم أملوا أن ينصلح حاله بزواجه منى ! ، ولم اطق صبرًا على ما عرفت وواجهته بعنف فانكر وصمم على أنه برىء واقسم على ذلك فصدقته وحاولت أن أطرد الوساوس من صدرى لكن الحال لم يتغير كثيرًا فبعد أيام قليلة عاد إلى الانصراف عنى نهائيًا والتغيب طوال اليوم عن البيت . . واشتعلت النيران فى قلبى فتقصيت اخباره وعرفت أنه عاد للالتقاء بها من جديد وتتبعته ذات يوم ورأيته بعينى فى بيتها . . وواجهته مواجهة صاخبة وفجرت الموقف معه . . فهل تعرف ماذا كان جوابه ؟

لقد صمم على طلاقى أنا الزوجة الشابة الجميلة ابنة الأسرة الكريمة التى صنع الكثير ليقنعها بزواجه وطلقنى بالفعل ثم تزوج من الأخرى التى لا أريد أن أقول كلمة سوء عنها حتى لا يحاسبنى الله بها رغم أنها تكبرنى بـ ١٥ سنة ولم يأبه لاستنكار كل أفراد أسرته لهذا الزواج ومقاطعتهم له وعدت إلى بيت أسرتى مرة ثانية مهزومة وحزينة . . مطلقة فى الرابعة والعشرين. وذات تجربة حافلة مع الحياة ومع البشر . .

تزوجت الصغير فغدر به الزمان .. وتزوجت الناضج الكبير فعصف بسعادتي ضعف البشر. وأريد أن أسألك لماذا تزوجني وهو يحب الأخرى ولماذا لم يتزوجها قبلي ويعفيني من هذه التجربة المريرة.
ولماذا يقبل البعض ومنهم كاتبة رسالة الجنية الذهبي أن يقيموا سعادتهم على انقاض سعادة الآخرين بغير اعتبار لما يفعلونه بهم وبلا أي ذنب لهم ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : تعامل الزوجة مع ضعف زوجها البشرى يتطلب يا سيدتى قدرًا كبيرًا من الحكمة والحذر .. يبدو بكل أسف أن صغر سنك وبراءة مشاعرك لم يتيحا لك التعامل بهما مع قصة زوجك المخجلة. فبعض الأزواج المتورطين فى علاقات مشينة حين تنفجر العاصفة وتقع المواجهات الصاخبة فتهتك الأسرار وتجعل منها مادة علنية للحديث والمناقشة، لا يجدون سبيلا أمامهم إلى اصلاح الأخطاء إلا بإضفاء المشروعية على العلاقة المشينة وتحويلها إلى زواج بدلا من الرجوع عنها وقطعها .. ومنطقهم فى ذلك أنه ما دام كل شىء قد عُرف وأصبح أمرًا ذائعًا فلقد وقع ما كانوا يخشون منه ويتجنبونه بكل الطرق ولا مفر إذن من علاج الخطأ بالزواج إما تورطًا وإضفاءً لطابع الاحترام على العلاقة السابقة، وإما ميلا مع الهوى القديم الذى ازاحت عنه المواجهة الصاخبة عبء التكتم والتستر واعانته على التعبير عن نفسه ، فضلا عما يلقيه فضح الأسرار من مسئولية أدبية جديدة على الرجل تطالبه بحفظ كرامة الأخرى فى مجتمعها والتكفير عما عرّضها له بالزواج ، لهذا فإننا نطالب دائمًا الزوجات بأن يحافظن على شعرة معاوية بينهن وبين الأزواج المستهترين

وأن يلتزمن بقدر الامكان بتجنب اثارة الفضائح حولهم لكيلا يدفعهم ذلك إلى تحدى الجميع والمضى فى طريقهم إلى النهاية مع تمسكهن بالرفض النفسى الدائم لسلوكهم ، والالتزام بسياسة النفس الطويل معهم لاستعادتهم وإعانتهم على الرجوع عن الخطأ ولو بالتظاهر بتصديقهم أحيانًا إلى أن يعودوا لرشدهم وللطريق القويم .

ويبدو أن كل ذلك لم يتحقق فى قصتك يا سيدتى لهذا فلقد جاء الانفجار السريع وجاء التحدى الصارخ من جانبه بتحويل القصة السرية إلى زواج علنى يرفضه الأهل والأصدقاء لكنك على أية حال ضحية جديدة لسوء الحظ الذى عرضك لهاتين التجربتين الأليمتين ولم يتعد عمرك بعد الرابعة والعشرين ، كما أنك بكل تأكيد ضحية أخرى تضاف إلى قائمة ضحايا المأزق الإنسانى الذى ينتج عنه كثير من المآسى الشخصية وهو مأزق تعارض وسائل سعادة البشر حين يرتضى البعض لنفسه أن يختار سعادته بغير اعتبار لما يترتب على اختياره ذاك من شقاء الآخرين ، وان كان كثيرون يرفضون هذا السبيل ويترددون كثيرًا فى اختيار سعادتهم الشخصية على حساب سعادة الأخرين ولو شقوا بذلك ولا يؤمنون بمنطق صديقة الكاتب الفرنسى العظيم فيكتور هوجو التى لامها البعض على علاقتها به على حساب تعاسة زوجها فقالت : «لو كان للإنسان أن يشترى سعادته بحياته لأنفقت حياتى منذ زمن طويل . . ولما توقفت عند أى اعتبار آخر!» ويرون دائمًا أن السعادة المثلى هى التى يخلو الإنسان معها دائمًا من وخز الضمير ويتحصن فيها بعدم ايلام الآخرين ، ويحاول دائمًا ألا تتعارض وسائل سعادته الخاصة مع وسائل الآخرين المشروعة .

أما لماذا لم يتزوجها زوجك قبلك ويعفيك من هذا الإيلام بعدما تعرضت له من محنة سابقة ؟ فلأنه يا سيدتى رغم ارتباطه العاطفى القديم بها لم يكن مقتنعًا بها ولا قادرًا على مواجهة أبنائه ومجتمعه بالزواج منها . . لكن هتك الأسرار والمواجهة الصاخبة قد ورطاه فى الزواج منها أو سهَّلا له على الأقل إعلان ما كان يتهيب أن يعرفه الآخرين .

والله عليم بما فى الصدور . . أما أنت يا سيدتى فليس أمامك إلا أن تطوى أيضا هذه الصفحة المحزنة من حياتك . . وتستعينى بالأيام والصبر والصلاة على مداواة هذا الجرح الجديد . . ولسوف يعينك شبابك على سرعة شفائه لأن جراح الشباب سريعة الإلتئام ولأن الحياة رغم آلامها السابقة ما زالت عريضة وممتدة أمامك ولابد أن تعوضك الحياة ذات يوم عما لقيت من تصاريف القدر . . وغدر الإنسان . .



المقارنة !

أكتب إليك يا سيدى لأعلق على رسالة « الجنيه الذهبى » التى كتبتها الفتاة الصغيرة التى تزوجت مديرها الزوج والأب لطفلين بحجة ان زوجته لا تحبه فعكرت بذلك صفو حياة أسرة آمنة . وهددت أمان طفلين بريئين وزوجة كانت قبل ظهور هذه الغازية سعيدة مهما ادعت كاتبة الرسالة غير ذلك فأنا واحدة من كثيرات يعشن ظروف تلك الزوجة الأولى الآن وانتظر مصيرى الذى سيحدده لى القدر بعد ان أخبرنى زوجى الذى تزوجته بعد قصة حب عميقة والذى عشت معه فى سعادة يحسدنا عليها الآخرون أنه متزوج عرفيا من فتاة تعمل لديه وينوى اعلان زواجه رسميا لأنه أخطأ ويريد تصحيح خطئه . ويصر على ذلك رغم محاولاتى العديدة معه . إنه رجل محترم ومركزه كبير وعلى درجة عالية من الثقافة والاطلاع ولا أدرى كيف حدث منه هذا . . ولا أين كانت اسرته الصغيرة من تفكيره حين فعل ذلك لكن هكذا شاءت الاقدار أو شاء الإنسان بمعنى أصح لقد كنت مصممة على الطلاق ثم تراجعت عنه حفاظا على مستقبل أولادى وحتى لايلومنى أحدهم فى المستقبل على أنى لم أصبر ولم اكافح لاستعادة أبيهم . لكنى مصره على الانفصال وعلى ان يكون لكل منا طريقه الذى اختاره لنفسه بعد ان جرى ما جرى . . إننى أنا وهو وابنى وابنتى فى حال

لايعلم بها إلا الله وبكاؤنا نحن الأربعة لا ينقطع ومع ذلك فهو ماض فى اتمام الموضوع بالرغم من علمه بما سيترتب عليه من نتائج ويقول انه سيتحملها لكى يرضى ربه فقط وليس حبا فيها ، والمطلوب منى أنا ان اتحمل وان أكون قوية واقف إلى جواره فى ذلك لأنه يحبنى ولم يحب أحدا سواى ولا يستطيع ان يفرط فىّ بسهولة فكيف بالله عليك اتحمل ذلك ؟

لقد نكأت رسالة « الجنيه الذهبى » جرحى الحى وتميزت غيظا وأنا أقرأ الأسباب التى حاولت كاتبة الرسالة لأن تبرر بها عدوانها على أسرة آمنة واستلاب الزوج والأب منها بحجة ان زوجته ام أولاده كما قالت « لم تكن تحبه » وان « الجميع » كانوا يعرفون ذلك ! وان أمر القلب والعاطفة ليس بيدها ولابيده الخ هذا الكلام الخائب الذى تبرر به كل خاطفة خطفها لزوج غيرها واريد ان أقول لها ماذا تنتظرين من رجل يجد فى ناحية من تدلله وتفرش له الأرض بالورود ثم يعود إلى بيته فيجد بعض المشاكل التى لايخلو منها بيت ولا حياة زوجية حتى ولو كانت كثيرة . . ألا تنتظر منه بل ألا تسعى هى بوعى وتدبير من وراء ذلك إلى ان يعقد مقارنة بين من تحاول استمالته بكل الطرق حتى تصل لاغراضها الدنيئة وبين أخرى لاحول لها ولا قوة مشغولة بالبيت والأبناء وهموم الحياة لكنها رغم كل ذلك تحبه وتهيئ له الجو المناسب ، انها مقارنة ظالمة تدبر لها كل خاطفة وتسعد بها ويبررون بها فعلتهن الشنعاء فى تدمير أسرة وهدم سعادتها فحسبى الله ونعم الوكيل فى كل إنسانة تهفو نفسها إلى زوج غيرها وإلى أب لأطفال أبرياء لا دخل لهم فى نزوات عاطفية سرعان ما تنتهى ان آجلا أو عاجلا . . وهذا هو الفارق دائما بين النزوة العارضة وبين حياة الأسرة والاحترام الذى تمثله ،

وأقول للرجال لاتظلموا زوجاتكم بهذه المقارنة الظالمة ولا تظلموا ابناءكم ولا تتركوا أنفسكم فريسة لنزوات لا تثمر فى النهاية إلا الدمار ثم تأتى ساعة الندم حين لاينفع الندم والسلام عليك وعلى كل من رعت حرمات البيوت وابتعدت عنها وليس على سواهن !

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : فى أوقات المحن تتبدى حكمة الإنسان وصلابته وقدرته على قيادة سفينة حياته بحرص وحذر وسط الصخور . وأنت يا سيدتى محقة فى كل ماتقولين ، واختيارك لعدم الانسحاب رعايةً لمستقبل الأبناء اختيار نبيل تضعين به سعادتهم فوق كل اعتبار . وهو اختيار حكيم وبعيد النظر أيضا لأن العواصف لا تدوم مهما زمجرت . . والضعف البشرى نزوة لا تستمر وان طالت ، وزوجك وان كان قد اخطأ فى حقك وحق اسرته وحق نفسه ـ فتصحيح الأخطاء متاح فى كل وقت وخير الخطائين التوابون . . وهو يستطيع ان يصحح خطأه ويسترضى ربه ثم يرجع عنه ويعيد الأمور إلى نصابها الصحيح ويكون ما يتحمله من تضحيات فى سبيل ذلك تعويضا للأخرى عن هذا التصحيح وابراءً لذمته مما يتحمله من مسئولية مماثلة لمسئوليتها عن هذا الخطأ وارتفاعك فوق الألم الشخصى لكى تعينيه على ذلك رصيد جديد يضاف إلى رصيدك القديم لديه وتثقل به موازينك عنده أكثر فاكثر .

فأنت رغم أية مقارنة وهمية الأصل . . الأم . . والزوجة التى يستطيع ان يواجه بها الآخرين باعتزاز والأسرة الطبيعية . . والشكل الاجتماعى السليم الذى يواجه به الحياة بلا استخفاء وبلا حاجة للاعتذار عنه بأية أعذار .

وتفهمك لملابسات تلك المقارنة الظالمة التى تدفع إليها غازيات الحصون الآمنة بعض الأزواج . . يعكس عقلا راجحا وتفكيرا ناضجا . . لكن كيف يستقيم هذا التفهم الواعى مع قرارك الانفعالى بالانفصال داخليا عنه وانتما فى ذورة هذه المحنة ؟ ألست بذلك تساعدين الأخرى على ان تضيف لوهم المقارنة الظالمة اغراء جديدا !؟ يا سيدتى لقد اخترت انقاذ زوجك والوقوف معه إلى أن يجتاز هذه المحنة ويعود إلى الطريق الصحيح لكن انفصالك داخليا عنه فى هذه الفترة لايخدم هدف اعانته على ذلك ، وشفاء من يتعرض لوعكة عابرة يتحقق اسرع إذا كانت اليد التى تسقيه الدواء حانية وغافرة ومتصبرة وليست زاجرة أو مجافية ، فالنفس البشرية تميل رغما عنها لمن يحنو عليها حتى ولو تشككت فى دوافعه وتجفل ممن يقسو عليها خاصة فى أوقات المحن حتى ولو تفهمت اخلاص النوايا فى بعض الأحيان .

فأعينيه على أمره بالاقتراب منه . . لا بالبعد عنه ، ثم بعد اجتياز العاصفة يكون العتاب وتكون إعادة ترتيب الأوراق . . بما يكفل لك أمنك وحماية أسرتك واستعادة سعادتك ان شاء الله . . .

المظهر الفخيم !

منذسنوات كنت طالبة بكلية الزراعة . . . فتعرفت على شاب من رجال الأعمال كان يتردد على الكلية لاستشارة بعض أساتذتها فى شئون مزرعته للدواجن أو لشراء بعض المواد اللازمة لها من مزرعة الكلية . . فاعجب بى وراح يتردد على الكلية بكثرة ، كما أعجبت به وبمظهره الفخيم ومخايل العظمة التى تبدو عليه كأنه مسئول كبير أو وزير خطير. . وتقدم لأبى طالبا منه يدى ، فوافقت عليه رغم تحذير أبى لى من أنه لايحمل اية شهادة ومن إنه لايرتاح للغة المال التى يتحدث بها والتى يؤكد بها دائما قدرته على الحصول على أى شىء وتنفيذ أى رغبة عن طريق المال لكنى لم اتراجع عن قبوله بل وسعدت بخطبته لى وبالفخامة والثراء اللذين يحيطان به . . . وبدأنا الاعداد للزواج فازداد ذهولى لما أراه من انفاق للمال بسهولة لم أكن اتخيل وجودها فى الحياة واقيم حفل الزفاف فى أكبر فنادق القاهرة وشهدته شخصيات لم نكن نحلم بان نراها عن قرب أو نصافحها ، وغادرنا الحفل إلى الفيللا الصغيرة الجميلة التى يعيش فيها فتركنى وحيدة بملابس الزفاف وانتقل إلى جناح بعيد ليستقبل بعض اصدقائه ! . . . ودهشت لذلك فتلصصت عليه لاعرف ماذا يبعد زوجا عن عروسه فى ليلة الزفاف ، فإذا بى اكتشف انه من أصحاب المزاج وانه

يجلس مع ٣ أشخاص ويتعاطون المخدرات ويحتسون الخمر وظل هذا الوضع العجيب حتى الصباح فتأزمت نفسيا منه ، وأصابتنى عقدة الخوف من اقترابه منى واستمرت معى بعد ذلك حتى بدأ يضربنى كلما أراد ان ينالنى وتكشف المظهر الفخيم عن شخص فظ غليظ سوقى الألفاظ والتصرفات ويؤمن بانه اشترانى بماله فهجرت البيت واحتميت بأبى وطلبت منه ان يطلقنى منه لكنى اكتشفت للأسف انى قد صرت حاملا وبكيت من القهر حين عرفت هذه الحقيقة المرة وضغطت على اسرتى لكى اتنازل عن طلب الطلاق رفقا بهذا الجنين الذى لم يولد بعد واراد زوجى ارضائى فقبل ان ابقى فى بيت أسرتى حتى الولادة وبقيت بالفعل بضعة شهور اغدق خلالها على وعلى الأسرة كلها بالهدايا ثم وضعت طفلتى فأقام حفلا كبيرا ابتهاجا بالمناسبة ووزع الهدايا على كل سكان الشارع الذى تقيم فيه أسرتى حتى لهج الجميع بشكره والثناء على كرمه وأريحيته وتعجبوا من رفضى العودة إليه . . . ولم أعرف كيف اجيبهم لكنى لم أجد مبررا لاستمرار بقائى فعدت حاملة طفلتى وكلى أمل فى ان تتغير الأحوال ، فلم تمض أيام حتى عاد زوجى إلى سيرته الأولى مع المخدرات والخمر واصدقاء السوء ، وزاد على ذلك ان حبسنى فى البيت فلا خروج ولا زيارات ولا شىء سوى الفظاظة والطبع الحاد السوقى والضرب والاهانة وسب أسرتى «أسرة الشحاتين » على حد قوله ـ سامحه الله ـ ولم أجد ما افعله سوى الصبر وانتظار عدالة السماء . . . ثم مات ابى رحمه الله فعدت إلى بيت أسرتى للعزاء ورفضت باصرار العودة لبيت زوجى واقمت دعوى لطلب الطلاق لاستحالة العشرة بيننا وخسرتها للأسف وزاد من أسفى وهمى ان عرفت أنى

حامل للمرة الثانية ثم جاء زوجى يبكى لأمى ويقسم لها بكل يمين انه قد تغير وانه لن يعود إلى سيرته الأولى ويطلب عودتى فعدت إلى البيت وانجبت طفلتى الثانية وبعد قليل رحلت أمى عن الحياة فاستسلمت لليأس وقررت ألا اهجر بيتى مرة أخرى وان أعيش حياتى خادمة للطفلتين واترك أمر زوجى لخالقه ليحكم فيه بعدله ورزقت بالمولود الثالث وكان طفلا جميلا فاستبشرت بأن يكون مولده بداية لانصلاح أحوال زوجى وبعده عما يغضب ربه . . . . لكنه لم ينصلح بل تعقدت الحياة أكثر وأكثر. . فلقد صدمت بعد مولد طفلى بشهور بحقيقة مفزعة هى ان زوجى ليس فقط شابا مستهترا يتعاطى المخدرات والخمور ويسىء عشرتى. . . وإنما هو أيضا تاجر لهذه السموم وان مانعيش فيه من ثراء ومظهر فخيم كله من مال حرام وليس من عمله أو أعماله فى مزرعة الدواجن كما كنت اتصور بغفلتى . . . فتولانى رعب شديد وأصبحت أعيش فى خوف دائم فاذا دق جرس الباب تصورت ان الشرطة سوف تقتحم المكان وتفزع اطفالى و إذا سمعت صوت سيارة تتوقف أمام البيت تجمد الدم فى عروقى وعشت لحظات رهيبة قبل ان يعود إلىَّ الاطمئنان. . .

ولم استطع تحمل هذه المعاناة الجديدة فاصطحبت اطفالى ولجأت إلى شقيقى وصرحت له بكل شىء وجاء زوجى يبحث عنى فواجهه شقيقى بكل صراحة وطالبه بايجاد شقة منفصلة لى بجوار مسكن الأسرة لأعيش فيها مع أطفالى وارعاهم بعيدا عن الحياة الموبوءة والمحفوفة بالخطر التى يعيشها ، وطالبه بطلاقى فرفض باصرار . . . فقبل أخى ان استمر زوجة له وان يكون من حقه ان يرى أولاده كيفما شاء ولكن بشرط ألا يبيت فى

شقتى وألا تقوم أية علاقة زوجية بينى وبينه بناء على رغبتى وألا يزوره خلال زيارته لأولاده أحد من عالمه الأسود أو من اصدقاء السوء ليكون مسكنى بعيدا تماما عن حياته المحرمة ورضخ زوجى لكل الشروط وقام بإيجاد شقة صغيرة قريبة من مسكن أسرتى واستقللت بحياتى عنه وعشت مع أطفالى اخدمهم وأقوم بكل شئون شقتى واسرتى الصغيرة واحسست بالراحة والأمان لأول مرة منذ تزوجته ومنذ عرفت الحياة فى الفيلا الفخيمة ذات الخدم والحشم . . . وبدأ زوجى يزور الشقة من حين إلى آخر ليرى أطفالنا فأقابله بتحفظ وأؤدى له واجب الضيافة كأى ضيف غريب وهو يكظم غيظه وينتظر الفرصة المناسبة لكى يفرض علىَّ سطوته كما كان من قبل لكن عدالة الله كانت اسبق من تدبيره فلقد انكشف أمره وسقط زوجى فى يد الشرطة مع أفراد شبكة كبيرة لتجارة المخدرات وحكم عليه بالسجن ١٥ عاما وطلقت منه بحكم القانون وعشت لأولادى وعملت موظفة باجر بسيط ويساعدنى شقيقى ماليا على مواجهة اعباء الحياة وبعد خمس سنوات من الوحدة ساق لى القدر رجلا فى الخمسين من عمره توفيت زوجته وله ابنتان وهو جار لنا ومشهود له بالتقوى والصلاح ويعمل مديرا باحدى شركات القطاع العام فطلب الزواج منى ورفضت اسرتى كلها لكنى قبلت الزواج منه وتم الزواج وعرفت معه الحب والتفاهم والاخلاص والحياة الفاضلة الآمنة المطمئنة لأول مرة وأدينا معا الحج والعمرة فى العام الماضى واعيش الآن معه سعيدة راضية بحياتى لكنى أواجه مشكلة صعبة ياسيدى هى اطفالى ! فلقد ضمتهم أم مطلقى إليها بمجرد زواجى وترفض أسرة مطلقى باصرار السماح لى برؤيتهم ويهددوننى اذا حاولت ضمهم أو

رؤيتهم بايذاء إبنتيْ زوجي واثارة المتاعب له في عمله وحياته وهم قادرون على ذلك بالرغم من أنهم يعتبرون من تجار المخدرات حيث ان لهم معارف في كل جهة ولهم نفوذ وسلطان ! وقد قابلت أم مطلقي وتوسلت إليها ان تسمح لي بتربية الأطفال إلى ان يبلغوا السن القانونية ثم تضمهم إليها أو تأذن لي برؤيتهم من حين لآخر وقبلت قدمها باكية ليرق قلبها . . . فلم يرق ياسيدي وتمسكت بألا تسمح لي بذلك إلا إذا طلقت من زوجي وبشرط ان أقيم مع أسرة أبيهم حتى تنتهي فترة سجنه بعد تسع سنوات .

وأنا الآن ياسيدي لا أنام ووجوه أولادي الثلاثة لاتفارق مخيلتي . . ولا أريد أن أتسبب في اثارة أية متاعب للرجل الوحيد الذي شعرت معه انني انثى وسيدة محترمة وعرفت معه الحياة الطبيعية الفاضلة من متعة مشروعة لايعقبها اي احساس بالذنب ومن صلاة وصيام وتقوى وصلاح واحساس بالسكينة والأمان لكني من ناحية أخرى لا أقوى على احتمال بعد أطفالي عني إلى الأبد . . . فهل استجيب لما تريد جدتهم ان تكرهني عليه واطلب الطلاق من زوجي الطيب الفاضل واعود لخدمة أطفالي وانهي حياتي خادمة لهم مع العلم باني مازلت في الخامسة والثلاثين من عمري ؟ أم ماذا افعل ؟ لقد فاتحت زوجي بكل مايثقل عليَ صدري فكان كعهده دائما رجلا متزنا وعادلا فلم يغضب بل قدر معاناتي واغتم لغمي واشفق عليَّ ونصحني بان افكر طويلا قبل ان اتخذ أي قرار وبأن استشير في أمري واستعين برأي غيري فيه لأنه صعب وقد اتفقنا بعد تفكير طويل على ان نستشيرك في ذلك وان نؤكد لك انه على هدى نصيحتك سوف نتوكل على الله الحي الذي لايموت ونتخذ قرارنا في هذه المشكلة فارجو ان تعيننا على

الاختيار وادعو الله ان يهديك إلى الرشاد فى أمرنا كما ادعوه ان تكون رحيما بى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول**: اقسى اختيار يواجهه الإنسان هو ان يختار بين أمرين كلاهما حق وعدل وله أسبابه المنطقية المشروعة وهذا للأسف هو ماتواجهينه الآن فأنت ياسيدتى إذا اخترت أطفالك وضحيت بزوجك وسعادتك وأمانك فانما تختارين عدلا ورحمة ، وأنت من ناحية أخرى إذا اخترت حقك المشروع كإنسانة فى السعادة والحياة مع زوج تجدين معه كل ماحرمت منه فى تجربتك الأولى المريرة لم تتعدَّ الحق والشرع . ولا لوم عليك فى كلا الاختيارين وإنما اللوم كل اللوم على من جعلوا من كل منهما بديلا للآخر وماكان أسهل عليهم لو التزموا الحق والعدل ان يسلموا لك بحقك المشروع فى الزواج وبحقك العادل فى رؤية أطفالك ورعايتهم حتى وهم فى كفالة أسرة زوجك ان عز عليهم ان يسلموا لك بحضانتهم حتى يبلغوا السن القانونية

وحين يواجه الإنسان مثل هذا الاختيار المرير فإن أفضل مايفعله هو ان يستعين بعقله وعقول الآخرين معه على امره ولقد قيل ذات يوم لعمرو بن العاص : ما العقل ؟ فأجاب : الإصابة بالظن ومعرفة ماسيكون بما قد كان ! فإذا كان ذلك صحيحا فدعينا نحاول استشراف ماسوف يكون اهتداء بما قد كان من سيرة زوجك وتجربتك معه .

انك ياسيدتى ان ضحيت بزواجك وعدت للاقامة مع أسرة زوجك السابق فقد يستقر جانبك بقربك من أطفالك ولكن إلى متى ؟ وبأى ثمن؟ ان وجودك فى محيط الأسرة سوف يجعلك هدفا لضغط نفسى

واجتماعى من جانبها للعودة إليه مرة أخرى فهل أنت على استعداد لذلك!
وهل تنبئ تجربته الماضية معك ومع الحياة بأمل كبير فى انصلاح أحواله فى المستقبل وحتى إذا استطعت الصمود لمحاولات العودة وعشت لأطفالك فقط كما كان حالك قبل الطلاق فهل أنت قادرة على مواجهة الحياة وحيدة طوال العمر . . أنك وحدك من تقرر هل تستطيعين الاستغناء عن الزواج إلى النهاية أم لا لكن الزواج من ناحية أخرى يصبح فريضة وواجبا على من يستطيعه وَيرغبه بشدة ويخشى على نفسه من الزلل ان حرم منه لأن إعفاف النفس بالزواج أمر مشروع ومطلوب ايضا وأغلب ظنى ان تجربتك الفاشلة الأولى قد ضاعفت من حاجتك للزواج الصحيح الذى يطمئن به القلب وتسكن فيه النفس إلى من يشاركها رحلة الحياة .

ورغم شدة تحفظى على استسهال ترجيح السعادة الشخصية على مصلحة الأبناء فانى اتنازل عن هذا التحفظ فى حالات استثنائية قليلة كألا تكون الزوجة هى التى سعت إلى تدمير حياتها العائلية جريا وراء سعادتها بغير وضع مصلحة الأبناء فى الاعتبار ، وكأن تكون قد اضطرت إلى الانفصال عن زوجها فى ظروف خاصة كظروف زوجك ففى مثل هذه الحالات الخاصة لايستطيع المرء ان يطالب أمًّا بأن تضحى بنفسها إلى الأبد مالم تكن راغبة فى ذلك عن اختيار تلقائى لايطرح نفسه للمناقشة ومن حقك إذن ان تختارى ألا تعيشى هدفا لمحاولات زوجك السابق لاستئناف الحياة الزوجية معه وأنت لاترغبين فى ذلك وليس فى ماضيه وحاضره مايرشحه لآمال كبيرة فى انصلاح أحواله ومن حقك ان تحاولى التوفيق بين حاجتك الإنسانية إلى أطفالك وحاجتك الإنسانية ايضا إلى زوجك الذى

لم تعرفى الأمان والسلام إلا معه كما إنه من حقك بكل تأكيد ان تتعلقى دائما بالأمل فى ان تلين القلوب المتحجرة الآن أو غدا أو بعد غد فتسمح لك برؤية أطفالك وباستمرار العلاقة الإنسانية المشروعة بينك وبينهم سواء أكنت زوجة لغير أبيهم أم لا . . . فأنت أمهم فى كل الأحوال وهؤلاء الأطفال الصغار سوف يشبون عن الطوق ان آجلا أو عاجلا وسوف يسعون إليك كما تسعين إليهم . . . ولن تنجح مؤثرات الأسرة فى منع التواصل الفطرى الإنسانى بينك وبينهم ولست أفضل ان تستعينى بالقانون على تمكنيك من رؤية أطفالك حفاظا على مابقى من شعرة العلاقة الإنسانية بينك وبين اسرة زوجك السابق لكنك ان فعلت فلا لوم عليك .

لهذا كله فانى قد استخير ربى وانصحك ربما للمرة الأولى بألا تضحى بحياتك المستقرة مع زوجك وانصحك بألا تكفى عن محاولاتك السلمية لرؤية أطفالك وبأن تكتبى إلى زوجك السابق لتستعينى به على أسرته لتسمح لك بذلك فلعل كروب الحياة وراء القضبان قد علمته ألا يظلم غيره عسى ان يفرج الله كربه ولاشك ان أسرته إنما تنفذ أوامره بحرمانك من أطفالك فإذا خاطبت قلبه كأب فمن يدرى فلربما لان وكفَّر عما ارتكب فى حقك وفى حق الحياة بألا يزيد من آثامه بهذا الظلم البين لك ولاطفاله معا فهو لايحرمك منهم فقط وإنما يحرمهم ايضا منك وحاجتهم إليك تزيد على حاجتك إليهم فلماذا يعاقب ابناءه بما فعل هو بحياته . . . ولماذا لايتقرب إلى ربه بالتخلى عن هذه القسوة اللا إنسانية ؟

قد لايكون الأمل كبيرا فى استجابته لنداء الرحمة والحق والدين وقد يكون

الأمل واهيا . . . لكنه قائم دائما وسيظل قائما للأبد ذلك ان كل إنسان مهما كان طريقه فى الحياة لايخلو من جوانب إنسانية وجوانب رحمة كامنة فى أعماق النفوس فإذا عرفنا كيف نمس أوتارها فقد يفاجئنا بأكثر مما كنا نحلم به من فهم وعدل وشهامة. وماضاع حق مشروع ووراءه مطالب يتمسك بالأمل فى عدالة السماء . . . ورحمة البشر .

خيوط الألم

أكتب إليك بمشكلتي وادعو الله أن يوفقك إلى رد يعينني على اتخاذ قرار يرضى ربى وضميرى . وابدأ فاقول لك اننى طبيب فى أواخر الثلاثينيات من عمرى وقد بدأت قصتى حين فقدت أمى عقب ولادة أخى الوحيد بعدة شهور وعمرى آنذاك ٣ سنوات فتولى أبى صاحب الوظيفة الهامة تربيتنا وتفرغ لنا ورفض الزواج من اجلنا وأدى رسالته نحونا بأفضل ما يستطيع أب ان يفعل بعد ان وجد نفسه مسئولا عن ولدين يتيمين فكان يقوم لنا بكل ما نطلب بنفسه حتى لقد كان يصنع لنا كعك العيد بيديه ويذهب به معنا إلى الفرن ، كما تفعـل أمهات أصدقائنـا معهم حتى لانحس بأى نقص عن غيرنا فنشأنا والحمد لله متوازنين نفسيا نحب الناس وشديدى الارتباط ببعضنا البعض ومتفوقين فى دراستنا . . وابى يرقبنا سعيدا بأن غرس فى نفسينا التراحم والتعاطف وحب الآخرين . . وواصلنا دراستنا بلا مشاكل حتى بلغت السنة الثالثة بكلية الطب والتحق أخى الوحيد بالسنة الأولى بكلية الهندسة . . ثم فجأة رحل عنا والدنا الطيب العطوف ووجدنا أنا وشقيقى الوحيد نفسينا ونحن فى أوائل سن الشباب وحيدين تماما بلا أب ولا أم ورغم الصدمة الشديدة فقد حاول كل منا ان يتماسك من أجل الآخر ، وحاولنا الصمود للمحنة وكان أبى قد خلَّفنا

وراءه مستورين إلى حد ما ، نعيش فى شقة جميلة ونركب سيارته ونواجه الحياة بمعاشه ولكن بلا أى مورد آخر ، فكان شقيقى الأصغر يقتصد من نصيبه فى المعاش ويقتر على نفسه ليعطينى ما اشترى به كتب الطب المرتفعة الثمن ، وفى تلك الفترة كنت قد ارتبطت عاطفيا بزميلة لى فى نفس الكلية وكعادتى مع شقيقى صارحته بكل شيء فبارك حبى لزميلتى من البداية وشجعنى عليه ثم تخرجت قبله بشهور فصمم على أن اتزوج فتاتى فى شقتنا تلك بمجرد ان ينتهى من دراسته التى لم يبق على نهايتها سوى بضعة شهور ويسافر إلى أخوالى الذين يعملون فى بلد عربى منذ سنوات ويعمل ويبنى حياته ويشترى لنفسه شقة أخرى ! ويترك لى شقتنا الجميلة نهائيا ! ولم يكتف بذلك بل قدم لى أيضا نصيبه من مصاغ أمنا لكى أبيعه واشترى بثمنه الشبكة لخطيبتى . . ولم استغرب منه كل ذلك فلقد كنت ابادله عاطفته الأخوية العميقة بمثلها . .

ولا يهنأ لى بال إذا اصيب بنزلة برد وأسعد بتحضير الطعام له واعداد ملابسه كما لو كان ابنى الصغير وليس شقيقى . وابلغت فتاتى بما استقر عليه الرأى بينى وبينه وسعدت به . . واطمأن قلبانا إلى المستقبل . . واقترب موعد امتحان بكالوريوس الهندسة لشقيقى حتى لم يعد باقيا عليه سوى خمسة شهور . . وضاعف شقيقى من جهده فى المذاكرة ورسم اللوحات واعداد المشروع ليحقق حلم ابى رحمة الله عليه بان يتخرج كل منا من كليته فبدا يشعر بضعف مفاجئ فى ابصاره فسرتُه بانه بسبب الاسراف فى التركيز فى رسم اللوحات الهندسية الدقيقة لكنى لاحظت عليه بعد ذلك إنه لا يذهب إلى كليته وانه يتخبط فى الأثاث عندما يتحرك من مكان إلى

مكان وقد حدث كل ذلك فى أيام فاحسست بخوف غامض يعتصرنى واصطحبته إلى اساتذتى فى الكلية ثم إلى كل اساتذة الرمد فى مصر فصدمت صدمة شديدة بأنهم اجمعوا على انه يفقد بصره تدريجيا وانه سيفقده نهائيا خلال أسابيع وسيعيش ما بقى له من عمر أسيرا للظلام .
ولا استطيع مهما اردت ان اصف لك ما حدث لنا حين خبا الضوء الأخير من عينيه ودخل شقيقى عالم الظلام الأبدى بكل أسف ، فقد لازم الفراش وامتنع نهائيا عن الكلام وتناول الطعام وتغيير ملابسه وأنا بجانبه اجلس بجوار سريره لا افارقه ودموعى تنهمر بلا توقف والطعام فى يدى أحاول ان اضعه فى فمه بالصبر والرجاء والاستعطاف . . وهو لا يستجيب ولا يتكلم ولا يرد وأحزان الدنيا كلها تجمعت فى داخلى استعيد كل مشاهد الشقاء فى حياتنا ، امى التى حرمت منها طفلا فى الثالثة وأبى الطيب الذى رحل عن الدنيا قبل ان يرانا كما اراد ووحدتنا فى مواجهة الحياة وتشابك خيوط حياة كل منا مع حياة الآخر . . وتخطيطه لمستقبله بعد التخرج الذى لم يتم . . وتذكرت صورته وهو يقدم لى مصاغ أمه لأبيعه وتضحيته بنفسه لاسعادى واسعاد أى إنسان يستطيع مساعدته وثقلت علىَّ الأحزان فهتفت دون ان ادرى أكثر من مرة من بين دموعى : رحمتك بعبادك يارب . . رحمتك بعبادك يارب . . ومن احق بها من شقيقى هذا ومنى وجئت إليه بالأطباء فشخصوا حالته بأنها حالة اكتئاب نفسى شديدة ونصحونى بأن اتشجع أنا أيضا لأنى أسير إلى الاكتئاب بخطى سريعة . . وتجلت رحمة ربى بنا بأن رزقنا اشخاصا من الأقارب والجيران والأصدقاء علموا بمحنتنا فوقفوا إلى جوارنا ولازمونا ساعة بساعة يلبون أى طلب نحتاج إليه ويقومون بأعمال

البيت ويتسابقون للقيام بأى شىء نطلبه . وبفضل الله وبفضل هؤلاء الأشخاص الفضلاء بدأت اخرج من عزلتى واكتئابى بعد ان اقنعونى بان حالة شقيقى ستزداد سوءا إذا استمر استسلامى للحزن ، فتشجعت قليلا وبدأت احدث شقيقى بالدين مرة وبالمنطق مرة أخرى واحدثه عن أجر الصابرين عند ربهم وذهبت إلى احد مراكز رعاية المكفوفين وتعلمت من أساتذته كيف أجعل الحياة بالنسبة لشقيقى أكثر سهولة وواظبت فى الإلحاح على شقيقى بأن يستسلم لارادة ربه وان يستعيد اقباله على الحياة وبدأ شقيقى يستجيب لإلحاحى فبدأ يخرج من سجن سريره الذى لايغادره ويتجول فى الشقة قليلا ثم بدأ يستقبل بعض اصدقائه واحضرت له مدرسا ليعلمه الكتابة بطريقة برايل .

وفى غمار كل ذلك انتبهت إلى ان خطيبتى لم تكن إلى جانبى للدرجة التى كنت اتمناها منها فى تلك المحنة ولم اتوقف عند ذلك طويلا لأنى التمس للناس دائما الأعذار ولا أكلف أحدًا فوق طاقته لكنى رأيت من واجبى ان أبلغها بالتطورات التى طرأت على خطتنا للمستقبل وهى ان شقيقى سوف يقيم معى فى أى حياة تكون لى ولن اتخلى عنه تحت أية ظروف إلى ان يقضى الله أمرا كان مفعولا وأمهلتها وقتا للتفكير قبل ابداء رأيها . . وجاءنى الرد بعد قليل بأنها تحبنى وتحترمنى من أجل ذلك وتقبل الزواج منى مع هذه الظروف . وتزوجنا ياسيدى فى نفس شقتنا الجميلة ومعنا شقيقى ورفيق دربى وكان قد غير مسار حياته بعد المحنة فترك دراسة الهندسة التى كاد يحصل على شهادتها وحول أوراقه إلى كلية الآداب ومرت شهور الزواج الأولى سعيدة وهادئة وانجبت زوجتى طفلة، فلم

أعرف ماذا صنعت بها الولادة والانجاب إذ كأنهما كانا خطا فاصلا بين مرحلتين فى نظرتها إلى شقيقى فقد تغيرت تجاهه وبدأت تسىء معاملته وتسخر منه وتنهره إذا اصطدم بشىء وهو لايرد ولا يشكو وان كنت أرى الألم الصامت فى ملامح وجهه ، ثم بدأت تشكو لى من أنها لاتستطيع ان تنفرد بزوجها فى حياة خاصة كما تفعل كل زوجة مع أنه شديد الحساسية ويلازم حجرته طوال فترة وجوده بالبيت ويتناول طعامه وحده بغير ان يشكو أو يتكلم وبغير ان تفارقه الابتسامة وزاد الأمر سوءا بعد ان انجبنا طفلنا الثانى وكان هو قد أنهى دراسته والتحق بعمل لا يدر عليه دخلا بقدر مايبقيه خارج البيت أطول فترة ممكنة فرارا من زوجتى أما بعد الظهر فقد كان يذهب معى إلى النادى أو إلى أحد الأصدقاء لأتركه معه ثم أعود لأصحبه فى العودة وفى بعض الأحيان كان ينتظرنى فى السيارة بالساعات بلا ملل ولا شكوى وأنا أؤدى بعض أعمالى أو ارتباطاتى لكيلا يبقى فى البيت فتتضايق منه زوجتى ورغم كل ذلك ازدادت معاملتها له سوءا وازدادت تحذيراتها له بأن يلازم حجرته كلما جاء ضيف أو قريب لها وهو يستجيب بلا شكوى بل ويلتمس لها العذر . . وأنا أرى ألمه وعذابه واتمزق وقد جربت معها كل الحيل باللين مرة وبالخصام والشجار مرة أخرى بلا فائدة . . . ثم بدأت زوجتى تغير النغمة فى شكواها من شقيقى قائلة أنه يقاسمنا رزق ابنائنا !

وتألمت حين سمعت ذلك لأنها تعرف جيدا ان الله يرزقنى باضعاف رزق زملائى مع أنى لا اتميز عليهم بشىء مما يقطع انه رزق هذا الشقيق الوحيد الكفيف . . وفى إحدى المشاجرات غادرت زوجتى البيت وطالبت

بالطلاق ان لم أوفر لها شقة مستقلة أو اتخلص من شقيقى . . وحاول أخى ان يقنعنى بأن ينفصل عنى بأى شكل من الأشكال لكى تعود زوجتى إلىَّ وتختفى أسباب النزاع لكنى رفضت باصرار . . وبقى الوضع معلقا إلى أن جاء الحل غير المنتظر من عند الله سبحانه وتعالى . . فقد جاءنى عقد للعمل باحدى الدول العربية لمدة ٣ سنوات فاتفقت مع زوجتى على ان اسافر مصطحبا أخى معى وتبقى هى مع الأولاد فى مصر . حتى استطيع ان ابيع شقتنا الحالية ونحصل على شقة أوسع من جناحين منفصلين أو على شقتين متقابلتين بحيث يستمر أخى معنا بغير ان تحس بوجوده مع اننا لم نكن نشعر ابدا والله بأنه عبء علينا ، وسافرت مع شقيقى وتركت زوجتى وأولادى على ان أعود إليهم فى أول أجازة ، ولم تمض عدة شهور حتى بدأت زوجتى تشكو من أنها لاتستطيع رعاية الطفلين وحدها وعاد أخى يناصرها ويكرر لى ان من حقها المشروع ان تلحق بى وتعيش معى تحت سقف واحد . . فجاءت وأقامت معنا فى شقة اصغر من شقتنا فى مصر وبعد أسابيع فقط عادت المشاكل القديمة للظهور . . . فهى تعتقد ان شقيقى يدفعنى للتحامل عليها وهو والله شهيد على ما أقول لم يتكلم عنها مرة بسوء ، ودائما يمدحها ويدعو لها الله ان يجزيها خيرا برعايتها له . . ويلتمس لها الاعذار الى الحد الذى يضايقنى أنا نفسى أحيانا حين يلح فى الحديث معى عن حق كل زوجة فى ان يكون لها بيت مستقل ولست اضيق رفضا لذلك وإنما لأنه ماذا نفعل وهو لم يرد لنفسه ما حدث ولا أنا اردته . . وإنما هى اقدار لا حيلة لنا فيها ولماذا لا نتحملها جميعا بلاشكوى!

ومضت الأسابيع على هذا المنوال حتى حدث ان اصطدم شقيقى اثناء تحركه فى الشقة باناء طعام فارادت زوجتى فيما يبدو ان تمنعه من الاصطدام به فدفعته بعصبية وقسوة بعيدا عنه ففقد توازنه وسقط أخى على الأرض. . ولم يمنع ذلك الاناء من الوقوع أيضا . . فلم اتمالك نفسى ولم ادر إلا وأنا اصفعها وأخى يتحسس طريقه للنهوض ليقف بينى وبينها ويهدئ كلا منا لكن هيهات فقد صممت زوجتى بعدها على مغادرة البلد الذى أعمل به عائدة مع الطفلين إلى بيت أهلها بمصر . . ولم اتحمل ما حدث فانهيت عقدى بعد أسبوعين من رحيلها وعدت إلى شقتى ولم اتصل بها واصر شقيقى على ان يتدخل ويحاول الاصلاح بيننا وذهب إليها فى بيت أهلها ليصالحها ويدعوها للعوة ولا أعرف ماذا حدث بينهما لكن المؤكد انها جرحته واهانته لأنه عاد وجسمه ينتفض من الألم ولم يقل سوى ربنا يهديها. . وبعد قليل أرسلت أمها بمطالبها النهائية والصريحة وهى : إما الطلاق وإما التخلى عن شقيقى! .

هذا هو الخيار الذى تضعنى فيه زوجتى وام اولادى ياسيدى. . بغير ان تعرف انى لا أؤدى تجاه شقيقى مجرد واجب ينبغى علىَّ ان أؤديه لكنى أيضا أحمل له مشاعر أخوية حميمة ولا اطيق ان يمر يوم لا أرى فيه وجهه الباسم ولا اسمع دعاءه لى بالتوفيق الذى يفتح لى أبواب السعادة . . ثم انى لست مجرد شقيق له بل أنا عيناه اللتان يرى بهما الدنيا فاصف له الشارع والناس والتليفزيون وكل شىء بل وأنا الذى أبقيه راغبا فى الحياة فاذا تخليت عنه فسوف تتدهور غالبا صحته ويموت بالاكتئاب كما ان ظروف عملى لن تسمح لى بزيارته بانتظام اذا انفصل عنا فى حياة بعيدة ،

ومن ناحية أخرى فلست استطيع بالطبع ان ادع أولادى ينشأون ويتربون بعيدا عنى وأنا أكثر من يعرف أهمية دور الأب فى حياة ابنائه . . فبماذا تشير على . . انها تقرأ بابك بانتظام . . فهل توجه لها كلمة تقول لها فيها ان رعاية الكفيف قد تفتح لها أبواب الجنة ، وان أخى شديد الحساسية ومطالبه قليلة ومن السهل احتمال الحياة معه إذا شاءت ذلك . . ثم ماذا اختار إذا اصرت زوجتى سامحها الله على ألا يكون لى مهرب من الاختيار؟ .

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : بعض الكلمات تلسع فم الإنسان وهو ينطق بها من فرط حدتها وقسوتها ومجافاتها لروح العدل والرحمة ! ولا شك ان شفاه زوجتك مازالت محترقة من لسع كلماتها لشقيقك يوم مأساة اصطدامه بالإناء . . وارجو ألا تكون أنت أيضا قد حرقت شفتيك بلهيب مماثل من الكلمات القاسية لها .

وعلى أية حال فانى أرجو ان تكون الفترة الماضية قد ساعدت كلا منكما على استعادة هدوئه واتزانه لتتوصلا معا إلى حل عادل لمشكلتكما .

وفى البداية فانى أقول ان زوجتك لو فهمت معنى تمسكك برعاية شقيقك حق فهمه لما فرطت فى عشرتك ولما آذت شقيقك ولما جعلت وجوده بينكما قضية يرتهن بها استقرارك العائلى وحق طفليك فى الأمان والسلام ، لسبب بسيط هو ان الوفاء لايتجزأ ولأن من كان وفيا لشقيقه الوحيد ورفيق دربه الذى امتحنته الحياة بهذه المحنة المؤلمة لا يمكن إلا أن يكون وفيا لمن تشاركه حياته وتتقاسم معه رحلة الحياة . . بل انى لأعجب كيف يحق لزوجتك ان تأمن على نفسها معك لو كنت قد تهللت لرغبتها وتلمست الأسباب للتنكر لشقيقك والتخلى عنه وهو من لا سند له فى

الحياة غيرك . . أليس الجحود نقيصه بشرية لا تفرق بين قريب وبعيد . . أوليس استسهال قطع الرحم ومجافاة الأهل خطيئة يمكن ان تمتد عدواها لمن يعاشرونه ولو بعد حين ؟ ثم كيف ترجو وفاءً ممن لاوفاء له لشقيق وحيد محروم من نعمة البصر تشابكت حياتك بحياته بخيوط الوحدة واليتم والألم؟ . . بل كيف تأمن على نفسها مع رجل خلا قلبه من الرحمة إلى هذا الحد المفزع ؟

انك ان فعلت ياصديقى لكان ذلك أدعى لأن تخشاك زوجتك على حياتها ومستقبلها معك . . لكن غباءنا البشرى يختزل أحيانا الدنيا العريضة فى دائرة ضيقة تتجمد انظارنا عليها فنعمى عن باقى جوانب الصورة ولانعرف أننا رغم كل شىء محاطون بأسباب مختلفة لاستشعار السعادة إذا أردنا ، أو لالتماس العزاء والسلوى عما ينقصنا . . أو للتعايش والقبول والتهادن مع ما لا يرضينا فى حياتنا ، ورغم تسليمى بحق زوجتك فى ان تكون لها حياة خاصة مستقلة حين تسمح الظروف بذلك فى المستقبل وفى موعده الطبيعى بغير ايذاء لأحد إلا ان اختزالها لكل مشاكل الحياة فى ظروف إقامة شقيقك معك قد حجب عنها عشرات الأسباب التى تدعوها للرضا بحياتها والسعادة بها كطفلين جميلين . . وزوج محب وفى . . وحياة مادية مستقرة ومستقبل واعد بالآمال ، وحتى بعض العناء الذى تتكلفه فى رعاية شقيق محروم وان كان فى حد ذاته فضلا يتلهف عليه الفضلاء وقربى يتقربون بها إلى الله ويحتمون بها من غدر الزمن ، إلا أنه فى النهاية لن يدوم إلى الأبد . . لأن التغير هو قانون الحياة الوحيد الذى لايتغير وسوف يأتى يوم قريب بالتأكيد يتزوج فيه هذا الشقيق ممن تحبه وتحترمه ولا تتخلى عن

فضل رعايته لغيرها . . وغدا أو بعد غد سوف تستطيع ان تجد شقة أوسع من جناحين يستقل باحدهما شقيقك . . أو شقة صغيرة ملاصقة أو مجاورة لشقتك لا تجعله يغيب عن رعايتك، وشقاء البشر فى كثير من الأحيان يتولد عن عجزهم عن الخروج من إسار مشاكلهم الصغيرة ليطلّوا على الحياة بنظرة اشمل تضع هذه المشاكل نفسها فى حجمها الطبيعى بالنسبة لمشاكل الآخرين، وبالنسبة لما فى حياتهم من أسباب أخرى تدعو للرضا والاطمئنان واحسب ان هذا هو ما فعلت زوجتك حين جعلت من شقيقك معضلة تضعك بها أمام مفترق الطرق للاختيار بينه من ناحية وبين زوجتك وطفليك وهنائك العائلى . . مع أنها قد قبلت بظروفه منذ البداية . . وعرفت بالتأكيد بتضحياته السابقة من أجلك ومن أجل اتمام زواجك بها .

قد أفهم بعض أسباب الغيرة الأنثوية التى تحسها زوجتك أحيانا لاهتمامك أو انشغالك بشقيقك وملازمتك له فى بعض الأحيان لكنى لاأفهم ابدا ان تتحول هذه الغيرة إلى وحش لا إنسانى يطالبك بالتنكر لهذا الشقيق الوحيد . انك تستطيع بغير شك ان تعالج الأمر بحكمة وعدل وفهم أوسع للطبيعة البشرية . . وقد اطالبك فى هذا المجال بأن تضاعف من تعبيرك عن مشاعرك العاطفية نحوها ومن محاولاتك لاشعارها بأنها «الاهتمام الأول » فى حياتك مهما ابديت من اهتمام بأمر شقيقك ، كما تستطيع أيضا ان تطمئن خواطرها بشأن المستقبل المادى لها ولأطفالك بشكل أو بآخر لتشعرها بأن ما قد تتكلفه لرعاية شقيقك مهما بلغ فإنه لن يؤثر على خططك لمستقبل الأسرة . . فهكذا ترضى بعض النفوس أحيانا

ولا بأس بتلمس الوسائل المشروعة لارضائها لكن فى كل الأحوال لاتتنازل عن آدميتك ونبلك ووفائك لشقيقك الوحيد المظلوم .

أما ما تطالبنى به من أن أحدثها عن فضل رعاية الكفيف وأجره عند من لاتضيع عنده الأجور . . فالحق انى لا أجد فى نفسى حماسا للاستجابة له . . . ليس زهدا وإنما تعففا عن تكرار الحديث عن البديهيات والفضائل التى لايعنى الالحاح عليها إلا شهادةً علينا بأننا قد نسيناها . . لهذا فلن أطيل فى الحديث عنها ولن اعيد تذكيرها بالحديث الشريف الذى يقول : « من لا يرحم الناس لايرحمه الله » ولا بالحديث الشريف الآخر الذى يقول : « فى كل ذات كبد رطبة أجر » كما لن اشير إلى المناسبة التى ورد فيها الحديث الأخير رعايةً لما بقى من المشاعر الإنسانية . . لكنى سأقول لها فقط وأرجو ان تتقبل منى ذلك بصدر رحب : ان عتاة المجرمين والقتلة يجفلون لفطرة غرسها الله فى الإنسان من الاساءة للكفيف أو ايذاء مشاعره . . وأننا قد نرى أحيانا قاتلا بالأجر يهب بتلقائية لا تتوقف عند الأسباب والمفارقات لمساعدة أحد المحرومين من نعمة البصر إذا عرضت له مساعدته وهو فى طريقه ليقتل نفسا بشرية بغير حق . . فكيف بزوجة فاضلة وأم ترجو رحمة ربها وتسأله السلامة والأمان من شدائد الحياة لها ولطفلها فى قادم الأيام مثلك ؟

الرحيــل !

أنا يا سيدى شاب عمره ٣٠ عاما من أسرة مكافحة كان أبى موظفا صغيرا بالحكومة ورغم ضآلة راتب أبى فقد كان يكفى مطالبنا ولانشكو من شىء ، ثم توفى أبى رحمه الله وأنا طالب بدبلوم المدرسة الصناعية وتركنا ثلاثة أبناء هم أنا وشقيقتان تصغراننى ، فكافحت حتى حصلت على الدبلوم وخرجت إلى الحياة فعملت بالنقاشة واستفدت من دراستى بقسم الديكور والزخرفة فى عملى فبدأت احصل على بعض الرزق وعاهدت الله على ألا أهتم بنفسى إلا بعد ان اصل بأمى وشقيقتىَ إلى بر الأمان واستجاب الله لدعائى فاجرى رزقهن على يدى حتى بدأت أشعر بالاستقرار المادى فجازفت بالعمل بمقاولات النقاشة والدخول فى عمليات كبيرة وفقنى الله فيها جميعا وحققت منها ربحا حلالا ساعدنى على تلبية مطالب أسرتى . ومضت الأعوام وأنا سعيد بنجاح شقيقتىَ فالتحقت أختى الكبرى بكلية الهندسة .. والتحقت أختى الصغرى بعدها بكلية التجارة وضاعفت من نشاطى وعملى لأوفر لهما ما تحتاجان إليه من كتب ومظهر يليق بهما وتمنيت صادقا ان اجعلهما أحسن البشر مع أمى ولم أيأس ابدا أمام أية عقبة لانى كنت أشعر باحساس كاليقين ان فى عنقى ثلاث اناث وانَ الله لن يتخلى عنى ابدا من أجلهنَ ، وصدق

ماتوقعت وأصبحت حالتنا المادية ميسورة إلى حد ما والحمد لله . . واستقرت حياتنا وفى ذلك الوقت عرض علىَّ أحد المقاولين السفر للخارج للعمل فى نفس مجالى فوافقت بلا تردد ، وشجعنى على ذلك ان شقيقتى طالبة الهندسة كان قد تقدم لها معيد بكليتها يطلب يدها وهى فى السنة الثالثة ، فقررت السفر لكى استطيع ان أوفر لها متطلبات جهازها . . ووضعت يدى فى يد خطيبها وحددنا موعد الزفاف بعد تخرجها مباشرة وحزمت حقائبى وسافرت إلى إيطاليا مسلحا بدعوات أمى . . ونيتى المخلصة فى ان أكافح لأعول أسرتى وألبى مطالبها وبدأت مرحلة جديدة من كفاحى فى الغربة وسط متناقضات الحياة هناك التى صمدت لها جميعا . . ومضت الشهور الأولى فى صراع مع الحياة فلم ادخر من عملى هناك قرشا واحدا لنفسى وإنما كنت أرسل لأمى كل ما أوفره لتشترى لأختى جهازا يشرفها أمام خطيبها وامضيت هناك عامين وثلاثة شهور ثم عدت فى أجازة لأشهد زفاف شقيقتى فإذا بأسرة جديدة قد سكنت فى المنزل المجاور لنا . . وإذا بى أرى فى شرفة مسكنهم فتاة ذات جمال ملائكى خفق لها قلبى الذى صمد لكل المغريات فى إيطاليا وسبحان من بيده أمر القلوب فسألت عنها وعرفت أنها صديقة لشقيقتى الصغرى وطالبة بالسنة الأولى بنفس كليتها وانها تتمتع بأخلاق مثالية وشخصية جذابة تجذب إليها كل من يقترب منها ، فأحسست يا سيدى أن الله سبحانه وتعالى إنما يكافئنى بهذه الجائزة على كفاحى فى الحياة واخلاصى لأسرتى والتزامى بتعاليم دينى فى الغربة وكتمت مشاعرى بينى وبين نفسى وتم زفاف شقيقتى فى أمان والحمد لله واحسست بأنى قد تخففت من جزء من

مسئوليتى العائلية وتملكنى حب جارتى الرقيقة مع الأيام حتى أصبحت أسهر في شرفة بيتنا كل ليلة لأرقبها فى صمت ، ولاحظت شقيقتى الصغرى ذلك فاعترفت لها بحبى لصديقتها وطالبتها بكتمان الأمر ، ومضى حبى ينمو داخلى ويتعمق بلا أى محاولة للتعبير لها عن هذا الحب ثم تخرجت شقيقتى الصغرى وتقدم لخطبتها شاب من سكان الحى فأردت ان أرضى ضميرى تجاهها قبل عودتى للسفر فوضعت باسمها فى البنك مبلغا كافيا لاعداد جهازها وبدأت شقيقتى تلح على فى أن اخطو خطوة عملية تجاه فتاتى وأنا مازلت مترددا كما كانت أمى قد بدأت منذ زفاف شقيقتى الكبرى تفاتحنى فى ضرورة زواجى وتعرض على فتيات عديدات وأنا أرفض بلا أسباب ، وأخيرا حزمت أمرى وفاتحت أمى برغبتى وتوجهنا معا إلى بيت فتاتى نخطبها . . وطرت من السعادة حين وجدت فتاتى تبادلنى مشاعرى وقربت بيننا الخطبة أكثر وأكثر فتضاعف حبى لها وتقاربت الأسرتان حتى أصبحتا أسرة واحدة . . واتفقنا على ان يتم الزفاف عقب تخرجها مباشرة وامضيت معها ٤ شهور كانت بالنسبة لى هى الحياة ثم حزمت حقائبى وعدت إلى إيطاليا وودعتنى أمى وشقيقتاى كالعادة . . ومعهما هذه المرة خطيبتى وملاكى وامضيت عامين فى إيطاليا وأنا أعمل بلا كلل . ثم عدت فى الموعد المقرر لزفافنا فى الصيف الماضى ، فتوفيت والدتها فجأة واضطررنا إلى تأجيل الزفاف وعدت إلى مقر عملى . . وعشت ١٠ شهور لاتربطنى بالحياة سوى رسائلها التى انتظرها بلهفة ثم فجأة انقطعت رسائلها . . فكتبت إليها استفسر عن سبب الانقطاع فلم اتلق ردا . . وتملكنى القلق والحيرة وخشيت ان استفسر من شقيقتى

الصغرى عن سبب الانقطاع خشية ان ينتشر الأمر ، فحسمت ترددى وقررت العودة إلى مصر لأعرف ماذا حدث وعدت ياسيدى منذ حوالى شهر وكان أول ما فعلته بعد لقاء أمى وأخوتى هو ان ذهبت إلى شقتها . . وهناك فوجئت بالجميع يرحبون بى بحرارة ما عدا فتاتى التى حيَّتنى بتحفظ ثم اختفت داخل حجرتها . . وسألت شقيقتها الكبرى عما حدث . . فحاولت التهرب فى البداية . . ثم اضطرت للاعتراف بان هناك « شيئا » ما . . وان كل شىء قسمة ونصيب ، واصررت على ان اسمع ذلك من خطيبتى نفسها فدعوتها فجاءت وألقت بالصاعقة فوق رأسى وابلغتنى أنها تريد فسخ الخطبة وخلعت الدبلة وتركتها أمامى وانصرفت فى صمت ، واحسست بالدنيا تدور بى . . وكافحت حتى استطيع ان انهض من مقعدى واغادر الشقة . . وغادرتها والدموع تترقرق فى عينى وقد تراءت لى صور كفاحى فى الحياة ومعاناتى فى الغربة وصبرى على ما لاقيت على أمل أن تكون فتاتى هذه هى المكافأة التى وعد الله بها الصابرين والمكافحين ، وعدت لشقتى صامتا . . فلم أنم طوال الليل وتأكدت أنى لن استطيع البقاء فى المسكن المجاور لها فأخذت حقيبة ملابسى واتجهت إلى شقة شقيقتى الكبرى واقمت عندها وأنا فى أسوأ حال وشقيقتى وزوجها يحاولان ان يخففا عنى بلا جدوى ، وبعد أيام فوجئت بشقيقة خطيبتى تزورنى فى بيت شقيقتى وتؤكد لى أنها لم تأت إلَىَّ إلا رفقا بأختها التى تتدهور حالتها ولا تعرف بمجيئها ثم كشفت لى سر تغيرها . . وهى انها قد اكتشفت منذ شهور خلال علاجها من مرض ألـمَّ بها أنها مولودة بعيب خلقى هو عدم وجود رحم داخلها وان ذلك يعنى انها لن تكون

قادرة على الانجاب فى أى يوم من الأيام فأرادت ألا تعذبك معها وتحرمك منه فتندم ذات يوم على زواجك منها . . ووجدت نفسى أقرر على الفور أمامها انى سوف اتزوجها لأنه لا ذنب لها فى ذلك وايدتنى شقيقتى الكبرى وزوجها ، وذهبت مع اختى وزوجها إلى بيت أمى قبل ان اذهب إلى بيت خطيبتى . . ففوجئت بهما وقد عرفا بالأمر . . وصدمت صدمة هائلة حين ابلغتنى أمى برفضها القاطع لزواجى منها . . لأنها كما قالت لى تعيش على أمل ان ترى احفادها . . وهلعت حين اقسمت لى أنها ستتبرأ منى إذا اصررت على الزواج منها . . ولم يقتصر ألمى على ذلك بل وجدت شقيقتى الصغرى أيضا تؤيدها فى رفضها ولم تشفع لهما دموعى وعذابى فى ان يغيرا موقفهما واستثار ذلك مشاعرى فجأة . . فلم اتمالك نفسى . . وهرولت متجها إلى بيت خطيبتى . . وما ان رأيتها حتى عانقتها أمام الجميع بغير شعور . . وبكت بدموع غزيرة وبكيت معها واتفقت مع والدتها على ان يتم الزفاف فى منتصف شهر ديسمبر الحالى واستردت احساسى بالحياة مرة أخرى وعدت للاقامة عند شقيقتى الكبرى وقد قررت ان اصطحب زوجتى إلى إيطاليا عقب زفافنا مباشرة فأنا يا سيدى قد أديت واجبى تجاه شقيقتىَ الاثنتين على قدر طاقتى وجهدى ، أما أمى فلن اقصر فى حقها ابدا وساقوم بواجبى معها وأنا فى الغربة ولن انساها مهما فعلت بى . . لكن مضت الأيام عقب الموقف المؤلم بينى وبينها وأنا اتصور ان الليالى سوف ترقق من مشاعرها تجاهى وتشفق علىَّ وأنا ابنها الوحيد من ان أكون يوم الزفاف بغيرها وهى أمى التى أحبها وأرعى حقوقها فلم يتغير الموقف حتى الآن . . والآن ياسيدى لم يبق على الزفاف سوى

عدة أيام وسوف أرحل مع زوجتى بعد الزفاف .. كما كان الحال منذ سنوات لكن شتان بين الرحيل وامى وشقيقتى الصغرى فى وداعى وتتمنيان لى السعادة وبين الرحيل هذه المرة وأمى قد تبرأت منى وقاطعتنى وباعدتنى وشقيقتى الصغرى غائبة عن وداعى .. اننى لا اعتبر ماقمت به تجاههما إلا واجبا مفروضا على ووفقنى الله لأدائه .. لكن هل يرضيك ياسيدى ان تحجب أمى عنى مباركتها لزواجى من الفتاة الوحيدة التى تمنيت الزواج منها .. اننى لا أفكر فى الانجاب ولايشغلنى هذا الأمر نهائيا ولست على استعداد لأن افقد فتاتى لسبب لا يد لها فيه فهل لك ان توجه لأمى كلمة ترجوها فيها إلا تنغص على حياتى وسعادتى باصرارها على موقفها هذا .. وهل لك ان تفعل نفس الشىء مع شقيقتى ؟

☐ **ولكاتب هذه الرسالة أقول** : أفعل ماتريد ان شاء الله .. لكنى أرجوك ألا تذهب إلى حفل زفافك من بيت شقيقتك وان تعود فورا للإقامة فى بيتك وبين أمك وشقيقتك .. فما بينكم جميعا ليس سوى خلاف حب وليس خلاف عداء وعداوة .. فأمك فى النهاية لاتطلب لك إلا ما تتصوره سعادتك ليس اعزازا لك ومحبة فقط إنما إشفاقاً عليك مما تتصوره سوف يشقيك فى مستقبل أيامك وهذا أيضا هو موقف شقيقتك الصغرى، لكنهما لايدركان الفارق الجوهرى بين مايتمناه الإنسان لنفسه وبين ماتسمح له به المقادير .. وربما لايعرفان ان السعادة ليست رهينة بالقدرة على الانجاب وإنما بأسرار الهية عديدة نعرف منها القليل ولا نعرف أكثرها وكم من أسر لم تحرم من الانجاب لكنها حرمت من السعادة .. وكم من أسر حرمت من الانجاب فنعمت بما لم تنعم به أسر أخرى من

السعادة والسعادة فى النهاية سر شخصى لايستطيع الآخرون ان يدركوه إذا راقبوه من الخارج وما دام قد استقر فى يقينك أنك سوف تسعد مع فتاتك . . فلن تبخل عليك الأقدار بالسعادة والأمان والاستقرار ان شاء الله . . فقط عليك ألا تكف عن المحاولة مع أمك خلال الأيام القليلة الباقية على الزفاف ولو تطلب الأمر أن تقدم لها ترضية جديدة تضاف إلى رصيدك الكبير عند ربك ولست أظن أنها ستقوى على ان تحجب عنك موافقتها . . أو تغيب عنك فى مثل هذا اليوم السعيد وهو أمل كل أم خاصة وأنت ابنها الوحيد المضحى القائم بكل واجباته باحساس عائلى نبيل . . كما لا اتخيل ان تقوى أمك على ألا تكون فى وداعك يوم الرحيل وأنت مع عروسك تبدآن حياة جديدة وتستقبلان أول أيامكما السعيدة . . لا ياصديقى . . لن تقوى ولن ترضى لك ان تمزج سعادتك بهذا الشقاء وهذه المعاناة وأنت من عانيت الكثير . . فاذهب إليها فورا . . واطلب مباركتها من جديد لزواجك . . ولا تتحرك من أمامها إلا بعد ان تعلنك بموافقتها وتتمنى لك السعادة . . فهكذا تفعل الأمهات الطيبات حتى ولو لم يرضين تماما على زيجة الأبناء ماداموا كبارا وراشدين .

السـلام .. البـارد

منذ سبع سنوات وأنا طالبة بكلية التجارة فى العشرين من عمرى تعرف بى زميل بنفس الكلية يسبقنى بعامين وارتبطنا عاطفيا وتعاهدنا على الزواج، وبعد فترة أبدى رغبته فى التقدم لخطبتى وهو فى السنة النهائية من الكلية . . وأبلغت أسرتى وجاء ورحبوا به وتم تحديد موعد للخطبة .

وبدأنا نستعد لاقامة حفل بسيط للخطبة فى شقتنا ودعونا الأهل والجيران فى الحى الشعبى الذى نقيم فيه ففوجئت بخطيبى يجئ حزينا ويبلغنى ان اخوته غير موافقين على الخطبة ، وأخوته هؤلاء خمسة تزوجوا جميعا ويعيش كل منهم مع أسرته الصغيرة ماعدا شقيقاً لم يكمل دراسته ويعمل عملا حرا وشقيقة تواصل تعليمها فى رعاية عمتها الأرملة . . أما السبب فهو ان أخوته يريدون له ان يبقى مع اخته إلى أن تستكمل تعليمها وتتزوج لأنه من غير اللائق ان يتركها ويتزوج قبلها مع ان شقيقة خطيبى ترعاها عمتها ولها شقيق آخر يمكن أن يتحمل المسئولية . وهونت عليه الأمر بأننا سنحتاج إلى سنوات ! لكى نستكمل الشقة الصغيرة التى اخلاها لى أبى فوق شقتنا ولنعد الجهاز . . ولا ضرر من الانتظار لكن لابد ان تتم الخطبة التى دعونا لها الأهل والجيران لكى يتقبل الناس دخوله بيتنا بلا حساسية . . فلم يقتنع . . وطلب منى الانتظار قليلا حتى يتفاهم

معهم . . ورغم تذمر أهلى فقد وافقته . . واعتذرنا لمن دعوناهم بأن ظروفا طارئة ألمت بخطيبى واضطرتنا إلى الغاء الحفل والاكتفاء بقراءة الفاتحة وتجاوزت عن آلامى . . وانتظرت ، فمضت ٣ أعوام طويلة لم يحقق خلالها خطيبى أى تقدم بالنسبة لموقف أهله من زواجنا . . وظل طوالها يتجنب الحديث عن اعلان الخطبة وظللت لا أعرف حتى وجوه أخوته وأهله .
وكان خطيبى قد وجد عملا بعد تخرجه وبدأ يدخر ليشترى أثاثا بسيطا .
وبدأ أبى يجهز لنا الشقة الصغيرة . وضاق أهلى بالانتظار طوال هذه السنوات . . فبدأ أبى يحدثه فى ضرورة تحديد موعد للزفاف فكان يتحرج ولا يبدى استعداداً لذلك ، فنفد صبرى بعد هذه السنوات وحدثته بصراحة فقال لى ان شقيقته تخرجت لكنها مازالت غير مرتبطة وانه لايستطيع ان يتزوج قبلها لأنه يجب ان يكون هناك رجل فى البيت فبدأت أثور وأقول له ان كل شقيق من اشقائه يعيش مع أسرته وهم جميعا يقيمون بالقرب من اختهم وان شقيقه الذى لم يتزوج يستطيع ان يقوم بهذه المسئولية وان عمته ترعى أخته ، وكل ذلك كاف لكى يطمئن على اخته خاصة أننا لن نتزوج فى كوكب المريخ . . ولا كوكب الزهرة وإنما فى نفس المدينة وعلى بعد نصف ساعة من اخته وانصرف خطيبى بغير ان نتفق على شىء . .
وفكرت فى الأمر وقدرت ظروفه وفى أول زيارة جاء فيها عرضت عليه ان نعيش مع اخته إلى ان تتزوج أو ان تقيم هى معنا فى شقتنا فسعد بالاقتراح للحظات لكنه جاء إلى بعد أيام ليقول لى ان اخوته ثاروا عليه عندما عرض الأمر عليهم وسألوه أتريد لاختك ان تصبح خادمة لزوجتك ؟ وان عمته صرحت بأنها لن تترك الفتاة إلى ان يأتيها نصيبها ، وتوسل إلىَّ ان نؤجل

زفافنا فترة قصيرة لأن هناك من يريد ان يتقدم لأخته ، وترددت فى الموافقة لكنى قلت لنفسى أنه شاب نبيل وكريم الخلق وان من يرعى حق اخته . . ويؤجل سعادته من أجلها سيرعى الله كزوج فى معاملتى وفى حقوقى عليه وقررت الانتظار . وعشنا عاما آخر بلا أى تغير فى الموقف . . وبلا أى خطوة من جانب أسرته للتعرف علينا أو القبول بنا فلم نعرفهم ولم نلتق بهم وكأنهم يقيمون فى قارة أخرى . . ثم نفد صبر أبى وعمى فحدثا خطيبى وخيره عمى الذى يتسم بالشدة والحزم بصراحة بين ان يتزوجنى الآن أو يتركنى لحال سبيلى ، وخرج خطيبى فلم اذق طعم النوم وبكيت كثيرا ودعوت الله ان يفرج كربتى وبعد أيام قال لى خطيبى انه لايستطيع ان يستغنى عنى . . وان أهله لابد انهم سوف يسامحونه على زواجه على غير رغبتهم فى يوم من الأيام لهذا فهو سيتزوجنى لكنه لن يتخلى عن أخته وسوف يلبى كل طلبات بيتها إلى جانب بيتنا وأنه يستأذنى فى ان يمضى معها يوما كل أسبوع لكيلا تشعر انه تخلى عنها . . ووافقته بحماس على كل ذلك ، وحددنا موعدا للزفاف واقبلت على الاستعداد له بفرحة من انتظرت سعادتها أكثرمن ٧ سنوات واعددنا العدة لعقد القران والزفاف ودعونا الجميع . . وانتظرت خطيبى يوم الزفاف فمضت الدقائق والساعات وهو لم يحضر وبدأ القلق ينهشنى وأنا ادعو الله ألا يخذلنى فى يوم سعادتى أمام الأهل والأقارب والجيران . . وبدأت الهمسات تتناثر ان العريس لم يأت . . وأنه ولى هاربا ليلة الزفاف . . وكاد قلبى يتوقف من الخوف والكمد وقبل ان انهار نهائيا لمحته يدخل الشقة مرتديا البدلة السوداء كسير الخاطر ووحيدا تماما بلا أخ ولا أخت ولا عم ولا صديق

والدموع الجامدة فى عينيه وادركت الموقف . . ورققت لحاله وأكبرت فيه انه لم يتخل عنى بعد كل هذه الفترة . . وكان ذلك فى حد ذاته كافيا عند أهلى لكى يقدروه له ويحاولوا ان يسروا عنه . . وان يفتعلوا الابتهاج ليزيلوا جو الكآبة الذى خيم على المكان بسبب تأخره ، وتم عقد القران فى هدوء . . ومضى حفل الزفاف بغير ان يبتسم خطيبى ابتسامة واحدة . . وكلما نظرت إليه وهو بجانبى فى الكوشة انفطر قلبى له وأنا أراه مهموما حزينا صامتا وسألت نفسى ماذا فعلنا يارب حتى يفعل به إخوته ذلك . . ولماذا يتركونه وحيدا كأنه بلا أهل فى ليلة زفافه بغير ان يشاركوه فرحته ولو من وراء القلب ليشرفوه أمام أسرة زوجته والناس مع أننا لم نرتكب معصية . . ولم نفعل إلا ما أحل الله ، وحاولت أن أسرى عنه . . لكنه ظل ساكنا صامتا . . لايبتسم . . وان ابتسم آلمتنى ابتسامته الحزينة أكثر من غيرها ، وانتهى الحفل بسلام . . ونزلنا إلى الشارع لنجرى الزفة كالعادة وزفتنا سيدات الحى بالزغاريد ثم صعدنا إلى شقتنا الصغيرة واغلقنا بابها علينا لنبدأ حياتنا الزوجية التى انتظرناها أكثر من ٥ سنوات واشرق صباح أول يوم فى بيتنا الصغير وجاء الأهل والأقارب ليهنئونا . . وتقرَّح كبدى اشفاقا عليه وأنا أراه ينظر بلهفة مكتومة إلى الباب كلما طرقه طارق ثم يخيب أمله حين يجده زائرا أو زائرة من أقاربى وليس من إخوته الذين قاطعوه وغابوا عن زفافه وعن يوم الصباحية . .

ومضت الأيام الأولى من زواجنا . . وسعدنا رغم الآلام بحبنا وحلمنا القديم الذى تحقق بصبرنا وكفاحنا وتمسك كل منا بالآخر ، وظل زوجى جريح القلب بسبب موقف اخوته منه . . ورأيت أن أبادر انا بالمحاولة

للتخفيف عنه وعرضت عليه ان نذهب معا لزيارة بيت الأسرة لنعيد المياه إلى مجاريها وذهبنا . . واستقبله إخوته بترحيب ولكن ليس كعريس جديد وإنما كأخ عائد بعد فترة غياب فلم يقل له أحد « أهلا يا عريس » . . أو «مبروك » أو أى عبارة من هذا النوع أما أنا فكان السلام البارد هو نصيبى . . ولم يهنئنى أحد بالزواج أو يسألنى عن أحوالى وبعد فترة قصيرة انتحى به بعض اخوته ثم عاد زوجى ليقول انه سيذهب معهم إلى بيوت باقى اخوته المتزوجين ليزورهم ، وانصرف زوجى معهم وتركونى مع اخته وعمته . . وخيم الصمت على المكان وكلما حاولت الحديث معهما جاءنى الرد بكلمات مقتضبة على قدر السؤال ! . . وبين فترة وأخرى ترمقاننى بنظرات غير معبرة . . وطالت الجلسة وبدأ التأفف من وجودى واضحا عليهما . . ولولا خوفى من ان اغضب زوجى لفتحت باب الشقة وانصرفت . ثم اخيرا وبعد ساعتين عاد زوجى سعيدا باستقبال اخوته الحار له وبأنهم لم يستقبلوه ببرود ولم يسألنى عن حالى ولم افاتحه بضيقى من تحفظ شقيقته وعمته معى . . وعدنا معا وأنا أعزى نفسى بفرحة زوجى بعودة الوئام بينه وبين اخوته ، وبالأمل فى ان تذيب الأيام تحفظ اخوته معى ولم أيأس من ان أنال ودهم أو حتى تعاطفهم معى فى المستقبل فرحت احدث شقيقته وعمته من تليفون الجيران فى كل مناسبة ، واذهب مع زوجى لاخوته وعمته فى كل زيارة رغم استمرار الجفاء والتحفظ بل ونظرات الاحتقار أحيانا . . ثم ساءت المعاملة أكثر فتارة لايصافحنى احد الإخوة . . وفى أخرى لايحدثنى أحد كأننى غير موجودة . . فتحاملت على نفسى وسألت اخته وهى فتاة مثلى أملت ان تقدر موقفى : لماذا تعاملوننى

كأننى « جرب » أو شىء كريه لا تودون حتى النظر إليه ؟ . . فنظرت إلىَّ صامتة ثم دعت عمتها واعادت عليها ما قلت وضحكا معا واكدتا لى بفتور انها مجرد تخيلات من جانبى ، لكن الجفاء والتحفظ والاهانة الصامتة استمرت كما هى حتى بدأت اسلم باليأس من محاولة كسب ودهم وأكره زيارتهم وبدأت اتهرب من زيارتهم مع زوجى فسألنى عن السبب فانفجرت باكية بأنه سعيد لأن إخوته قد سامحوه لكنه لايهتم بسوء معاملتهم لى وجفائهم معى . . ورفضهم المتكرر لقبول دعواتى العديدة وحاول زوجى تهدئتى مؤكدا لى ان الأيام سوف تداوى كل الجراح . . وأنهم يلومونه لأنه كان يستطيع الانتظار عاما آخر أو عامين على الزواج وأنهم يتصورون انى قد « عملت له عملا » استوليت به عليه ، وان كثرة زياراتنا لهم سوف تلين قلوبهم فى النهاية . . ورغم احساسى بالجرح فقد وافقته . . وعدت لزيارتهم معه فلم يتغير الحال . . وشكوت لأبى وأمى فنصحانى بعدم زيارتهم وكنت قد حملت وبدأت أعانى متاعب الحمل فرجوت زوجى ألا يجبرنى على الاستمرار فى تجرع هذه المهانة . . وطالبته بأن يزورهم باستمرار كما كان يفعل ولكن وحده إلى ان يشعرنى اخوته بأنى آدمية لها أحاسيس ومشاعر وكرامة ، وغضب زوجى ولم يقبل اعذارى واصر على غضبه . . وتسلل الفتور إلى حياتنا وبدأ زوجى يردد على مسامعى كل يوم انه لن يسمح بابتعاد ابنه أو ابنته التى سيرزقهُ بها الله عن أعمامها وعمتها . . ثم بدأ يبتعد هو ايضا عن أهلى ويعاملهم بجفاء بالرغم من حبهم له وتقديرهم وبدأ يتركنى اذهب وحيدة إلى مناسباتنا العائلية وتحولت حياتنا إلى شىء مضحك ومبكٍ فى نفس الوقت فهو

لايريد ان يتعامل مع أهلى مع أنهم لم يمسوه بشىء ولم يغضبوه فى شىء ، وأنا لا أريد ان اتعامل مع أهله بسبب معاملتهم القاسية واهانتهم لى . . ولولا ذلك لكنت على اتم استعداد ليس فقط لأن أزورهم بل لأن اعيش بينهم ايضا . . لكن كيف لى ذلك وقد فشلت كل محاولات تقربى وتوددى إليهم ولم يعد فى قلبى تجاههم سوى المرارة فماذا افعل ياسيدى . . ومن يستطيع ان يقنع زوجى بأننا لانستطيع ان نربى طفلنا وسط هذا الجو العائلى المفكك وكل أسرة تكره الآن مجرد ذكر سيرة الأسرة الأخرى وهل كان علىّ ان اتركه بعد ارتباط دام أكثر من ٧ سنوات لأن اخوته غير راضين عنى بغض النظر عن عواطفنا ومشاعرنا نحن الاثنين . .

إن حالتى ليست فريدةفهناك كثيرات مثلى تهدد التعاسة زواجهن بسبب المشاعر العدائية بين أسرتى الزوجين فماذا نفعل لكى نحمى حياتنا وسعادتنا بغير ان نغضب أحدا ؟

□**ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : هناك موقفان فى الحياة لاغنى للإنسان فيهما عن أهله ولو كانوا عنه غير راضين . الأول هو الموت وفيه يستريح الإنسان من آلامه فلا يكدره فيه إن كان أهله قد أوفوا بحقه عليهم أم لا والثانى هو الزواج . . وفيه يتطلع الإنسان دائما إلى الأهل والأعزاء ويسعد بقربهم منه وينكسر قلبه بتخليهم عنه فيه ، وفضلاء الناس يلبون نداء الواجب الأسرى فى هاتين المناسبتين مهما كان موقفهم الشخصى السابق من صاحب المناسبة بل وإن منهم من قد يتجاورون فى أمثال هذه المناسبات وهم مختلفون فيما بينهم إرضاءً لربهم ورعاية للحقوق وحفاظا على شكل الأسرة .

وواضح من رسالتك إن زوجك الشاب يتيم الأبوين . . ومع تقديرى لدوافع إخوته فى معارضة زواجه بحجة رعايته لأخته أو انتظاره لزواجها إلا انى لا اتصور ان معارضتهم كانت تقتصر على هذا السبب وحده . . لأن للأخت شقيقا آخر يستطيع رعايتها ولها عمة تقوم على شئونها ولها خمسة أخوة يتحملون مسئوليتها وحتى مع افتراض أنه قد كانت لهم اعتراضات أخرى فإن كل ذلك لايغفر لهم أبدا غيابهم عنه فى كل خطوات زواجه من خطوة البداية . . إلى يوم الزفاف الحزين الذى تركوه فيه وحيدا حزينا كسير النفس . إن من حق الأهل يا سيدتى ان يعترضوا على اختيار الأبناء وأن يبذلوا كل ما فى وسعهم ليقنعوهم بالعدول عن اختيارهم . . لكنهم إذا ماتمسكوا به إلى النهاية كان من حقهم على الأهل والأعزاء الا يتخلوا عنهم فى زواجهم حتى وان كرهوا هذا الزواج .

فليست هناك مناسبة كما قلت يحس فيها الإنسان بحاجته إلى وقوف الأهل إلى جواره فيها من هذه المناسبة ، وبعض الفضلاء يدركون ذلك ويتطوعون بمشاركة اليتامى ومن لا أهل لهم فرحتهم بل ومسئوليتهم فى هذه المناسبة وربما ادعى بعضهم قرابةً لا وجود لها بينهم وبين هؤلاء أمام اسرة الطرف الآخر لكيلا يفتقدوا عزة النفس فى المناسبة التى يحتاج فيها الإنسان لأن يعتز بأهله . وفى إدعائهم صدقة . . وأجر عظيم !

فإذا كان بعض الغرباء يفعلون ذلك قربى لله فكيف بالاخوة والأهل ؟ وهل كانوا يستطيعون ذلك مع نفس الأخ وفى نفس الظروف والأبوان على قيد الحياة . .؟ أم ترى أنهما فعلا كما قال أمير الشعراء « هما الرحماء » وحدهم لأن قلوبهم لاتسمح لهم مهما غضبوا على زواج الأبناء بأن يتخلوا

عنهم فى اللحظة الأخيرة غالبا ؟

لقد حدث ما حدث فإن كنت قد توقفت أمامه طويلا فلأنى أعجب احيانا من قدرتنا الغريبة على ان نعامل بعضنا البعض بغلظة عجيبة وقدرة أعجب على الإيلام والمجافاة . لكن هذه قصة أخرى على أية حال فإن الخلاف بين أسرتى الزوجين الذى يهدد سعادتهما خلاف قديم قدم التاريخ . . ولست أجد فى قصتك مبررا مقنعا لترسيخ هذا الخلاف أو استمراره وليس بين الأسرتين ثأر ولا دم كما كان الحال بين أسرتى كابوليت ومونتاجيو فى مأساة شكسبير « روميو وجوليت » إنما هو خلاف يمكن حله بسهولة بمجرد تسليم إخوة زوجك بأنه لامعنى لاتخاذ هذا الموقف منك بعد ان تزوجت شقيقهم وحملت منه وطرقت بابهم طالبة قبولك عضوًا فى أسرتهم لأنك قد صرت كذلك شاءوا أم أبوا ، ومن حسن المعاشرة بين الزوجين ان يحترم كل طرف أسرة الطرف الآخر وأن يسعى إلى ما يرضيه ويتجنب ماينفره ويشقيه ، وان يتبادل الطرفان العطف والتسامح واحترام المشاعر والرأى ، ولن يتحقق ذلك وكل طرف منهما يجافى أو يقاطع أسرة الطرف الآخر مهما كانت الأسباب والدوافع .

وفى قصتك لست استطيع ان ألومك على تقصير فى محاولة كسب ود أسرة زوجك لكنى ربما أعاتبك على انك قد سلمت بالفشل سريعا . . وقبل ان تتمى العام الأول من الزواج . . فى حين انك صاحبة نفَس طويل ولا تسلمين بالفشل بسهولة كما ان أمراض النفوس تتطلب علاجا طويلا وصبرا أطول . وموقف زوجك السلبى اعتمادا على علاج الأيام ليس كافيا . . وإنما عليه ان يبذل جهدا إيجابيا فى تصفية نفوس إخوته

تجاهك . . وفى مطالبتهم بإحترام مشاعرك وبقبولك عضوا كامل العضوية والحقوق فى أسرتهم ، إن لم يكن رعايةً لحقك . . فرعاية لحقه هو عليهم باعتبارك زوجة شقيقهم . . وليس من العدل ان يعاقبك على ضيقك بجفاء إخوته لك بمقاطعة أهلك الذين أحاطوه بالحب والاحترام منذ البداية فإذا قبلت نصيحتى فإنى اقترح عليك ألا تغلقى الباب نهائيا مع أسرته . . وأن تضيفى لرصيدك عند زوجك محاولة أخرى بالاستجابة لرغبته فى زيارتهم مع الحرص التام على ألا تمتهنى نفسك معهم . . وألا تعرضى نفسك على أحد . فالحق أنى لست من أنصار امتهان الإنسان لكرامته طلبا لود العازفين عن مبادلته الود إستعلاء أو رفضا . ولسنا نطالب أحدا بأن يحب آخر عنوة . . وإنما نطالبه فقط باحترام مشاعره واداء حقوقه ورد مجاملاته أما القلوب فأمرها بيد خالقها وحده .

وإذا كنا نقول دائما بأن الأيام كفيلة بمداواة الجراح فإننا يجب ان نعين الأيام على أداء مهمتها بتطهير القلوب من الكراهية والمرارات وبالاستعداد النفسى الدائم للصفح والنسيان . . ولأن العطف يورث العطف ياسيدتى فى حين لاتورث البغضاء إلا البغضاء . ولأنى أيضا من المؤمنين بضرورة إعفاء الأبناء من أن يدفعوا فاتورة مراراتنا وخصوماتنا خلال رحلة الحياة لكى ينشأوا فى بيئة سليمة ويستمتعوا بدفء العلاقات العائلية السليمة . . وتنجو صفحة قلوبهم البيضاء من بقع الكراهية السوداء .

فإذا كان الأمر كذلك فقد أرى لك ان تستجيبى لأول دعوة من زوجك لزيارة أسرته . . ولو تحملت ذلك على رغمك . . ثم توجهى لهم الدعوة لزيارتك فى أقرب مناسبة . . فإن قبلوها . . فلسوف يمسح الزمن ماتبقى

من مرارات تدريجيا وبهدوء وإن اصروا على رفضهم قبول دعوتك . . وقبولك بينهم فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها . . ولتنظرى ما يستطيع زوجك أن يفعله معهم لتحسين العلاقات ، وحتى يتحقق ذلك احتفظى معهم بحالة « السلام البارد » الذى تقتصر فيه العلاقات على أداء الواجبات الضرورية فقط حرصا على الشكل العام . وانتظارا لنجاح الأيام فى مهمتها الصعبة . . والسلام .

البقـــع البيضـــاء

اكتب لك من مقر عملى بإحدى شركات القطاع العام . . ففى هذا المكان تعرفت منذ فترة طويلة بزميل لى يكبرنى بعدة سنوات وتبادلنا الحب واتفقنا على الزواج ولأنى تعودت على مصارحة أسرتى بكل شىء فقد أبلغتها منذ البداية باتفاقى مع زميلى على الزواج . وعندما جاء الوقت المناسب . فاتحنى زميلى فى التقدم لخطبتى فعدت إلى أسرتى سعيدة لأبلغها بالنبأ السار . . وبدأت بأبى خريج الجامعة القديم ففوجئت به يبلغنى بأنه قد اتفق مع شخص آخر على زواجى منه ! كيف يا أبى . . ولماذا . . وماذا يعيب فتاى . . وكيف تتفق على زواجى بغير أن يكون لى أى رأى فى الأمر كأن أرى هذا الشخص على الأقل وأقبل به . وأنا فتاة رشيدة وجامعية وأعمل . . فلم اتلق أية إجابة مقنعةسوى الاصرار من جانب أبى على إتمام الخطبة وإتمام الزواج حتى ولو طلقت منه فى اليوم التالى ؟ . والله هذا هو ما قاله لى أبى فماتت فرحتى وعدت فى اليوم التالى لزميلى وأبلغته بما حدث وطلبت منه الانتظار لفترة إلى ان استطيع التخلص من تلك الخطبة المفروضة على ثم نتزوج ، فأجابنى بحزن بأن على أن أحسن معاملة خطيبى لعلى اكتشف فيه إنسانا طيبا وأنه سوف ينسحب حتى لا أخسر أهلى وتثور بينى وبينهم المشاكل بسببه ولم اقتنع بوجهة نظره

لكنى لم أملك إلا الاستسلام ـ وتمت الخطبة الحزينة وسافر أبى بعدها بأيام للعمل فى إحدى الدول العربية وحاولت أن انفذ ما طلبه منى فتاى من حسن معاملة خطيبى قدر جهدى فلم استطع وزادنى اكتئابا أن زميلى قد مرض بعد الخطبة مرضا ترك به عاهة مستديمة ولم انجح فى التواؤم مع خطيبى فكتبت إلى أبى أقول له أنى لن أستطيع الاستمرار فى الخطبة لأنى لا أجد نفسى فيها ومازلت أحب زميلى وليس من العدل ان اتزوج شخصا وأنا أحب غيره فلم يرد على رسالتى . . وكررت الكتابة إليه فلم يرد أيضا .

ففسخت الخطبة فى هدوء وكتبت إليه أبلغه بذلك . . فهل تدرى ماذافعل ! لم يرد على خطابى لا بالموافقة ولا حتى بالتأنيب واللوم وإنما كتب إلى أبيه الذى يعيش فى منطقة من المناطق المستصلحة الجديدة فى الصحراء ليتفق معه على زواجى من أحد ابناء تلك المنطقة بلا أى اعتبار لمشاعرى أو رغبتى . . ثم عاد إلى مصر فى اجازة ففوجئت بجدى يحضر إلينا بعد عودة أبى بأيام ومعه شخص لا أعرفه قيل لى أنه العريس الجديد!

ورفضت بالطبع فإذا بأبى وجدى يتعاونان على البر والتقوى بضربى ضربا مبرحا لكى أوافق على هذا الزواج . . فلم أجد مفرا من الموافقة وتمت الخطبة وتم الاعداد للزفاف خلال أيام . . وبعدها وجدت نفسى مشحونة مع العريس الجديد إلى بيت الزوجية المشئوم فى المنطقة الصحراوية .

وفى ليلة الزفاف التى تحلم بها كل فتاة أحسست بأنى سأزف إلى عشماوى وحبل المشنقة فما ان اقترب منى زوجى حتى صرخت بكل قوتى وأصابتنى بعدها حالة من الذهول التام . وفى اليوم التالى جاء أقاربى المقيمون بنفس البلدة وتشاوروا فى الأمر وقرروا عرضى على الطبيب فأكد

الطبيب انى سليمة جسمانيا وطبيعية واستطيع ممارسة الحياة الزوجية ، لكن الحال استمر على ماهو عليه وكلما دنا منى زوجى انتابتنى نوبة من الصراخ والتشنج والبكاء ثم الذهول التام واقسم لك أنى أردت ان استسلم لنصيبى وأكون زوجة كاملة مادمت قد قبلت الزواج من هذا الشخص حتى ولو كان رغما عنى . . لكنى لم استطع . . فتداولوا مرة أخرى فى الأمر ثم راحوا يعرضوننى كل يوم على بعض المشايخ والمشتغلين بأعمال السحر والزار بلا فائدة . . وعندما يئس زوجى من كل ذلك قرر استعمال القوة معى فضربنى واغتصبنى اغتصابا ، ففوجئت بضياع كل شىء حتى كرامتى . وانتابتنى بعدها حالة من الذهول التام طالت عدة أيام وبعدها فوجئت بظهور بعض البقع البيضاء فى وجهى وفحصنى الطبيب فأكد أنها مرض البهاق الجلدى ثم بعدها بأيام فوجئت بشعرى يتساقط بغزارة بغير ان يفلح أى دواء فى وقف تساقطه واختفت بشرتى الناعمة وحلت محلها بشرة خشنة غريبة . . ثم ظهرت فى وجهى وجسمى بثور سوداء خشنة لم أر لها مثيلا من قبل فطلقنى زوجى وعدت إلى بيت أبى محطمة ألعق جراحى وأحاول وقف تساقط شعرى وعلاج البهاق والبثور السوداء بلا أى تقدم . وبعد فترة من البقاء فى بيت أبى عدت إلى عملى الذى كنت قد حصلت منه على أجازة بدون راتب لمدة سنة ، عدت كسيرة شائخة كأنى غبت عشرين سنة مع أنى لم أغب عنه سوى ثلاثة شهور وقابلنى زميلى بابتسامته الحزينة ولمحت نظرة الاشفاق فى عينيه وهو يرقب بقع وجهى والبثور السوداء ولونى الشاحب . . واعتقد أنى عدت للعمل وأنا زوجة فلم يفاتحنى فى أى شىء . . لكنى رويت له حكايتى فحاول إخراجى من

وضعى اليائس ونجح فى ذلك فى خلال أيام وهنا قررت أن اتزوجه مهما كانت الظروف والأسباب وتزوجته رغما عن أهلى هذه المرة فقاطعونى وهددونى بالويل والثبور وعظائم الأمور لكنى لم أتراجع عن إتمام الزواج وها أنا الآن أعيش معه فى سعادة وقد اختفت الحبوب السوداء وعادت لبشرتى نعومتها السابقة واختفت البقع البيضاء خلال أسابيع فيما يشبه المعجزة وتوقف شعرى عن السقوط . وعادت إليه غزارته وجماله القديم . . وأهم من كل ذلك عادت إلى ابتسامتى وإقبالى على الحياة وحبى للناس والعمل والخير . . وأنا أريد أن أسألك ياسيدى هل اخطأت فى حق أهلى بزواجى من زوجى بغير موافقتهم . . وهل كان على أن انتظر أن يحضروا لى عريسا آخر ليفرضوه على فيقضى على آخر ما تبقى من صحتى . . اننى أقسم لك باننى أكره أبى كرها شديدا وسأظل أكرهه ما حييت فهل أنا مخطئة فى ذلك ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : يا إلهى . . أبعد كل هذه القرون . . مازال هناك من يفرض على ابنته زواجا لاتريده ويضربها عليه ويستعين بجدها على ايذائها وقهرها على القبول به ؟

اننى لن اتحدث عن نظريات التربية الحديثة ولا عن المدنية وحرية المرأة وأحوال القلب والرومانسية والحب الشريف وكل تلك المقولات التى يعتقد البعض أنها من مبتكرات الحضارة الغربية وحدها لكنى سأروى لك قصة مربٍ عظيم جاءت إليه فتاة صغيرة السن لا مطلقة ولا أرملة واخبرته بأن أباها قد زوجها من ابن اخيه وهى له كارهة فردَّ المربى الأمر إليها أى خيَّرها بين أن تجيز ما صنعه أبوها فيصير زواجها مشروعا أو أن ترفضه فلا يصح

ولا يكون فاستمعت لما قال بهدوء ثم قالت : قد أجزت ماصنع أبى . . لكنى اردت أن أُعلم النساء أنه ليس للآباء من الأمر شىء !

افتدرين متى حدثت هذه القصة ومن هو هذا المربى الجليل . ؟

إنه مربى البشرية رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وأما القصة فقد حدثت منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة . . ولا عجب فيها لأنه القائل « الثيِّب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن فى نفسها وإذنها صماتها » أى صمتها فإن لم تأذن فلا يجوز لأبيها أو وليها أن يهمل رأيها أو يتغاضى عن رضاها . .

ففى أى عصر جرت القصة التى تروينها لى ؟ وبأية مبادئ دينية أو تربوية اهتدى أبوك وهو يتفق على خطبتك الأولى بغير مشورتك ، ثم على زواجك مع أبيه فى غيابك كأنهما يتفقان على شراء قطعة أرض ثم ينهال عليك مع جدّك ضربا ليرغماك على زواج لا تريدينه فتقبلين راغمة وتزفين كارهة . . فتحتج الخلايا اللونية فى جلدك على هذا القهر وتضطرب وتختل صحتك العامة فتظهر البثور السوداء . . ويتساقط الشعر رفضا واحتجاجا .

أتتقدم البشرية للخلف أم للأمام ؟

ولماذ لانهتدى بهدى ديننا وفيه الحل التربوى الأخلاقى المثالى لكل شئوننا إن أردنا ؟

لا ياسيدتى لم تخطئى بزواجك من زميلك رغم إعتراض أهلك مادام كفئا لك ومادمت لاتنكرين عليه خلقا ولا دينا ويجمعكما حب شريف . أقولها لك بالرغم من أنى أطالب الأبناء بألا يخرجوا على طاعة آبائهم وألا يكفوا عن السعى لنيل موافقتهم على من يختارون لرحلة الحياة لكى تكتمل

سعادتهم ولكى يتحصنوا برضا الأهل ضد غوائل الزمن ، مؤمنا دائما بأن الأهل الأسوياء يسلمون فى النهاية برغبة الأبناء المشروعة إذا لمسوا صدق رغبتهم فيمن اختاروه ، وبالرغم من أنى لا أشجع أبدا فتاة ولا إبنا على الزواج رغما عن إرادة أهله إلا إذا كان تعسف الأهل واضحا وبشعا ولا سند له من شرع ودين . . وبعد أن يستنفدوا معهم كل الوسائل المشروعة لاقناعهم .

لكن لكل قاعدة استثناء . . وحالتك هى هذا الاستثناء الذى لا أعترض عليه لأن الآباء أيضا مطالبون بأن يعينوا الأبناء على البر بهم بعدلهم وانصافهم لهم . . فهنيئا لك زواجك السعيد واستعادتك لابتسامتك وصحتك ، لكنى آخذ عليك فقط تسلط إحساس الكراهية لأبيك عليك وهو إحساس لا إنسانى ومخالف للطبيعة البشرية السوية مهما نالنا من عسف بعض الآباء والأمهات ، وأكره منك الجهر بهذا الاحساس علانية مع ما فى ذلك من إثم مؤكد ومصادمة للشعور لأن الله لا يحاسبنا على ماتنطوى عليه الصدور من أحاسيس إلا إذا اخرجناها للعلن وترجمناها إلى تصرفات وافعال ، لهذا فإنى أرجو لك ان تتطهرى من هذا الاحساس البشع ليس فقط براً بمن لم يكن بارا بك وإنما تنزيها لك عن أن تحملى مثل هذا الاحساس القاتل لأبيك وان تأثمى به .

فاغفرى له ماكان من أمره ولا تغلقى أبواب الصلح معه ومع أسرتك وحبذا لو خطوت الخطوة الأولى تجاههم بعد أن تزوجت ممن تحبين وتحول الحلم إلى حقيقة . . ولم يعد هناك مبرر لاستمرار القطيعة فافعلى ذلك ياسيدتى بعد أن تتطهرى من ذلك الاحساس فالمرء لايهنأ له عيش ومابينه وبين أهله خراب . فبذلك وحده سوف تكتمل سعادتك وتصفو لك الحياة .

النظـرة البعيـده

كنت طالبة بالجامعة حين احببت زميلا لى واحبنى وتعاهدنا على الارتباط بعد التخرج . وتخرج زميلى وتم تجنيده . . واتفقنا على ان افاتح أبى بالأمر وأمهد له الطريق لكى يتقدم لخطبتى ولم تكن مهمة هينة . . فلقد كان زميلى لايملك شيئا ومن أسرة فقيرة كبيرة العدد وأكثر اشقائه يعملون أعمالا حرفية صغيرة فى حين يعمل الباقون بشهادات متوسطة بوظائف هامشية بسيطة ، كما لم يكن المستقبل واعدا بأمل كبير فى الاستقرار المادى فى المنظور القريب فقد كان زميلى ينتظر انتهاء خدمته لكى يعمل ـ وحين يعمل سوف يساعد أسرته بجزء من مرتبه ، فى حين كنت أنا من أسرة من الأسر التى يطلقون عليها اسم الأسر الراقية المثقفة ونسكن فى حى راق ولدينا أكثر من سيارةومعظم أهلى يشغلون مناصب مرموقة . وتصديت للمهمة الصعبة وصارحت أبى بكل شىء بلا مواربة فكانت مفاجأة قاسية له وحاول ان يثنينى عن رغبتى متسائلا عن معنى ارتباطى بشاب فقير لايملك شيئا فى حين ان أفضل شباب الأسرة يتمنون الزواج منى فأجيبه بأنى قد اخترته لأخلاقه وتدينه . وينكر عليه أبى ان يسعى للزواج ممن لايستطيع ان يوفر لها مستوى الحياة الذى اعتادته فى أسرتها أو بعضا منه فأجيبه بأن الأحوال لن تتجمد على ماهى عليه وإنما

سوف تتحسن وسوف يعمل . . وقد يسافر للخارج فتزول الصعاب تدريجيا وتتفتح زهور المستقبل فى طريقنا ! ويعود أبى فيسألنى كيف تتأقلمين مع أسرة زوجك وربما يفسرون فى المستقبل كل كلمة منك أو اشارة بأنها تكبر أو استعلاء منك عليهم فاقول له إنه بالتفاهم والحب سوف تزول كل المشاكل ان شاء الله ، ولايستسلم أبى بسهولة وإنما يجادلنى بحرارة وصبر ويحذرنى من أن فتاى سوف يجد نفسه مضطرا لأن يعمل ليل نهار لكى يوفر لى بعض متطلبات الحياة التى اعتدتها فلا أجده بعد الزواج الشاب الرومانسى الذى يسكب فى أذنى احلى الكلام كما يفعل الآن فأقول له ان قلبى يريده وأنى لن استطيع الحياة إلا معه وان الحب قادر على قهر كل الصعاب .

ولم يكن أبى وحده الذى عارضنى بكل جهده وإنما اشتركت معه الأسرة كلها لكنى صمدت لكل الضغوط وحاربت فى كل الجبهات بضراوة وعناد حتى رضخت الأسرة لرغبتى وتم الزواج على مضض من أبى ، ورغم ذلك فلقد ساعدنا مساعدات كبيرة فى اتمام الزواج وحرص وهو يفعل ذلك على ألا يجرح مشاعر فتاى واصر على ذلك لكى يضمن لى بقدر الامكان مستوى مقبولا من الحياة أو مستوى لايقل كثيرا عن مستوى حياة شقيقاتى حتى لايكون الفارق فاجعا بينى وبينهن .

وتزوجنا وسعدنا بانتصار الحب ونهلنا من رحيقه ، ومضت السنوات وجاء الابناء . . ولم اشك شيئا من حياتى أو من زوجى أو شكوت قليلا لكنى تجاوزت ذلك حتى لاينهزم الحب لكن بدأ الابناء يكبرون ويتنبهون للفارق الواضح بين بيت أهل ابيهم المتهالك فى الحى الشعبى القديم وبين

بيت أهل أمهم فى الحى الراقى ، وبين الحياة الجافة والأقارب البسطاء ، وبين الحياة البراقة والأشخاص المرموقين . . وبدأت ألاحظ الحيرة فى عيونهم بسبب هذا الفارق الشاسع بين عالمين مختلفين ومع الوقت بدأوا يتبرمون بالذهاب إلى زيارة أعمامهم وأقارب أبيهم ويتثاقلون ويتهربون ويتذرعون بالحجج لعدم الذهاب رغم حرصى على مصاحبتهم وتشجيعهم على ذلك فى حين يتهللون لزيارة أهلى ويسعدون بالوقت الذى يمضونه فى بيوتهم ولايبدون أية رغبة للانصراف من عندهم إذا زرناهم . . ويتمنون البقاء عندهم لأطول وقت ممكن .

ولاحظت ذلك وتألمت له فبدأت استرجع لأول مرة أحاديث أبى معى خلال محاولته اقناعى برفض الخطبة وتأكيداته لى أنه سوف يأتى يوم يحاسبنى فيه أبنائى على تهاونى فى حقوقهم وعلى تمزيقى لهم نفسيا بين أسرتين ومتفاوتى المستوى بشكل كبير . . وادركت أنى قد جنيت عليهم هذه الجناية النفسية ومزقتهم فعلا بين الأسرتين إذ لو كانوا قد وجدوا أنفسهم بين أسرتين متقاربتى المستوى سواء أكانتا فقيرتين أم ثريتين لماتعرضوا لهذه الأزمة . . ولما شقيت أنا بذلك. اننى أحاول ان استحثهم قدر طاقتى على محبة أهل أبيهم لكنى مع الزمن بدأت أرى وجه الحكمة فى تحذيرات أبى يرحمه الله لى وفى كلماته عن ضرورة ان يكون طرفا الزواج متقاربين فى المستوى الاجتماعى والثقافى لضمان أكبر قدر من التوفيق فى الزواج وأريد ان ألفت نظر كل فتاة مقبلة على الزواج إلى أهمية الا تهمل عقلها عند الاختيار وأهمية ان تختار شريكها بعقلها مع قلبها . ذلك ان الحب بين الشريكين وحده لايكفى لتحقيق التقارب بين أسرتى الزوج

والزوجة ، كما أريد ان أقول لكل فتاة وأنا استمطر الدعوات على أبى الغالى يرحمه الله أنه ليس كل أب يرفض زواج ابنته من شاب غير كفء لها يكره ابنته أو يكره سعادتها كما قد تصور لها أوهامها فى وقتها وإنما فقط ينظر للصورة من كل الجوانب . . ويرى أبعد مما تراه وهى واقعة تحت تأثير عاطفتها وحدها . . وشكرا .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : الأبناء خاصة فى الصغر يفضلون نفسيا الانتساب إلى أقاربهم المرموقين ويميلون للقرب منهم والافتخار بهم فى حين يميلون غالبا لتجاهل أقاربهم البسطاء وينأون عن الاقتراب منهم لأنه ليس لديهم ما يفتخرون به أمام الأقران ، وهذه آفة قديمة ومعروفة لكن الأم لها دور أساسى وقد يكون الوحيد فى تفادى هذه المحنة ، إذ ان الابناء يتجهون عاطفيا وبطريقة تلقائية إلى أسرة الأم تأثرا بأمهم واقتداء بها . لهذا فانها تستطيع ان تبذر فى نفوسهم حب الأسرتين والفخر بهما معا ولاشك ان لكل أسرة مزاياها فإذا كان الثراء والمستوى الثقافى والاجتماعى من مزايا اسرتك فربما تكون الطيبة والتدين والجو العائلى المريح والتفتح لحب الآخرين واحترامهم ودفء المشاعر تجاههم والترحيب بهم من مزايا أسرة زوجك .

لهذا فإن قليلا من الجهد المخلص من جانبك مع ابنائك يستطيع ان ينبه أذهانهم ويفتح عيونهم على مزايا أسرة أبيهم وعلى جدارتها بحبهم واحترامهم بنفس الدرجة التى يتوجهون بها بالإقبال والحب إلى أسرة أمهم . . ولعل مما يؤكد هذه الحقيقة اننا لانلمس كثيرا نفور الأبناء خاصة فى الصغر من أسرة أمهم مهما كان مستواها الاجتماعى ومهما كان الفارق

الاجتماعى والثقافى بينها وبين أسرة الزوج فى غير صالحها مع ان المشكلة واحدة وقد يكون للتمزق النفسى بين الأسرتين مايبرره ومايدفعهم للفخر بأسرة ابيهم المرموقة ومع ذلك فإنهم لاينفرون غالبا من اسرة أمهم ولايتهربون من زيارتها لأن الأم قد غرست فى وجدانهم منذ الصغر الميل لها والاعتزاز بها رغم بساطتها .

فإذا كان الأمر كذلك فراجعى نفسك ياسيدتى فلعلك قد ساهمت بغير ارادة فى تعميق احساس ابنائك بهذا الفارق الاجتماعى والثقافى بين الأسرتين . . ولعلك لو بذلت جهدا أكبر معهم لساعدتهم على ان يألفوا أسرة أبيهم وان يؤدوا لها واجب الحب والاحترام الذى يؤدونه لأسرتك .

وعلى أية حال فلقد قلت مرارا أنى لاأهتم كثيرا لفارق مادى بين الزوجين بقدر ما اهتم للفارق الثقافى والاجتماعى بينهما لأنه هو الذى يصنع هذه الهوة فى المزاج الثقافى السائد بين أسرتى الزوجين ويؤدى إلى اختلاف اللغة بين عالميهما . وافضل الزيجات غالبا هى ماهدى إليها القلب واستشير فيها العقل أو لم يتم تجاهله نهائيا فيها وكان مستوى طرفيها متقاربا ولا أقول متماثلا أو متكافئا . .

أما عن ندائك الأخير لكل فتاة مقبلة على الزواج بان تتبصر وجه الحكمة فى رأى أبيها عند الزواج فهو نداء صائب وأكثر منه بلاغة هو نداؤك لكل فتاة بالاتتوهم ان أباها لايرغب عن سعادتها . . « أو يكرهها » حين يختلف مع رأيها فى شريك حياتها المقبل خاصة إذا كان أبا متفهما وعطوفا وليس متسلطا أو متعسفا كأبيك الذى ادار معك بصبر وجلد محاورات طويلة مرهقة كمحاورات افلاطون محاولا اقناعك بوجهة نظره

فلم تستبينى وجه الحكمة فى رأيه إلا بعد خبرة السنين . . على ان تجربتك فى النهاية لم تكن تعيسة أو شقية . . فإن لم تكن لديك أسباب أخرى للشكوى فان مشكلة الابناء وحدها ليست متعصية على الحل إذا صدقت ارادتك فى ان تعدلى عدلا كاملا فى استمالة ابنائك لكل من الأسرتين فاسرعى بذلك . . قبل ان تزداد الأزمة صعوبة وتتشكل نفسيات الأبناء نهائيا فلا تجُدى معها محاولات جاءت متأخرة أو بعد فوات الأوان . .
وشكرا لك على رسالتك .

الاحساس الغامض !

منذ ١٧ عاما ، كنت طالبة بالمرحلة الثانوية وأعيش حياة عائلية هادئة وكان أبى مديرا باحدى المصالح الحكومية وأمى مدرسة بالمدارس الاعدادية ومتفاهمين وتربطنا علاقة محدودة بأسر الجيران فى نفس البيت ومن بينها أسرة لموظف كثير الأبناء ، أبى يتحدث كثيرا عن كفاحه الشريف فى الحياة ليعول ٦ أبناء وبنات فى المدارس والجامعات .

وبالرغم من جفاف حياتهم فلقد كان مظهرهم محترما وكانوا متفوقين فى الدراسة ماعدا ثالثهم ـ سيئ الحظ ـ الذى رسب فى السنة الأولى الثانوية رغم اجتهاده فأصيب بعقدة نفسية حين لحقت به اخته الصغرى وسبقه شقيقه الآخر فى الدراسة . .

فرسب للعام الثانى وتكدرت حياة هذه الأسرة المكافحة وبكى الأب كالأطفال ثم سلم بالأمر الواقع ووافق على انتقال ابنه للمدرسة الثانوية التجارية ليبدأ المشوار من أوله وأصبح هذا الشاب كسير النفس يصعد السلم خافض الرأس ولايتجاوب مع محاولات الجيران للتسرية عنه ، وذات يوم كنت أهبط السلم ذاهبة إلى شأن من شئونى فوجدته أمامى فبادرته بالتحية ، فأجابنى « بذل » لم أنسه حتى الآن فتفجر فى قلبى ينبوع من العطف عليه واحسست بأنى أريد أن أعيد إليه ثقته بنفسه ،

فاندفعت أسأله بغير تفكير متى ترفع رأسك وتستعيد تفاؤلك كما كنت زمان ؟ ورحت احدثه عن ان النجاح فى الحياة ممكن ان يتحقق بأكثر من طريق فنظر إلى حزينا ثم قال لى : وهل إذا تقدم إليك شاب مثلى بعد تخرجه وعمله تفضلينه على آخر له وظيفة مرموقة ؟ فقلت له انى سأفضل من أحبه ويحبنى ويسعدنى مهما كان وضعه ، ثم أسرعت بالنزول ومن ذلك اليوم اعتبر كل منا حديث السلم اتفاقا غير مكتوب على الارتباط . والتحقت بكلية الصيدلة وحصل هو على الدبلوم بمجموع يقل درجة واحده عن الحد الذى تقبل به كليات التجارة خريجى المدارس التجارية فاصيب بانتكاسة نفسية واعتصم بشقته عشرة أيام لايغادرها . ثم عمل بعد فترة موظفا صغيرا فى أحد بنوك القطاع العام واستدعى لأداء الخدمة العسكرية ، وتخرجت من كلية الصيدلة وعملت فى إحدى شركات الدواء .

وبعد فترة قصيرة عملت لنصف الوقت فى إحدى الصيدليات وذات مساء رفعت رأسى لألبى نداء مشتر فإذا بى أمامه يرتدى زى المجند ويطلب نوعا من الدواء . فلم أتمالك نفسى وفرحت برؤيته وارتبك هو وأسرع يدفع ثمن الدواء ويحاول الانصراف . فصحت فيه : تعال يا دفعة ، وطلبت منه ان ينتظر لكى يوصلنى للبيت وانصرفت بعد قليل وسرنا نتحدث وهو لا يستطيع التخلص من خجله واحساسه بأنه أقل منى وأنا احدثه ببساطة إلى أن تجرأ وقال لى انه سيعود إلى عمله بعد أسابيع وانه ينوى ان يعيد دراسة المرحلة الثانوية من منازلهم ويلتحق بالجامعة مهما كانت التضحية . ويريد ان يتقدم لى لكنه خائف من رفض أسرتى له وأنا اسمعه

باهتمام . لكنه لم يتقدم لى رغم ذلك وإنما تقدم لى زميل بالشركة وكان شابا فى الثانية والثلاثين من عمره وحاصلا على الماجستير ويعد للدكتوراه وأبوه طبيب قديم تعلم فى ألمانيا وكنت احترمه لأنه مهذب وشديد الاحترام لنفسه وللآخرين ولم أعلن موافقتى وإنما قلت انى سأفكر فى الأمر وتقبل ذلك بارتياح . واخيرا تشجع فتاى القديم وأرسل أمه لتفاتح أمى فقابلتها مقابلة حسنة لكنها أبلغتها أننى قد خطبت لزميل لى فى الشركة . وغضبتُ من أمى لتسرعها فى اعلان ذلك دون استشارتى فنزل كلامى عليها كالصاعقة . ثم شهد بيتنا الهادئ جلسات ومناقشات عاصفة وكان محور المناقشات كلها إنه لا وجه للمقارنة بين الاثنين واننى عاقلة ويجب ان أفكر فى مستقبل أولادى . . . إلخ وانتهى الأمر بإعطائى مهلة طويلة للتفكير ووجدت نفسى فى جانب وحدى وأمى وأبى وشقيقتى وشقيقى وأقاربى فى جانب آخر ، وظللت على موقفى ستة أشهر وأسرتى تزداد تمسكا برفض جارى واصراراً على زميلى . . ولم أكن مستعدة للخروج على طاعتهم وبدأت أميل إلى قبول زميلى فى العمل ليس لمميزاته الأسرية والاجتماعية وحدها . . وإنما فى الحقيقة لأنى أحسست انى سأعيش معه فى أمان حتى ولو لم تكن عاطفة الحب مشتعلة فى قلبى تجاهه فهو واثق فى نفسه واستطيع الاعتماد عليه ولا يعانى من أى احساس بالنقص ، فى حين ان فتاى رغم حبى له كان للأسف سلبيا ومنهزما ويعانى من الاحساس بأنه أقل منى ومن الآخرين واستسلمت لقدرى وقبلت زميلى وسعدت أسرتى باختيارى وتم زواجنا وانتقلت إلى شقة انيقة ، وعشنا حياة هادئة ليست فيها حدة العاطفة ولكن فيها المودة والاحترام المتبادل وبعد عام من زواجنا

سافر فى بعثة للحصول على الدكتوراه من أمريكا وسافرت معه وقررنا تأجيل الانجاب إلى ما بعد عودتنا ، وحصل على الدكتوراه لكنه بدلا من ان يعود قرر العمل هناك لمدة عامين أو ثلاثة ، فانجبنا طفلا وقبل ان يتم ابنى الرابعة من عمره مرض زوجى فجأة فاستغثت باصدقائنا هناك فنقلوه إلى المستشفى . . فما ان فحصه الأطباء حتى ادخلوه العناية المركزة . وسألت الطبيب المسئول عن حالته فصدمنى بصراحة قاتلة وبغير أية محاولة لاخفاء الحقيقة عنى فسقطت على الأرض مغميا علىّ وتغيرت حياتنا فجأة وخيم عليها الخوف والكآبة وبعد عدة جراحات وأهوال لا أريد ان اتذكرها عدت إلى بلدى أرتدى السواد ومعى طفل صغير فى الرابعة من عمره وصندوق كئيب يضم جثمان ابيه لكى نودعه ثرى أرض بلاده ورفضت فى البداية العودة إلى الشقة التى عشت فيها سنوات زواجى القصيرة وعشت فى بيت أسرتى لعدة أسابيع . . . وبعد ان تماسكت قليلا عدت إلى شقتى وفتحت نوافذها المغلقة وعدت إلى عملى وحافظت على علاقاتى الطيبة بأسرة زوجى ومضت ثلاثة أعوام على عودتى ، ثم ذهبت لزيارة أسرتى فإذا بطارق على الباب ، ولم تكن من عادتى ان افتح الباب حين أكون فى زيارة أمى لكننى نهضت باحساس غريب لفتحه هذه المرة فإذا بى أجده واقفا أمامى يبتسم وينظر إلى بحنان ولهفة إنه فتى الحب القديم الذى لم أره منذ ١٣ عاما فتسمرت أمام الباب وتولتنى فرحة طاغية . أول فرحة حقيقية منذ عودتى الحزينة ومددت يدى إليه وصافحته فى حرارة وانا أسأله عن احواله . . وجاءت أمى تقول تفضل يادكتور محمد فدخل بخطوات واثقة وهو لا يرفع عينيه عنى . . ولا يكف عن سؤالى عن

أحوالى وجلست مبهورة الأنفاس . وعينى لا تفارق عينيه . . ولاحظت بسرعة البرق انه شخص آخر واثق من نفسه . . وانيق ومنطلق . . . وجاءت أمى بالقهوة وقالت قهوتك يادكتور محمد فتنبهت لأول مرة لهذه الحكاية وسألته كيف أصبح طبيبا خلال غيابى ؟ فأغرق فى الضحك وروت أمى لى قصة غريبة هى انه أصر على استكمال تعليمه فحصل على الثانوية العامة نظام ٣ سنوات وهو موظف والتحق بكلية التجارة التى حالت بينه وبينها درجة واحدة من قبل وحصل على البكالوريوس بتقدير جيد جداً فحصل بعدها على الماجستير فى عامين . . ثم أوفد فى بعثة إلى أوروبا لجمع مادة علمية للدكتوراه وعاد وحصل على الدكتوراه منذ أسابيع فقط ، وخلال كفاحه هذا كان قد ترقى فى عمله حتى أصبح مديرا مرموقا بأحد البنوك الاستثمارية .

أما ما هو أهم من ذلك فقد رواه لى بنفسه وهو انه لم يتزوج حتى الآن وان صورتى كانت فى خياله فى كل مرحلة من حياته وتدفعه لأن يحقق لنفسه ما يتمناه لها وانه كان يحس احساسا غامضا لايعرف له تفسيرا بأن اقدارنا سوف تلتقى مرة أخرى ولو فى خريف العمر ، ورغم ذلك فقد حاول ان يكون واقعيا فتقدم لخطبة إحدى زميلاته ولم يجد نفسه معها فاعتذر لها وصد بعدها محاولات غيرها للاقتراب منه تاركاً للزمن شفاء نفسه ، ثم علم بعد عودته بترملى . . فتقدم لأمى يطلب يدى واثقا من انى سأقبله لأننا حب العمر الذى لايعوض فإذا بى أقبل على الفور عرضه وبغير تفكير وأعده بأنى سأتصل به لأبلغه بالجديد قريبا . وانصرف وهو يتوعدنى بأنه سيصحب المأذون معه إلى الشركة التى أعمل بها ان تأخرت عليه فى الرد .

وما أن أغلق الباب حتى انهرت باكية . . واجتمعت الأسرة لبحث الأمر . . ولم يرفض أحد لكنهم فقط تحسسوا مما سيكون عليه موقف أسرة زوجى الراحل ومن المشاكل التى ستترتب على قبولى الزواج . . وإلى أى حد ستصل هذه المشاكل وهل سيحاولون حرمانى من طفلى أم لا وقلت للجميع انه لا رغبة لى فى أى ماديات ولا أحرص على شىء سوى طفلى وحقوقه وان أسرة زوجى لا يمكن ان ترضى بحرمان طفلى من أمه بعد ان حرم من ابيه . . ثم لماذا احرمه من أب مثل فتاى القديم الذى يحبنى من أعماقه وسوف يحب ابنى لأنه قطعة منى . . وأسرتى لاتعارض لكنها ترانى مندفعة فهل انا حقا كذلك ؟ أليس من حقى ان أعيش إلى جوار رجل تمنيته ويتمنانى من كل قلبه منذ سن الصبا ؟ لقد فرحت بلقائه وربما طمحت إلى الارتباط به منذ رأيته على باب الشقة وقبل ان أعرف تطورات حياته الجديدة فماذا يضير الآخرين فى ذلك وهل من العدل ان أعيش وحيدة من سن الخامسة والثلاثين إلى ان ينتهى الأجل ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : رأيى دائما يا سيدتى هو ان المرأة إذا استشعرت احتياجها القوى للزواج ، وتوافرت لها أسبابه اللائقة بظروفها وسنها ومكانتها ، وبغير ان ينعكس بالضرر الظاهر على ابنائها ، فان الزواج فى هذه الحالة أجمل بها من تعريض نفسها للفتنة وارحم بها من مغالبة النفس لردها عن الأهواء .

وفى ظروفك أنت بالذات فإن الزواج ليس مجرد احتياج نفسى واجتماعى وبيولوجى ، وإنما هو أيضا احتياج عاطفى مكتوم منذ أكثر من ١٧ عاما مما يضاعف من شدته وضرورته . والحق أنى لست استبعد ان

يكون نفس هذا الاحساس الغامض بأن أقداركما قد تلتقى مرة أخرى فى مرحلة ما من العمر قد راودك أنت أيضا ولو فى الخيال عقب ترملك ومكابدتك آلام الوحدة ، لأن النفس فى ضعفها واحزانها تتلمس العزاء فى الأحلام القديمة التى حالت دونها ظروف الحياة وتحلم بمعجزة من السماء تحول شقاءها إلى سعادة . فإذا كان هذا الاحساس قد راود فتاك ١٧ سنة وساهم بدور كبير فى قصة كفاحه العظيمة هذه ، ثم تلاقت اقداركما فعلا فى الواقع وليس فى الخيال وبغير سعى من احدكما وراءها . . فهل تظنين ان فتاك القديم سوف يتنازل عنك بسهولة هذه المرة . .

بل وهل تظنين انك سوف تسمحين له أنت بهذا الانسحاب والتنازل مرة أخرى . وماذا يضير أسرة زوجك فى ذلك وهذه هى سنة الحياة التى لاتبديل لها ، وأنتما فى النهاية لاتطلبان حراما ولاتسعيان وراء أمر منكور ، صحيح ان أحزان المكلومين تتجدد فى مثل هذه المناسبات التى تنكأ الجراح القديمة ، لكن هذه المشاعر الإنسانية الطبيعية لاتحول بين الإنسان العادل وبين التسليم بسنة الحياة وبحق الآخرين فيما شرع لهم .

فقط عليك ياسيدتى ان تحافظى على الخيط الرفيع بين ممارسة الإنسان لحقه المشروع فى الحياة وبين استفزازه للآخرين بهذا الحق . وهذا أمر يمكن ادراكه بالحرص على مشاعر الأب المكلوم وشقيقات واشقاء الزوج كالتحفظ فى الاحتفال بالزواج مثلا ثم بالتفاهم الودى على كل الأمور المعلقة وطمأنة أسرة الزوج إلى ان طفلك سيلقى عناية أفضل فى حياتك الجديدة . وبالحرص على زياراتك لها وفى هذا الشأن تستطيعين الاستعانة باحدى شقيقات زوجك الأقدر كامرأة على فهم ازمتك كشابة

وحيدة على التمهيد لك فى الحصول على قبول أبيها وعدم منازعتك فى الأمور المشتركة والزمن كفيل بمداواة كل الجراح فى النهاية والعلاقات الإنسانية رهينة بحرص الإنسان على الآخرين وحسن معاملته لهم والصبر عليهم وأغلب ظنى ان والد زوجك الطبيب القديم الذى تعلم فى ألمانيا سوف يكون أكثر واقعية وأكثر عدلا وانصافا مما يتصور كثيرون ولن تواجهى مشاكل حادة بإذن الله .

أما عن لقائك بفتاك القديم على غير توقع بعد كل هذه السنوات فليس هناك تصوير أبلغ له مما قاله قيس بن الملوح فى قصيدته المعروفة باسم المؤنسة :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما

يظنان كل الظن ان لاتلاقيا !

جمع الله الغرباء جميعا بعد الظن « ان لاتلاقيا » . . واعاد كل الطيور المهاجرة إلى أعشاشها المنتظرة كما جمع بينكما ان شاء الله .

الحلـم العجيـب !

أنا ياسيدى شاب فى التاسعة والعشرين من عمرى ابن وحيد لأبوين . . ينحدران من أصل ريفى وخريج إحدى الكليات المرموقة ووسيم وعلى خلق ومتدين وصحتى جيدة ولدى شقة فاخرة بحى راق وسيارة وحالتى المادية ميسورة والحمد لله . وأنا كأى شاب تتوق نفسه إلى زوجة تشاركه الحياة بما فيها من هموم وأفراح ولحظات شقـاء ولحظـات سعادة . . وأوقات للمشاكل وأوقات للصفاء إلى آخر أحوال الزواج الجميلة هذه . . بالإضافة إلى ان أبى وأمى يلحان على منذ فترة إلحاحا شديدا لكى اتزوج خاصة وإنى مستعد ماديا للزواج كما أن أبى على حد قوله يريد ان يفرح بذريته من أبنائى وهو الريفى النشأة الذى يقدس الزواج والإنجاب . . ولو استجابت الأقدار لأمانيه لكان لى من الأشقاء كثيرون لكن ظروفا معينة شاءت ألا ينجب غيرى وأن أكون ابنه الوحيد الذى ينتظر منه أن يملأ عليه شيخوخته بالأحفاد . . لكن تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن فقد اكتشفت للأسف خلال اجراء تحليلات طبية بالصدفة منذ فترة انى عقيم وأن احتمال انجابى سيظل ضعيفا حتى بعد العلاج الطويل والمشكلة ليست فقط فى ذلك . . وإنما فى أنى اكتشفت هذه الحقيقة قبل الزواج مما زاد تعقيدها ومن عبئها النفسى علىَّ . . ذلك

أنى لن استطيع ان اخطب فتاة وأنا أعرف مشكلتى وأكتمها عنها فإن صارحتها بها منذ البداية فأين هى الفتاة التى توافق على عريس تعرف مسبقا انه عقيم وان لم افعل فكيف أخدع من ستكون رفيقة العمر فى أمر جوهرى كهذا الأمر وخلقى ودينى لا يرضيان لى بذلك . . أم ترى انه ينبغى على أن أبحث عن فتاة عقيم مثلى لأحقق المثل الشعبى المعروف الذى يتحدث عن اجتماع التعيس مع خائب الرجاء ولو اردت ذلك فأين هى الفتاة التى تعرف أنها عقيم من قبل ان تتزوج . أم ترى انه ينبغى على أن اتخلى نهائيا عن فكرة الزواج وأضرب عرض الحائط برغبتى المشروعة فى الزواج وأنا سليم من الناحية الجسدية ولى احتياجاتى الطبيعية واتجاهل إلحاح أبى وأمى على الزواج مع مافى ذلك من اغضاب لهما لا أريد ان احمل وزره والغريب ياسيدى إننى أحلم كثيرا هذه الأيام حلما عجيبا من أحلام اليقظة أرى نفسى فيه متزوجا بالفعل ولست أعرف كيف ؟ وأرانى بعد ان توطدت العلاقة بينى وبين زوجتى اصارحها بنبل الإنسان المضحى ـ كما فى الأفلام ـ بحقيقة حالتى ثم أخيرّها بين أن تستمر معى أو ان أسرحها بإحسان لتشبع أمومتها مع زوج غيرى . . فتسارع « زوجتى » بوضع يدها على فمى وتقول لى عاتبة بنفس الطريقة السينمائية : « اخص عليك أبعد كل هذا الحب تجرحنى بهذا الكلام إنك عندى بالدنيا كلها . . »

ومازال هذا الحلم العجيب يلاحقنى . . ومما يزيد من معاناتى أنى لا أريد لأبى أن يعلم بأى حال من الأحوال بمشكلتى . . ولا أعرف كيف سيكون وقع الخبر عليه إذا عرف به ولست أستبعد أن يفكر فى الزواج لكى يرى الذرية التى يريدها بواسطته هو إذا يئس منى فهل من حق من كانت

له مثل ظروفى ان يتزوج ؟ . . وهل يوجد نص فى الشرع أو القانون يبيح للزوجة حق الطلاق إذا كان زوجها عقيما ؟

وهل أجد عندك تصورا معقولا لحياتى المستقبلية لا يكون فيه ظلم لأحد ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : ما تصفه بأنه الحلم العجيب ليس حلما ولا عجيبا وإنما هو واقع يعيشه كثيرون غيرك مع زوجات اخترن الزوج المحب المحبوب واكتفين به وتلمسن السلوى فى جوانب أخرى من جوانب الحياة العديدة . . ولكل حال جمالها ياصديقى . . والحياة دائما سيمفونية ناقصة . . ولوحة لا تكتمل كل عناصرها أبدا . . وإنما لكل إنسان دائما فى حياته ما يرضى عنه وما يتطلع إليه . . والزواج بدون أبناء ينجح كثيرا ويثمر حياة زوجية لها طابعها الخاص الذى يعوض به الله ما يحجبه عن أطرافه ، إذ أنه زواج عواطف ومشاعر وإيناس دائم حتى نهاية العمر . . ومجرد استمراره هو دليل نجاحه ودليل توقد مشاعر طرفيه حتى اللحظة الأخيرة . . فى حين أنه فى حالات ليست قليلة لا يكفى استمرار الزواج الآخر دليلا على نجاحه أو توقد العواطف أو توافر المودة والرحمة فيه على الأقل إذ قد يكون فى بعض الأحيان تضحية بسعادة الزوجين وإيثارا وحرصا على سعادة الأبناء وهذا هو ما أعنيه بأن لكل حال جمالها . . ومتاعبها أيضا ، وهذا هو التعويض الإلهى لمن حجبت عنهم الذرية . . ألا يتزوجوا إلا بالحب والا يتساكنوا إلا بالمودة وحسن المعاشرة . . وان تزداد اللمسات الشاعرية والعاطفية فى حياتهم عن غيرهم لأنه لامعنى لاستمرار زواجهم ان خلا من كل ذلك أما مجالات التعويض النفسى فهى

كثيرة . . ولقد كان جمال الدين الأفغانى يقول « من ترك شيئا عاش بدونه » والإنسان يستطيع دائما ان يتواءم مع ظروفه وان يتعايش معها إذا رضى بها . . فإن أسفت لشىء فى كل ذلك فهو فقط لأنك ابن وحيد . . يتركز فيه حلم الأبوين بالأحفاد ، ولا يمكن أن يتحقق عن غير طريقه . لكن ماذا نفعل ياصديقى ونحن لا نملك من أمرنا شيئا . . ولانختار لأنفسنا ما لا نرضاه لها . لهذا لست أرى لك أن تكابد هذه المعاناة وتتحمل ضغط أبويك عليك للاسراع بالزواج وهما لايعرفان حقيقة ظروفك . . إذ ممن تتخفى ياصديقى وماهو « الاثم » الذى جنيته لتتكتمه عنهما ؟ إنهما أبواك وأقرب الناس إليك واشراكهما معك فى أمرك ييسر عليك ما تتصوره حلما مستحيلا ويوسع أمامك مجالات الاختيار . . بل ويعفيك من أن تعرض نفسك على أحد إذ لن تقترب منك إلا من تتمناك لنفسها وللأمهات فنون فى ذلك لا يدركها الأبناء مهما حاولوا كما أنى لا أشاركك مخاوفك من ان يدفع علم أبيك بظروفك إلى الاقدام على الزواج لكى « يصنع » أحفاده بيديه . . وإنما هى غالبا مغالاة منك فى الاحساس بخطورة ظروفك مع أنها ظروف لاتنفرد بها وحدك . . وليست نهاية الدنيا ، وتصورى انك تستطيع أن تجد كثيرات يتنافسن للفوز بك . . أفضل المرشحات لك فعلا هى من لها مثل ظروفك لكيلا يشغلها عنك تطلع مكتوم إلى الأمومة ، لكنك تتساءل وكيف تعرف الفتاة قبل الزواج انها كذلك وسؤالى أنا لك ولماذا تتساءل عن « الفتاة » وحدها ولا تتساءل عن « السيدة » التى اختبرت نفسها وعرفت أنها لن تنجب وهن أيضا كثيرات ؟ فإن جمعت الحياة بينك وبينها فإن اشراك أبويك معك فى أمرك من البداية يعفيك على الأقل من

شرح أسباب تفضيلك لها على غيرها ؟

كما أن الحب الحقيقى يعفيك من كل ذلك إذا جمعك بأخرى فتاة كانت أم سيدة واطلعتها على ظروفك منذ البداية لهذا فقد ترددت فى أن أجيبك عن سؤالك الآخر عن « النص » الذى يبيح للزوجة طلب الطلاق فى مثل هذه الحالة . . لكنى راجعت نفسى . . إذ ماذا يفيد تجاهل الأمور ، نعم هناك نص فى قانون الأحوال الشخصية يعطى الزوجة حق طلب التفريق بينها وبين زوجها . . . ـ وعفوا للتعبيرات القانونية ـ إذا وجدت به عيبا لايمكن البرء منه أو يمكن بعد زمن طويل ولا يمكنها المقام معه إلا بضرر، سواء كان هذا العيب بالزوج قبل العقد ولم تعلم به أم حدث بعد العقد ولم ترض به فإن تزوجته عالمة به أو حدث بعد العقد ورضيت به صراحة أو دلالة بعد علمها فلا يجوز التفريق .

لكن ما أهمية كل ذلك وأنت بخلقك ودينك لن تتزوج إلا ممن تتمناك وترضاك كما أنك بنبلك لن تمسك عليك من ترغب عن الاستمرار معك لأى سبب من الأسباب ؟

لقــاء الصبــاح

أنا شاب أبلغ من العمر ثمان وثلاثين سنة خاض أبى الموظف الصغير ملحمة كفاح مريرة ليعلمنى أنا وأخى وأختى حتى تخرجنا من الجامعة . وبعد أن أنهيت تجنيدى وفقنى الله فى الحصول على عمل حكومى يناسب مؤهلى .

وكنت خلال دراستى قد تعرفت بفتاة تسكن معنا فى نفس الشارع وتدرس بالجامعة .

وتعاهدنا على الارتباط . . وكنا نلتقى كل صباح على محطة الأتوبيس فنتحدث لمدة نصف ساعة ونتبادل الأخبار ثم يركب كل منا إلى كليته . وظل هذا اللقاء الصباحى هو محور حياتى ثلاث سنوات كاملة حتى تخرجنا معا . ثم بدأت اسرتها تضغط عليها لقبول من يتقدمون اليها وهى صامدة ترفض بإصرار حتى ضاق بها أبوها ذات مرة وهددها بأن يرغمها على قبول آخر من تقدموا لها . . فلم تتحرك عن موقفها حتى سألها هل تنتظرين أحدا فأجابته بأدب وبعد أن قبّلت يده بأنها تنتظرنى ولن تتزوج غيرى ! ورايت من واجبى أن اتحرك ففاتحت أبى وامى . فقال ابى الحكيم أطال الله عمره كان ينبغى أن تؤجل زواجك عدة أعوام حتى التقط أنفاسى . . لكن الفتاة لاذنب لها فى ظروفنا . . وهى فتاة طيبة وأصيلة

وخسارة أن تفقدها . لهذا فسوف أستبدل جزءا من معاشى وأقدم المبلغ لك وعليك أنت الباقى ، فلم املك إلا أن أقبل يده ورأسه شاكرا وممتنا . وقرأنا الفاتحة . . وبدأت الرحلة الصعبة فطلب أبوها منى تقديم شبكة على الفور وإحضار شقة بعد عام على الأكثر . وقدم لى ابى المبلغ الذى إستبدله من معاشه فإشتريت به الشبكة واعلنا الخطبة . وبدأت رحلة الألف ميل لتوفير مقدم الشقة فحرمت نفسى من كل شىء حتى من كوب الشاى فى العمل ، وانقضى عام طويل لم أوفر سوى مبلغ تافه لايصلح مقدما لشقة وزمجر أبو فتاتى طالبا الوفاء بالوعد فرجوته ان يطيل المهلة عدَّة شهور وأنا لا أعرف كيف سأحقق هذا الحلم المستحيل . . وفجأة وأنا فى قمة أضطرابى وكربى جاءتنى فرصة للسفر إلى الخارج فأسرعت بالحصول على أجازة بدون مرتب . . وانفقت كل مدخراتى فى شراء تذاكر السفر وإنهاء الأوراق ، وسافرت محملا بالآمال والأحلام . ففوجئت بعد وصولى إلى الدولة العربية أن الكفيل أى صاحب العمل الذى استقدمنى ليس عنده عمل لى ووجدت نفسى أعمل أعمالا متقطعة لعدة أسابيع أحصل على أجرى منها ثم اتركها لأن الكفيل يرفض التنازل عن كفالتى وفى نفس الوقت ليس لديه عمل لى ، وعلى هذا الحال عشت عاما طويلا إلى ان إستقررت فى عمل مناسب ودفعت للكفيل مبلغا جسيما من كدى وعرقى لكى يتنازل عن كفالتى فعملت لمدة عامين لدى صاحب عمل آخر وطالبتنى خطيبتى بالعودة لعقد القران وللتعاقد على شقة عثرت عليها فعدت فى أجازة وجمعت كل ما معى فوجدته ينقص عن المبلغ المطلوب . وتوقفت يائسا فإذا بشقيقى الأصغر يقدم لى كل ما ادخره

خلال عامه الأول فى العمل . . وإذا بفتاتى وبدون مشورتى قد باعت شبكتها وقدمتها لى . . وجمعنا المبلغ المطلوب وتعاقدنا على الشقة . . وعقدنا القران وظهرت عروسى فيه ترتدى شبكة دولية كل قطعة منها مستعارة من إحدى قريباتها !

وعدت لعملى فلم استمر به سوى ثمانية شهور أخرى ثم سدت أبواب العمل هناك فعدت إلى وظيفتى فى مصر ، وإنتظمت فى سداد الأقساط وبعد عدة شهور تزوجنا ، وأصبح مرتب زوجتى كموظفة فى أحد المرافق العامة هو المورد الأساسى للبيت أما مرتبى أنا فيذهب لسداد الأقساط وبعد عامين انتهيت من سداد أقساط الشقة . . وبدأت أنا وزوجتى الحديدية الارادة نلتقط أنفاسنا . . وقررت زوجتى أن الوقت قد حان للانجاب فحملت وزادها الحمل جمالا على جمال ثم جاء « علاء » فقلب حياتنا رأسا على عقب ، وأصبحنا لانفترق نحن الثلاثة وكنت قد تعودت أن أترك لزوجتى التصرف فى دخلنا لثقتى فى حكمتها . . فدفعت دين أخى على أقساط ثم خطبت أختى وبدأ الاستعداد لزواجها فانتظمت فى دفع مبلغ مناسب لمدة عام لأمى وبدون أن تطلب منها ذلك ، وقبل أن أقرر أنا كيف سأشارك أبى فى هذه المسئولية وبعد عدة أعوام أخرى إحتفلنا بمرور ١٠ سنوات على زواجنا السعيد وتأكدت من اننى مازلت العاشق المتيم الذى كان يقف كل صباح على محطة الأتوبيس ينتظر فتاته الجميلة .

وبعد شهور من احتفالنا جدّ جديد فى حياتنا الهادئة ، فلقد اتصل بى زميل سابق تعرفت به فى عامى الأول بالوظيفة عندما جاء ليجدد أجازته

بدون مرتب ، ثم أصبح بعد ذلك يكلفنى عن طريق الخطابات بتجديدها إلى أن انتهت أجازته فقدم إستقالته من العمل وأنهيت له كل إجراءاتها ، فقد دعانى الصديق إلى لقائه ولم يكن قد إتصل بى منذ ٥ أعوام فذهبت إليه فى المكان الذى حدّده ، فإذا به شقة تحمل اسم شركة ، واستقبلنى مرحبا وروى لى أنه عاد لمصر منذ عامين وأسس شركة خاصة وعمل فيها بجد حتى توسعت أعمالها ولم يعد قادرا على إدارتها وحده ، لهذا فهو يعرض علىَّ الاستقالة من عملى أو الحصول على أجازة بدون مرتب للعمل معه لأنه كما قال يحتاج إلى رجل أمين مثلى ! ووعدته بأن أفكر فى الأمر وعدت إلى مستشارتى فاستقر رأينا على ألا استقيل وأن أحصل على أجازة وبدأت عملى معه بكل جد وإخلاص ولم تمض سوى شهور حتى بدأ يعتمد علىَّ ويترك لى العمل خلال أسفاره العديدة ، وتحسنت أحوالنا المالية وبدأنا أنا وزوجتى نعرف لأول مرة بعض الراحة المادية وبارك الله فى رزقنا وفى أسرتنا وفى سعادتنا لالتزامى طوال حياتى بتجنب الحرام .

ومضى عامان على عملى الجديد ثم دعانى صديقى إلى بيته مع زوجتى فى إحدى المناسبات وكانت أول مرة ندخله فتعرفنا بشقيقته وهى مطلقة فى الأربعين تزوجت أربع مرات ولم تنجب وترعى أولاد شقيقها ثم تكررت دعوتها لى إلى البيت فى مناسبات مختلفة ، ثم فوجئت بشقيقته تزورنا فى الشركة وتطلب منى مرافقتها لمعاينة الشقة الجديدة التى سينتقلون إليها قريبا لتبلغنى بما تريد من تعديلات فيها لأتابع تنفيذها وذهبت معها وسجلت كل رغباتها ، ثم تكرر اتصالها بى بمناسبة وبغير مناسبة ، وتكررت دعواتها لى لزيارتها فى البيت فبدأت أعتذر بالعمل وإنشغالى . .

وكنت أروى لزوجتى كل شىء بالتفصيل فبدأت تقلق . . ثم بدأت تفقد أعصابها . . ثم فوجئت بشقيقة صديقى تزورنى فى مكتبى وتسألنى صراحة : لماذا تتهرب منى ؟

فلم أجد بدا من إجابتها بصراحة بأنى رجل متزوج وأحب زوجتى وإبنى ولا أعدل بهما أى شىء فى الدنيا كما أنى رجل مستقيم أكره أن أفعل شيئا يغضب ربى ، فإذا بها تقول لى مندهشة : ومن يطالبك بالتخلى عنهما . . لقد أحببتك وأريد أن اتزوجك مع احتفاظك بزوجتك ولن تخسر شيئا بل ستكسب الكثير ! ولم أعرف بماذا أجيبها فتخلصت من الموقف بادعاء إضطرارى للنزول وانصرفت .

وترددت هل اصارح زوجتى بذلك أم أكتمه ـ لكنى كنت قد تعودت على الصراحة معها فى كل شىء فصارحتها ـ فنصحتنى بالاستقالة من هذا العمل والعودة لوظيفتى تجنبا للمتاعب . . ولأن رزقنا فى هذا المكان قد توقف عند هذا الحد ، ولم أعترض لكنى قررت ان أتريث قليلا لعلى أستطيع تجاوز الأزمة بدون تضحية . . لكن مطاردات المرأة لى زادت عن حدّها . . فراحت تطاردنى بالتليفون وبالزيارات وبتدبير المناسبات لدعوتى مع شقيقها للعشاء أو الغداء . . وراحت تطاردنى بالنظرات كالمراهقة . . وبخطابات الحب الصبيانية . . فحسمت أمرى وصارحت صديقى بالأمر بغير الدخول فى تفاصيل فأجابنى مغتما أنها شقيقته الوحيدة وأنها ترعى أولاده الذين تخلت عنهم أمهم وتزوجت شابا أصغر منها منذ عدة سنوات بعد أن إستنزفته مالا كثيرا وأن مشكلة شقيقته هى إندفاعها وراء مشاعرها لهذا فقد تزوجت ٤ مرات من أشخاص غير مناسبين وفى كل

مرة تلجأ إليه باكية ليطلقها ويتكلف أموالا طائلة فى سبيل ذلك وكان يعود من الخارج خصيصا ليطلقها ويرجع ، ثم نصحنى فى النهاية بأن أتصرف معها بما يمليه على ضميرى بغير أن أخشى أن يؤثر تصرفى على عملى معه سواء قبلتها أم رفضتها لأنه كما قال رجل أعمال يحكِّم عقله فى عمله ولأنه يريدنى ان استمر معه فى العمل فى كل الأحوال . . فواصلت صد شقيقته بكل الطرق . . ورفضت دعوتها لى لزيارتها خلال سفر شقيقها . . وتهربت منها بكل الحيل وصارحتها مرارا بأنى لا أحب إلا زوجتى ولن أحب سواها لأنها قصة عمرى فلم تيأس . . وازدادت اندفاعا حتى أصبحت تأتى إلى مكتبى وتناقشنى بصوت عال فى الموضوع حتى يسمع شقيقها صوتها من مكتبه المجاور ويأتى لينهرها ويأمرها بالانصراف إلى أن تجاوزت كل حد . . ففقدت أعصابها مرة وانهالت علىَّ بالشتائم . . وباتهامى بأنى أحب الفقر وأن « أسيادى » يتمنون بعض ما تعرضه علىَّ . . وكانت فضيحة لم أستطع إحتمالها فاستقلت وعدت إلى عملى الحكومى وأنا سعيد بإنتهاء هذه الفترة المضطربة من حياتى ولم تأبه زوجتى بنقص دخلنا إلى أقل من النصف بل سعدت باستقالتى و اعتبرتها هدية حب لها و احتفلنا بتخلصنا من هذه المحنة بقضاء سهرة سعيدة . وتقبلت حظى شاكرا لله ما سمح لى به من فضل خلال الأعوام الثلاثة الماضية و انتظمت فى عملى الحكومى ، وعدت لركوب المواصلات بعد أن أعدت سيارة الشركة لها لكنى أصبحت الآن قادرا والحمد لله على ركوب الميكروباص بل وسيارة الأجرة أحيانا . وسبحان الله يا سيدى فإن شيئا لم يتغير فى حياتنا ولا فى إنفاقنا أو طعامنا بعد أن انخفض دخلنا إلى النصف تقريبا وإنما عشنا حياتنا البسيطة نسعد بأبسط الأشياء . . ونفرح بكل

ماينعم علينا به الله سبحانه وتعالى . . ونسيت هذه القصة كلها خلال الشهور الستة التالية ثم فوجئت منذ أسبوعين بصديقى القديم يتصل بى ويدعونى لمقابلته وذهبت إليه فى النادى فطالبنى بالعودة للعمل معه لأنه لايثق فى أحد غيرى ، وطالبنى بالصبر على شقيقته مؤكدا لى أنها قد هدأت الآن ولم تعد تتحدث فى هذا الموضوع ! ووعدته بأن أفكر فى الأمر. . وعدت إلى مستشارتى أعرض عليها الموضوع فلم أكد انتهى منه حتى وضعت أمامى الأمر هكذا : إما الرفض وإما طلاقها على الفور لأنها لن تحتمل أن ترانى أضيع منها شيئا فشيئا أمام عينيها . . وأنا كما قالت ثمرة عمرها كله . . وحاولت عبثا أن أقنعها أنى لا أرضى بغيرها بديلا ولو كانت أجمل وأغنى إمرأة فى العالم فلم تتنازل عن رأيها . . ثم اتبعت ذلك بتصرف لم تفعله مرة واحدة خلال ١٤ عاما من زواجنا هو أنها تركت البيت بعد إستئذانى وموافقتى وعادت إلى بيت أسرتها فى انتظار أن أحسم أمرى وأبلغ صديقى بقرارى النهائى وافترقنا لأول مرة منذ زواجنا والغريب أنى أزورها فى بيتها فتستقبلنى بكل الحب والاحترام وتقف على خدمتى وأنا اتناول الطعام . . وتطهو لى الأطعمة التى أحبها كما تتصل بابنها عدة مرات كل يوم وتوصيه بطاعة بابا . . ولا ترفض الحديث معى إذا خاطبتها بل وتذهب إلى الشقة خلال غيابى وتغسل لى ثيابى وثياب علاء وتنظف الشقة وتطهو لى بعض الطعام ثم تنصرف قبل عودتى . . وفى إحدى المرات « ضبطتها » وهى خارجة من الشقة فأسرعت تجرى إلى المصعد كأنها هاربة من جريمة !

فما رأيك يا سيدى فى هذه التصرفات . . وهل تراها على حق فيما تطلب لقد كان آخر ما توصلنا إليه هو أن نحتكم إليك . . فبماذا تحكم ؟

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول**: حكمى يا سيدى هو أنك رجل رائع . . وأن وزوجتك سيدة رائعة . . وأن كليكما يستحق الفوز بجائزة الاخلاص والقناعة والرضا والفهم الصحيح لمعنى السعادة الحقيقية التى لا علاقة لها بمال أو جاه . وأسبابى لهذا الحكم هو أنه حتى خلافكما الطارئ المؤقت هو خلاف حب يبعث فى النفس الاحترام لكلا الجانبين وليس خلاف ماديات أو خلاف تشاحن أو بغضاء فكلاكما مقتنع بأن السعادة الحقيقية هى أن يسكن الإنسان إلى قلب يحبه ويحنو عليه ويخلص له ويشاركه رحلة الحياة بحلوها ومرها ، وكلاكما مقتنع بأنه لاسعادة له إلا مع الآخر وعلى أى مستوى من الحياة تسمح لكما به الظروف وهو على استعداد لأن يضحى بكل شىء آخر فى سبيل ذلك ، لكنكما مختلفان بعد ذلك فى نقطة ثانوية هى انك تؤمن إيمانا صادقا بقدرتك على الصمود لمطاردات هذه المرأة المتهالكة بغير أن يؤثر ذلك فى استقرار حياتكما السعيدة أو يمثل لك أى إغراء من أى نوع ، وبالتالى فقد تسعد نفسك وأسرتك بما تدره عليك عودتك لهذا العمل من رزق شريف .

وزوجتك على الناحية الأخرى تؤمن بأن الوقاية خير من العلاج . . وأن عودتك لنفس العمل سوف ترشحك رغم المزايا المادية لفترة أخرى من الاضطراب والقلاقل قد تسمح للشقاق بأن يتسلل إلى عشكما الهادئ . . كما سوف تعرضها لأن تنهش الغيرة والقلق قلبها ، والقلق وحش يلتهم بالفعل لا بالمجاز جسم الإنسان وسعادته ويرشحه لأمراض عديدة كفاكما الله شرها . وكل منكما مصيب ! لكنى رغم ذلك أميل إلى تأييد موقف زوجتك ومطلبها تجنبا للمتاعب وبعدا عن كل أسباب النزاع والكدر ثم أيضا لأنى أتصور أن هذه المرأة لن تسلم بهزيمتها بسهولة ولن تتنازل عن

رغبتها إما بالفوز بك أو بالانتقام منك والاساءة إليك وربما ايهام زوجتك بأنها قد نجحت فى الفوز بك بشكل أو بآخر فتفسد عليكما سعادتكما قبل أن تندفع وراء مشاعرها فى إتجاه آخر.

فهذه المرأة من النوع الذى وصفه الكاتب الفرنسى العظيم أناتول فرانس « بالموت الحى » . . التى لاتكاد تقترب من حياة من ترغب فيه سواء قاومها أو استجاب لها حتى تدمرها بتقلب مشاعرها وبسرعة كراهيتها لمن أحبته من قبل .

لهذا فإنى افضل لك ان تنتظر فرصة أخرى لا تحمل معها كل هذه المخاطر ومن كان فى مثل أمانتك وطهارتك لن تبخل عليه الحياة بفرصة أخرى أفضل من التى ضحى بها التزاما بقيمه ومبادئه . . بل ولربما جاءت إليك نفس الفرصة المواتية الآن ولكن فى ظروف أفضل حين ترسو سفينة هذه السيدة فى مرفأ آخر . . وتتزوج بفارس جديد وتنسى قصتك . . وليكن هذا هو مدخلك للاعتذار لصديقك القديم بدعوى أنك تفضل ألا تعود للعمل إلا بعد ان تتزوج « الهانم » بإذن الله وهى سوف تتزوج عاجلا أو أجلا فمثلها يجد الزوج بلا عناء وبمجرد أن تقرر ذلك ، فإذا وافقت زوجتك على عودتك لهذا العمل بعد زواجها ثم طلقت مرة خامسة وهذا إحتمال وارد أيضا فقدّم إستقالتك فى نفس يوم طلاقها وعُد إلى عملك السابق ناجيا بنفسك قانعا من الغنيمة بالاياب . . وبقطرات أخرى من الرزق الشريف تسعد بها أسرتك الصغيرة .

مع كامل إحترامى لك ولزوجتك الفاضلة . . ومع عظيم اعجابى بتصرفاتها معك خلال فترة انفصالكما القصيرة ، وإن كنت لا أوافق بالطبع على مبدا هجرها لبيتها من الأصل !

المبــاراة !

حين كنت فتاة جامعية تعرفت على شاب ونشأ بيننا حب عميق وبارك الله حبنا الطاهر فصمد لكل العواصف والعقبات طوال ٥ سنوات حتى تم الزواج وتحقق حلمنا الكبير وتعاهدنا على الوفاء . . . وكان زوجى قد تراءت أمام عينيه بعض صور الخيانة فجعلته لايرجو من ربه أكثر من زوجة مخلصة تحفظ عهده وترعاه . واستجاب الله لدعائه ودعائى فما خان أحدنا عهده أمام الله . .

ودام الحب عشرين سنة رزقنا الله خلالها بثلاثة من الأبناء بلغ اثنان منهم سن الشباب ويدرس أصغرهم بالمرحلة الثانوية ، وطال شهر عسلنا حتى استغرق كل سنوات زواجنا ولم تحدث بينى وبين زوجى ورفيق عمرى أية مشكلة أو خلاف طوال تلك السنين حتى أصبحنا موضع حسد بعض الأقارب ، وكان زوجى بالنسبة لى دائما هو أجمل ما فى حياتى وكنت كذلك بالنسبة له حتى لقد كان يفضلنى ويقدمنى فى كل شىء على ابنائنا ولم يكن غريبا أن أتفانى فى حبه ورعايته والاخلاص له ثم بدأت إحدى زميلات زوجى تجلس بجواره كل يوم فى العمل وتجعله يعيش مشاكلها مع زوجها وتقص عليه القصص الملفقة ليتعاطف معها ويرق قلبه لها . . وساعدها فى ذلك مظهرها المحتشم الذى يبعدها عن الشبهات فالتفّت

خيوط العنكبوت تدريجيا حول زوجى واستمالته إليها ، وحين تأكدت من ذلك طلبت الطلاق من زوجها على الفور وبين خيوطها فريسة هى زوجى الذى لايعرف إلا الحب والاخلاص والقيم والمبادئ والذى يحظى باحترام الجميع وليست فى حياته أية شائبة ولم يفعل إلا الخير منذ عرفته منذ ٢٥ سنة ونحن طالبان بالجامعة إلى أن سقط فى خيوط العنكبوت وهو فى الخمسين من عمره .

وحصلت زميلة زوجى المحتشمة التى مرت بأكثر من تجربة فاشلة قبل الزواج على الطلاق سريعا وبدأت « تلاعب » زوجى بأسلوبها المتمكن حتى لم يعد يرى غيرها فى الحياة ، وعندما تمكنت منه طالبته بهدم البيت الذى لم ترتفع قوائمه إلا بحنانه وعطفه والذى لم يعرف إلا النجاح والسعادة والاستقرار ، واشترطت عليه زميلته أن يحضر إليها ورقة طلاقه لى أولا لكى توافق على الزواج منه فانقلب الحمل الوديع رجل المبادئ والقيم الذى يكره الخيانة إلى إنسان آخر يبرر خيانته ويدافع عنها ويجرح مشاعرى بأقسى الكلمات وبلا أى عرفان للجميل أو احترام للعشرة الطويلة ولكل ما كان يجمع بيننا فيعترف لى صراحة وبغير مراعاة لقلبى الذى ينزف الدم أن تلك السيدة هى أول حب فى حياته وأنه لم يسبق له أن أحب قبلها ، وبعد ذلك أصبح زوجى على استعداد لأن يتنكر لكل الأشياء الجميلة التى ربطت بيننا طوال ٥ سنوات من الحب الصافى وعشرين عاما من الزواج السعيد ، ويتفادى لقاء كل الأهل والأصدقاء الذين يعرفون ما كان بيننا من حب ووفاق ويحاول الالتصاق بأصدقاء جدد لا يعرفون شيئا عن حياته السعيدة السابقة ، واستمر هذا الحال عامين طويلين وأنا أعانى من القهر

والألم ومن الذل العاطفى والإنسانى ورغم قسوة ما أعانيه لا اتصادم مع زوجى ولا اثير له المشاكل بل التزم الصمت واتكتم مصيبتى واحرص فى علاقاتى العائلية والاجتماعية على ألا يعرف أحد شيئا عما يجرى وعلى أن أبدو وكأنما لم يحدث شىء ولم تعترض حياتنا هذه الكارثة وذلك حتى لاينهار بيتى ويفقد ابنائى أباهم الذى يمثل بالنسبة لهم كل شىء إلى الأبد وخلال ذلك اضطررت إلى أن اذهب وأنا فى قمة تعاستى وكربى إلى تلك السيدة التى زلزلت حياتى ، وتحدثت معها بغير أن أحاول الاساءة لها أو استفزازها وناشدتها بقلب الزوجة والأم ألا تهدم أسرة عاشت عشرين سنة فى سعادة واستقرار وحاولت افهامها ان الخيوط الملتفة حول زوجى الآن لابد أنها ستتحطم ذات يوم وسوف يتخلص منها ويعود لأبنائه الشباب الناجحين الذين يفخر بهم أى أب ، لكنى وجدتها للأسف تعتبر الموضوع مباراة بيننا ولابد من أن تفوز فيها ، ولكى تحقق الفوز المبين وتحتفظ بالكأس فإنها ترفض الزواج منه مالم يطلقنى ويهدم بيته لتقيم هى بيتها فوق انقاضه ، وزوجى شارد لايرى ولا يسمع ولا يريد أن يتروى قبل أن يهدم الحصن الطاهر الذى كنت أشعل له فيه كل يوم شموع الحب والوفاء، ومازال يصر على موقفه ويعتبرنى اختا أو أما له منذ ذلك الوقت .. وإلى حين تلبية مطلب السيدة الأخرى التى لاتخاف الله وتسعى إلى هدم البيوت الدافئة بالحب والعامرة بالإيمان .

انني فى وسط هذه الظروف التى اعترضت سعادتى منذ عامين ألمس داخل ابنائى ثورة مكتومة تجاه أبيهم وأراهم ينظرون إليه كمارد ظالم يتبطر على كل ما أنعم الله به عليه من ابناء متفوقين وعلى خلق ومبادئ ومن

زوجة تفانت فى حبه وخدمته حتى أفاء الله عليه بالخير الكثير فرفض أن يكون هذا الخير لنا واراد أن يعطيه لمن لا تستحقه ، ولقد فوضت أمرى إلى الله لكنى أريدك ان تنصح كل سيدة تحاول خطف الأزواج وتشريد الأبناء بأن تخشى عدالة السماء فيما تفعل فالله حى قيوم بيده ملكوت كل شىء، وهو عزيز ذو انتقام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:** يبدو أن زوجك يا سيدتى يواجه ما يسميه علماء النفس بأزمة منتصف العمر ، وهى أزمة تعترض حياة الرجال والنساء أما المرأة فأنها تصاب فيها بسبب بعض التحولات البيولوجية التى تنهى قدرتها على الحمل والانجاب بتذبذب فى العاطفة وحساسية شديدة وقدر كبير من التوتر والقلق وقد تهاجمها خلالها نوبات من البكاء والحزن وقلة النوم وبعض الأعراض الصحية الأخرى كسرعة ضربات القلب مع الميل لعدم الاطمئنان لزوجها والشك فى تصرفاته . وأما الرجل فانه فى هذه المرحلة التى تبدأ من الخامسة والأربعين إلى الخمسين وما حولها يبدأ فى الاحساس بأن ما تبقى من سنوات عمره أقل كثيرا من تلك التى عاشها ويزداد احساسه بذلك كلما تلقى انباء الراحلين من اصدقائه أو زملاء العمل والدراسة .

وكرد فعل نفسى لهذا الاحساس المؤلم فإنه يصبح أكثر قلقا وعصبية مما كان طوال حياته ، وقد يحاول التغلب عليه بالتغيب كثيرا عن البيت ، أو يحاول ان يثبت لنفسه أنه مازال نفس الرجل الذى كانه فى سنوات الشباب والاقبال على الحياة فيتورط بلااحتراس فى مغامرة عاطفية طارئة أو نزوة غير متوقعة ، وتظهر عليه غالبا بعض علامات الاهتمام بأناقته إلى جانب ميل

أكبر لأن ينال المزيد من عطف زوجته وتدليلها وحنانها .

ويبدو أن تلك السيدة قد صادفت زوجكَ وهو فى قمة معاناته لهذه الأزمة فتسللت إلى دنياه كالحية الرقطاء والتفت حوله بطياتها وهصرته هصرا بعضلاتها القوية فأذهلته عن حب العمر وعن أسرته وبيته وكل ماهو جدير بالحب والاحترام فى حياته الماضية . لهذا فلا عجب فى أن يفر من الأهل والأصدقاء القدامى لأنهم رموز هذا العالم القديم الذين يذكرونه بخطيئته فى حق زوجته المخلصة وأسرته ولأنه يصعب عليه ان يبرر أمامهم هذا الذهول المفاجئ بالمبررات التقليدية كالتعاسة الشخصية وسوء معاملة الزوجة وجفاف نبع الحب فى قلبها إلخ . . ولا عجب أيضا فى أن يلتصق باصدقاء جدد لايمثلون بالنسبة له صوت الضمير ولا يحس باحتجاجهم الصامت على تصرفه ، لأن خائن العهد يفضل دائما ان يبتعد عمن يذكره بخيانته لعهده أو يدينه بها .

لكن زوجك بالرغم من أنه الجانب الضعيف المغلوب على أمره فى قصته مع تلك المرأة فإنه ليس متسرعا أو متهللا لهدم أسرته كما تتصورين بل انه متروٍ فعلا ويدرك استحالة الاستجابة كشرط تلك المرأة الجبارة بطلاقك لكنه يكرر ما يتصوره بعض الرجال الذين يواجهون هذه المحنة الحل الأمثل للاستمتاع بالحياة وهو ان يحتفظوا بالزوجة المحبة المخلصة والبيت المحترم الذى يجد فيه الأبناء رعاية الأم ، ثم يجمعوا إلى ذلك هوى القلب أو نزوته الطارئة فى عالمين متوازيين الأول لراحة النفس والضمير وتفادى الاحساس بإضاعة الابناء والتقصير فى حقهم والمظهر الاجتماعى المحترم ، والثانى لهمسات الحب وأناشيد الغرام وهو حل أنانى يعكس

مغالاتهم فى الطلب من الحياة بأن تعطيهم الحد الأقصى من كل شىء وألا تحرمهم من أى متعة وبلا خسائر أو تضحيات ، أو حرمان تفرضه عليهم الاستقامة والاحساس بالواجب العائلى والإنسانى العام .

لكن زوجك لو أزاح الغطاء قليلا عن عينيه وتفكر فى شرط تلك السيدة بان يطلق زوجة محبة فاضلة مثلك ويزلزل حياة أبناء صالحين كابنائه لكى تنال هى الأخرى الحد الأقصى من الأشياء وتتزوجه بلا أى استعداد للتنازل أو قبول الحل الوسط وهو زواجه منها مع احتفاظه بأسرته، لرأى فيه قسوة لا إنسانية وانانية مخيفة خليقة بأن تثير الرعب فى قلبه من معاشرتها وربط حياته بها . إذ أنه حتى الزواج الثانى الذى يزلزل سعادة أسرة هانئة وزوجة محبة ويعرض الابناء لمشاكل هم فى غنى عنها ، لاتقبله ولا ترضى به ، فكيف إذن يطمئن لعشرة من تصمم على الاطاحة بسعادة ٤ أشخاص بغير ان تطرف لها عين لكى تقيم عش البوم الذى لا يسعد إلا فى الخرائب . . وهل هذا هو الحب الحقيقى الذى يشقى بانه لم يتوجه بالزواج؟

إن الحب الحقيقى تضحيات متبادلة بين الطرفين وحرص مشترك على عدم تكليف كل طرف بما لاطاقة له به أو بما يؤذى اعزاءه ويدمر حياتهم فأين هو مما تطالبه به هذه السيدة ؟ . وكيف يغيب عن حكمته إدراك الفارق الجوهرى بين حبك له وصبرك على العناء والحرمان والآلام عامين طويلين بغير ان تسيئى إليه أو تشوهى صورته أمام الابناء والأهل والأقارب والأصدقاء بل ومع الحرص الشديد على الا يحس أحد بما تكتوين بلهيبه مع الأمل فى استعادته إلى حد أن تذهبى لمناشدة تلك السيدة فى مشهد ذليل

فلا يلين لك قلبها ولا تتزحزح عن موقفها ، وبين ذلك الحب المدمر الانانى الذى يجمعه بها إن كان ثمة حب من جانبها .

يا سيدتى انها مباراة حقا لكنها مباراة بين الاخلاص والوفاء والتضحية والأمومة ورعاية الأبناء وكل القيم السامية الجديرة بالاحترام وبين الأنانية والمغامرة والاستسلام للاهواء على حساب كل الاعتبارات ولابد أن ينتصر الحق والعدل والخير فى النهاية ، فإن انهزمت كل هذه المعانى الجميلة ـ وقد تنهزم احيانا مرحليا حين يشتد عمى الأعين وذهول القلب عن الفضائل ـ فازت المعانى الأخرى فوزا مؤقتا لايشرف صاحبه . . ويحصل الرابح فيه على كأس تشينه وتدينه وتبشره بما وعد به ربك المعتدين والظالمين « إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدى ويعيد » .

صدق الله العظيم

رسالة من الجـانب الآخـر !

أنا ياسيدى الوجه الآخر لرسالة « المباراة » أو أى قصة أخرى تشبهها . . فأنا المرأة التى اتهمتها كاتبة الرسالة بأنها خطفت زوجها وُطلِّقت لكى تتزوجه وتصر على رفض الزواج منه قبل أن يطلق زوجته ويهدم أسرته . . ولقد قسوت علىَّ فى ردك على رسالتها ومع ذلك فلست أكتب إليك دفاعا عن نفسى وإنما لأنى اعتز بكلماتك التى تعودت عليها كل أسبوع ، وأعرف ان ما قلته هو رأيك فى كل سيدة تقبل أن تكون الزوجة الثانية لرجل متزوج ولديه أبناء .

لكن لماذا يا سيدى نقف دائما فى صف الزوجة الأولى مهما كان خطؤها فى حق زوجها ونفسها ونلتمس لها الأعذار دائما وننسى فى نفس الوقت إن الإنسان إنما يعيش حياة واحدة وان هذه الحياة مهما طالت قصيرة . . وهل كتب على كل رجل اخطأ فى اختيار شريكة حياته ان يعيش معها عمره كله شقيا وتعيسا ؟

لقد اتهمتنى صاحبة الرسالة بأنى نسجت خيوطى كالعنكبوت حول زوجها وهى لاتعرف كم عانيت لأبعده عنى ولأصد حبه الذى تسلل إلى قلبى بغير أن يكون لى أو له يد فيه ولم تسأل نفسها وماذا فى زوجها من مغريات لكى أنسج خيوطى حوله وقد كنت قبل حبى له أعيش حياة

رغدة فتنازلت عنها بكل سهولة وتنازلت عن كل حقوقى وكل ما كتب لى زوجى السابق من أموال لكى أكون بجانبه ونبدأ معا من جديد حيث إنه لايملك شيئا ولا يشغل مركزا مرموقا ـ كما قالت ـ وليس لديه ما يغرى امرأة « لعوب » كما وصفتنى زوجته بنسج خيوطها حوله نعم ليس عنده شىء من ذلك لكنه غنى بصفات أخرى لا تقدر بمال احببته من أجلها هى الوفاء والأمانة والاخلاص والصدق ، وهذه الصفات هى نفسها سبب مشاكله حاليا مع زوجته فلأنه صادق فقد رفض أن يعيش معها وقلبه ملك لأخرى ولأنه أمين فقد رفض ان يتزوجنى دون علمها مع أنى كنت على استعداد لتقبل هذه التضحية من أجله وأجلها ومن أجل أولاده ، كما أنى لم اصر على طلاقها كشرط لزواجه منى كما تصورت بل إنه هو الذى أصر على ذلك لأنه يعرف تعاليم دينه ويعلم أنه إذا تزوجنى مع احتفاظه بها فلن يستطيع أن يعدل بيننا ورفض ان يظلمها ظلما مستمرا ، وفضل ان يظلمها مرة واحدة بدلا من أن تظل تتألم فى كل مرة تراه عائدا إليها من عندى !

لقد قررت ان أطلعك على الوجه الآخر للزوجة الثانية حتى لاتظلمها دائما وأرجو أن تصدق أنى وزوج كاتبة الرسالة لم نحاول الاقتراب من بعضنا البعض ، وإنما حاولنا مرارا ان نتباعد وان نقتل تلك العاطفة التى نمت بيننا لكنه القدر الذى قدره الله علينا فجعل كلا منا لا يستطيع الحياة بدون الآخر . . وإذا ضحينا وقاومنا حكمت الحياة علينا التعاسة والشقاء نحن ومن حولنا ، ذلك أنى لم اكن استطيع ان أحيا مع زوجى السابق وقلبى ملك لشخص آخر أراه كل لحظة فى خيالى فاخترت الطريق الصعب

وحصلت على الطلاق ، وهو لم يكن يستطيع اسعاد زوجته وهو يرغب بصدق فى الزواج منى ، وكل ذلك لا سلطان لنا عليه لأنه من أمور القلب الذى وضعه الله فى صدر كل إنسان وسواء أكان ردك معى أو ضدى فانى أهديك التحية واشكرك على رغبتك فى التخفيف عن قرائك .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : ترددت فى نشر رسالتك متخوفا من أن ارتكب جريمة « تحسين الخطأ » أو تبريره ، وهو هدف أحرص عليه فى بريد الجمعة مقدماً فيه الاعتبارات الخلقيةعلى كل الاعتبارات لكنى بالرغم من ذلك قد ملت إلى نشرها لكى نطلع معا على منطق الرأى الآخر عسى ان يزيدنا ذلك فهما أكثر للحياة وقدرة أكبر على التعامل معها ، وتعليقى على رسالتك يا سيدتى هو ان شقاء البشر قد ينجم احيانا عن تعارض الوسائل التى يلتمسون بها تحقيق سعادتهم فسعادتك مع شريكك فى تلك القصة تتعارض تماما مع سعادة زوجته وأبنائه كما تعارضت مع سعادة زوجك السابق وابنائك إن كان لك أبناء منه ، فإذا ما طلب كل إنسان سعادة بغير ان يتوقف طويلا للتفكير فيما استلب من سعادة الآخرين أو من وطأهم بأقدامه بلا رحمة وهو يهرول إلى سعادته الخاصة ، فان الحياة حينئذ تتحول إلى غابة لاينال السعادة فيها إلا الأقدر على اغتصاب أسبابها . . وإلا الأقل تفكيرا فى انعكاس سعادته تلك على شقاء الآخرين ، لهذا فلابد دائما من ضوابط تجعل الخروج على مألوف الحياة امرا لا يمكن التسليم به بسهولة ، ولابد أيضا من ان يبذل كل إنسان عادل غاية جهده فى ألا يكون طريقه إلى سعادته مفروشا بالضحايا من الجانبين ، فإن فعل فقد حمى سعادته من ظلم الآخرين وانتظارهم لانتقام السماء ممن

ظلمهم ، وان لم يستطع ان يفعل وبعد مجاهدة طويلة للنفس فليتجمل وليحاول ان يقلل بأقصى ما يستطيع مما يسببه للآخرين من آلام . . وبشرط ان يرضى ربه وضميره وان يقتنع اقتناعا صحيحا كاملاً بأنه لم يكن أمامه بديل لما اختار إلا الضرر الأكبر وهو ضرر الاثم والخطيئة .

بهذا فقط تستقيم الحياة . . ويظل الخروج على قوانينها هو الاستثناء الذى لانسلم به إلا للضرورة القصوى ، أما استسلام الإنسان لأهوائه بلا مقاومة . . وانقياده الأعمى لهوى القلب بغير مغالبة للنفس ، واستسهاله كل مايحقق سعادته الخاصة بغير وضع سعادة الآخرين فى الاعتبار ، بمنطق الحياة القصيرة التى لايعيشها الإنسان إلا مرة واحدة ، فإنه لايثمر إلا الإضطراب والتفسخ والمزيد من الضحايا الذين لا ذنب لهم فى تقلبات الأهواء ، بل إنه لايثمر أيضا سعادة حقيقية مبرأة من الإحساس بالذنب أو سلاما نفسيا أو اطمئنانا حقيقيا للأيام . ذلك أن من لايهتم بالآخرين هو أحق الناس بمعاناة شدائد الحياة ، كما يقول عالم النفس النمساوى أدلر .

ولايقتصر هذا الرأى على الزوج الذى يستسلم لهوى القلب بلا تردد أو توقف أمام مصلحة ابنائه وزوجته ، وإنما يشمل أيضا الزوجة التى تضحى بسعادة ابنائها بلا مراجعة جادة للنفس واستسلام لنفس الهوى ، كما يشمل أيضا الزوجة التى قد تساهم فى اضعاف مقاومة زوجها لعواصف القلب الخارجية بجفائها له وانانيتها معه وانشغالها بنفسها التى تراها مركز الكون ناسية أن العطف إنما يورث العطف وان البغضاء إنما تورث البغضاء ، فإن اتفقت معك بعد ذلك فى شىء فهو فقط فى ان الزوجة إذا أصبح قلبها أسيرا لغير زوجها واستنفدت كل الوسائل لمقاومة

ذلك ، فإن الأكرم لها عملا بمبدأ أهون الضررين هو ان تنفصل عن زوجها حماية لنفسها من إثم الخيانة . وعملا بنفس هذا المبدأ الشرعى ومن باب الاستثناء الذى لا أسلم به إلا للضرورة القصوى فانى أرى لك بعد ان جرى ما جرى ولم يعد فى الإمكان سوى تقليل الخسائر بقدر المستطاع ان تحثى زوج كاتبة الرسالة على ألا يطلق زوجته ما دامت راغبة فى استمرار الحياة معه ومادامت تقبل بهذه التضحية الجسيمة حرصا على أبنائها فهى المضحية ولست أنت ، ذلك ان منطقه فى الاصرار على طلاقها على غير رغبتها قبل ان يتزوجك وبدعوى انه يعرف دينه ويعرف إنه لن يعدل بينكما لهذا قد آثر ان يظلمها مرة واحدة بدلا من أن يظلمها باستمرار ، هو بالفعل منطق خاطئ ، ولا ينم عن معرفة حقيقية بدينه ، فشرط العدل الذى قيد به الإسلام الزواج من أكثر من زوجة إنما ينصرف فى رأى الفقهاء إلى العدل بين الزوجتين فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن والنفقة والمبيت، وقد حظر الله على من لايثق فى قدرته على الوفاء بهذه الحقوق بالعدل الزواج من أكثر من واحدة ، أما الميل الذى حذر منه الرسول الكريم فى حديثه الشريف : « من كانت له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر أحد شقيه ساقطا أو مائلا » فانما يعنى به انتقاص تلك الحقوق لاحدى الزوجتين لا ميل القلب لواحدة . فالعدل فى ميل القلب يدخل فى دائرة العدل الذى لايستطيعه أحد وقد عفا عنه الله وسامح فيه عباده رحمة بهم وادراكا من خالقهم لاستحالته فكان الرسول الكريم يقسم بين زوجاته ويعدل ، ثم يدعو ربه قائلا : اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك قاصدا بذلك ميل قلبه لإحداهن .

وبالتالى فإن شريكك يستطيع ان يحتفظ بزوجته وان يحفظ على أبنائه شكل الأسرة مادام عاجزا عن رد نفسه عن هواها ، بغير ان يخشى ربه إن لم يعدل فى هوى القلب وبشرط ان يعدل فى كافة الحقوق الأخرى لكنه لايريد فيما يبدو ان يتحمل حتى هذه التكاليف النفسية لسعادته التى يطلبها معك ويريد ان يشرب رحيق السعادة صافيا من شوائب بعض المعاناة النفسية مع زوجته وأنت فيما اظن لا تضغطين عليه لقبول ذلك ولو فعلت لما تردد . . فافعلى يا سيدتى وتخلصى أنت أيضا من رغبتك فى ارتشاف الرحيق بغير شوائب واعتبرى ذلك قربانا تقدمانه على مذبح سعادتكما عسى ان يخفف بعض آلام ضحاياها ولا تترددا فى قبول الشوائب الضرورية . . إذ أى الناس تصفو من كل الشوائب مشاربه ؟



حبل الحياة!

أنا سيدة فى الثالثة والأربعين من عمرى ومن أسرة صعيدية توقفت ، مضطرة ، عن الدراسة بعد السنة الأولى بكلية التجارة لأتزوج من شاب صعيدى مثلى كان يكبرنى بسبعة عشر عاما وقد أحببته بكل عواطفى المختزنة وقررت أن أكون سعيدة فى حياتى فسعدت معه رغم عصبيته المرضية وتقلبه وثوراته . وكان طموحه ضاريا ونشاطه هيستيريا ووقته وأعصابه مكرسين نهائيا لعمله فأصيب فى أولى سنوات الزواج بارتفاع الضغط ثم بذبحة صدرية ثم بجلطة فى المخ أدت إلى اصابته بنوبات الصرع ، ورغم ذلك فلقد كانت حياتنا رغم المخاوف والآلام سعيدة . . وقد أحسست بأن عمل زوجى يستغرق كل وقته واهتمامه فأقنعته بجهد كبير ان يسمح لى باستكمال دراستى بكلية التجارة عن طريق الانتساب وحصلت على البكالوريوس وترقى هو إلى درجة وكيل الوزارة خلال ٧ سنوات فقط من الزواج وكان فى الدرجة الخامسة حين تزوجته وأصبحت استمتع حين يقرأ علىّ مذكرة أو يسألنى عن رأيى فى تأشيرة واكسبتنى مشاركتى له فى اهتماماته خبرة ومتعة .

وكانت نوبات الصرع القاسية تهاجمه كثيرا فكرست حياتى للإهتمام بصحته وتعلمت كل ما استطعته من شئون التمريض وقياس الضغط

والحقن والعلاج النفسى بالايحاء وخاصة بعد ان ازدادت معاناته من تصلب الشرايين ، وكان همى دائما أن أكون الأم الحنون الصبورة التى تجعل من حضنها ملاذًا لذلك الزوج الممتحن بالبلاء والشدة .

ثم ذات يوم اتصل بى مدير مكتبه وابلغنى ان زوجى مصاب بالنوبة فى مكتبه فاصطحبت ابنتى معى وذهبت إلى مقر عمله . . فوجدت الله قد استرد وديعته من قبل أن يتصل بى مدير مكتبه . وكان عند رحيله فى الخمسين من عمره وتجرعت احزانى صابرة وفوجئت بعد وفاة زوجى بديون رهيبة لابد من سدادها . . ولم أكن أعلم قبل رحيله شيئا عن أحواله المالية أو ممتلكاته كعادة بعض الرجال الشرقيين وكنت خلال سنوات مرضه الأخيرة قد درست الأدب الفرنسى لأهرب من توترى العصبى الذى أدى إلى اصابتى بكثير من الأعراض النفسية الجسمية كالقئ العصبى والمغص الكلوى بسبب تقلص عضلات الكلى اللا إرادى . . إلخ ، وحصلت على دبلوم فى الأدب الفرنسى فقررت النزول إلى العمل لسداد الديون التى تحاصرنى وحاربت بشراسة حتى حافظت لابنى وابنتى على أرضهما الزراعية ضد محاولات شرائها بأبخس الأثمان وتمكنت خلال عام واحد من العمل المضنى المتواصل من سداد كافة الديون ، وواصل الأبناء دراستهم فى أرقى المدارس ، وكان ابنى الوحيد متخلفا فى الدراسة رغم ذكائه لأنه كان عند رحيل أبيه فى أشد الحاجة إلى السند الذى يستند إليه مراهق مثله فى الثالثة عشرة من عمره ، فتعثر فى الدراسة واعاد امتحان الثانوية العامة ٣ مرات ، وواجهت مشاكل الدروس الخصوصية ومشاكل المراهقة السخيفة من دروشه وذقن طويلة وجلابية فوق البنطلون إلى الدسكو وركوب الموتوسيكل

والجماعات الدينية ! وواجهت الواقع بلا مكابرة واقنعته بأن الفشل الدراسى لا يعنى بالضرورة الفشل الاجتماعى ، وسعيت عن طريق معارفى لإلحاقه بعمل فى أحد الفنادق ووفقنى الله فى ذلك ونجح تماما فى هذا المجال لأنه اجتماعى وذكى وخدوم وشهم « وبكَّاش شوية » وكلها مواصفات ملائمة للنجاح فى مجال السياحة والفنادق .

أما ابنتى فكانت متفوقة فى الدراسة وتخرجت فى كلية الهندسة قسم مدنى لكنها لم تجد عملا فاستطعت ان اعثر لها على عمل كمدرسة رياضة حديثة بمدرسة اجنبية ولم اتردد فى ذلك وفقا للقاعدة التى أؤمن بها فى حياتى وهى ان لم يكن ما تريد فأرد ما يكون ، وهى والحمد لله سعيدة جدا بعملها لأن قدرتها على العطاء كبيرة . وواجه ابنى أزمة احتراق الفندق الذى كان يعمل به وعُرض عليه العمل بفندق كبير باحدى الدول العربية وقرر السفر إليها فلم اعترض على سفره رغم ألمى كأم وأرملة ترى دائما فى ابنها البديل الطبيعى لرجل الأسرة الذى طواه الموت . لكننى تعودت معهما دائما على الديمقراطية وحرية الاختيار مع تحمل المسئولية التى تترتب على ذلك .

وتسألنى بعد ذلك ما المشكلة وأنا فيما يبدو راضية بأقدارى واتعامل مع مشاكلى بواقعية ، فأقول لك انى درست الكمبيوتر لمدة سنة ودرست إدارة الأعمال باللغة الانجليزية فى الجامعة الأمريكية واكملتها بالمراسلة . . وعملت بالقطاع الخاص فى شتى المجالات . فكانت مشكلتى دائما هى انى لا استقر طويلا فى أى عمل لسبب بسيط هو اننى جادة واعتز بجذورى الصعيدية وافخر بسمعة زوجى وبثقته فىَّ واتذكر له دائما عبارته

التى كان يقولها لى بلهجته الصعيدية الطيبة سعيدا : « انت لو زرعوك فى فدان رجالة لا أخاف عليك منهم » ورغم انه قد غاب عن عالمنا منذ ١٠ سنوات فمازالت عبارته ترن فى أذنى لهذا فإنى أجد العمل والترحيب بقدراتى وامكانياتى سريعا لكن المشكلة هى أنى بعد فترة من التحاقى اشعر بأن مديرى لايكتفى بجهودى المستميتة فى العمل كسكرتيرة تنفيذية وانما يطمح إلى بعض الترفيه الذى قد يجده فيمن هن أقل علما منى وأكثر مرونة فإما أن يجبرنى على الاستقالة أو يصارحنى بذلك إذا كان وقحا ، والنتيجة واحدة ، وهى تركى العمل بعد قليل . لقد أصبحت اشعر بأن تضاريس انوثتى ووضعى كأرملة مقبولة الشكل مع طبيعة عملى كسكرتيرة تنفيذية يخلط البعض خطأ بينها وبين المحظية ، تقف كلها ضد نجاحى فى العمل واستمرارى فيه لفترات طويلة.. ولم يكن فى ذلك جديد يستعصى على لكن الجديد هو أنى قد وجدت نفسى فجأة بعد آخر تجربة مماثلة مع رجل أعمال غير مصرى . . طريحة الفراش بلا مرض لا أنام ولا أريد مغادرته وقد تجمعت أمامى فجأة كل معاناة السنوات المريرة التى كنت أموت خلالها واقفة فى صمود لأؤدى رسالتى كزوجة وام وامرأة عاملة تحاول الحفاظ على مستوى معيشة ابنائها وفقدت كل قدرة على مواصلة الكفاح من جديد أو البحث عن عمل آخر .

وبالرغم من أنى أستمتع بصداقات إنسانية وفية إلا أنى أرفض الآن مشاهدة أى إنسانة ولا أرغب فى الحديث مع أحد وتتوالى على باستمرار مشاهد حياتى كأنها شريط من الأحزان والآلام المتوالية فلا أرى فيه نقطة واحدة من الراحة أو الاحساس بالأمان .

اننى أحاول بعنف أن انتشل نفسى من هذا الاكتئاب وقد قررت الدراسة من جديد بالجامعة الأمريكية . . واذهب احيانا إلى مرضى الأورام لمحاولة تقديم المساعدة لهم بخدمتهم وأحاول زيارة كل كبار الأسرة وتحمل تصلب شرايينهم ربما شوقا لأيام زوجى التى اعتبرها أجمل الأيام .

ولست اكتب بحثا عن عمل وإنما بحثا عن تحليل لما يجرى لى الآن من خلال خبرتك بالحياة ذلك انى اشعر اننى لا أكاد اتعرف الآن على نفسى ولم تعد لى رغبة فى شىء سوى فى الراحة الأبدية ، وافسر حالتى أحيانا باقترابى من سن اليأس وافسرها احيانا بأن لدى طاقة عقلية كبيرة فى حاجة لاستخدامها لكى يتحقق التوازن النفسى ، لكن كل هذه التفسيرات لاتخرجنى من حالة عدم الرغبة فى الحياة إلا لساعات معدودة ثم أعود إلى حالتى الأولى من جديد . . لقد كنت دائما مرحة متفائلة امتص احزان الآخرين لكننى الآن لا أكاد ابتسم أو اتحدث فاين المفر من مصير ارتعد من تصوره وهل لابد من الطبيب النفسى . . وما هى نصحيتك لى ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : إن الإنسان فى ضعفه يكون أقل مقاومة للمرض العارض منه إذا أصابته عدواه وهو فى تمام قواه وصحته . وواضح يا سيدتى ان محنتك الأخيرة فى العمل مع رجل الأعمال غير المصرى وما انتهت إليه من نهاية تقليدية قد صادفتك وأنت فى حالة ضعف نفسى مما قد ينتاب الإنسان العادى لأى سبب من الأسباب بالإضافة إلى مصادفتها لك وأنت تواجهين ما يفضل الأطباء تسميته بأزمة منتصف العمر التى تحدثت عنها فى الأسبوع الماضى فأدى ذلك إلى تسلل بعض أعراض

الاكتئاب إلى نفسك . وقد تمثلت هذه الأعراض فى فقد الرغبة فى مواصلة الكفاح . . وفى التوقف لاستعراض شريط حياتك السابق وما يزخر به من مشاهد الألم والمعاناة مع مرض زوجك الراحل التى حذفتُ معظم تفاصيلها مراعاة لمشاعر البعض ، فانتابك الهاجس الذى قد يهجس لإنسان أمضى معظم سنوات حياته فى المعاناة والصمود والخوف من المجهول فيسأله : أما آن للمحارب ان يستريح يوما واين يجد الراحة فى دنيا ليس من طبيعتها ان تسمح بالراحة المثالية لأحد من البشر يتحمل مسئوليته ومسئولية الآخرين معه . . إلا فى تلك الراحة الأبدية التى لا كفاح بعدها ولا معاناة ! فتتوجه النفس التى تهفو للسعادة إلى التماسها ، ومن هنا تأتى خطورة هذه الفكرة الاكتئابية ، ذلك ان فقد الرغبة فى مواصلة العمل والكفاح يستتبعها غالبا واذا لم يستنهض الإنسان كل قواه للمقاومة . . فقدُ الرغبة فى الاستمرار فى الحياة . . . وهو ما يسميه الأطباء بفقد ارادة الحياة .

لهذا فلابد ان تقاومى بكل قواك السقوط فى هاوية الاكتئاب النفسى ولابد وان تستنفرى إرادتك الحديدية لدفع شبحه عنك . . بالعودة لمواصلة الكفاح والاقبال على الحياة وتقبل مصاعبها بروح التحدى التى واجهتها بها من قبل ، وأنت سيدة عظيمة وجديرة بكل شىء طيب فى الحياة وقد تعاملت مع كل الصعوبات التى واجهتها فى حياتك بواقعية حكيمة . . وبإرادة قوية للسعادة . . فتواءمت مع التقلبات المزاجية الحادة لزوجك الراحل ثم مع ظروفه الصحية القاسية .

و «قررت» السعادة فسعدت بحياتك معه رغم آلامها ومازلت تحتفظين

له ولها بأجمل الذكرى ، وتعاملت مع مشاكل الحياة والأبناء والصعوبات التى لامفر منها بحكمةوفهم ورضا بالأمر الواقع مع محاولة لتحويله إلى واقع مرض ومقبول ، فلم تجعلى من فشل ابنك الدراسى نهاية للحياة والنجاح بالنسبة له وإنما دفعته لتحقيق نجاحه فى مجال آخر يتفق مع قدراته وميوله، وتعاملت مع عجز ابنتك عن العمل كمهندسة بدفعها لاثبات نجاحها فى مجال آخر سعدت به وحققت فيه ذاتها ، وحققت نجاحك الدراسى الخاص وضاعفت من مؤهلاتك العلمية وقدراتك كامرأة عاملة ناجحة بإرادة من حديد .

وتمسكت بقيمك وأخلاقياتك ووفائك لذكرى زوجك الراحل فى مواجهة الأعاصير والمضايقات . . فكيف لا تكونين بعد كل ذلك راضية عن نفسك وسعيدة بها لمجرد أن البعض يسىء فهم ظروفك أو عملك ؟ انهم هم من يستحقون معاناة هذا الاحباط ولست أنت . .

وما تتصورينه عقبة فى طريق نجاحك العملى هو بكل تأكيد من مميزاتك لدى الآخرين الأسوياء وهم الأغلبية وليسوا الأقلية كما تتصورين أو كما يوحى لنا بذلك ـ خطأً ـ انتشار بعض صور الشر فى الحياة . . وجديتك هذه واحترامك لنفسك وقيمك الخلقية هى نفس المؤهلات التى ستفتح لك الأبواب من جديد حين لايصح إلا الصحيح !

وأنت كما يبدو لى من المهتمين بالدراسات النفسية ولعلك قد قرأت عن فلسفة « كما لو » التى ينادى بها عالم النفس وليم جيمس حين ينصحنا بأن نبدو كما لو كنا شجعانا فتواتينا الشجاعة ، وان نتصرف كما لو كنا سعداء فتغمرنا السعادة إلخ وهى فلسفة يقرها علم النفس الحديث ويؤمن بها ،

بل انك قد عملت بها فى بعض فترات حياتك . . فلماذا لاتقررين مرة أخرى ان تكونى قوية فتواتيك من جديد القوة . . وألا تملى الكفاح فتعاودك الرغبة فيه مرة أخرى . . إلخ .

يا سيدتى الفاضلة ان فى أساطير اليونان أسطورة تقول ان ربات الأقدار يفتلن حبل الحياة من خيوط بيضاء وخيوط سوداء وان هذا الحبل لايخلو ابدا من الخيوط السوداء لكن اقدار الناس معه تتفاوت فى عددها فيكون اللون الأبيض أحيانا هو الظاهر على السطح أو الآخر هو الواضح فيه للعيان ، لكن المحصلة هو ان هناك دائماً خيوطا من اللونين ينسجان معا ذلك الحبل ، وعلى الجميع ان يرضوا بما وزع على حبالهم من اللونين ، ولاشك أنك قد نلت الكثير من ذلك اللون الآخر فى قصة حياتك وكفاحك مع زوجك وابنيك . . وآن الآوان لأن يغلب اللون الأبيض الساطع على حياتك بإذن الله . . فهل يكون من العدل ان يأتينا حين يجيء دورنا معه فى نفس الوقت الذى نكون قد فقدنا فيه رغبتنا فى الاستمرار فى الحياة ومواصلة المشوار ؟

لا . . ليس ذلك من العدل ياسيدتى . . فانهضى من فراشك واستشيرى طبيبا يعينك على مقاومة الاكتئاب واجتياز بعض الاعراض الجسمية والنفسية التى تصاحب أزمة منتصف العمر . . وتذكرى ان الأزمة إنما تعنى التحدى وان التحدى يستفز الارادة لقبوله والانتصار عليه . . وأنت لاتنقصك الإرادة ولا الإيمان بالله والرضاء بقضائه وقدره فاستنصرى الله ينصرك ويأتيك خيرا عميما ان شاء الله .

الصمـت المقهـور !

لا أعرف كيف أبدأ هذه القصة المؤلمة . . انها ليست قصتى لكنها قصة شقيقى ولست على يقين مما إذا كان سيغضب منى حين يقرؤها أم سيقدر لى اخلاصى له واشفاقى عليه من أن يعانى ذات يوم من عذاب الضمير الذى أعانى منه أنا الآن مع أنى لست طرفا فى المشكلة . . لقد قررت ان اكتب إليك لعلى استريح . . ولعل شقيقى حين يقرأ رأيك يجد فيه الحل الذى يرضى كل الأطراف . . ويعيد للجميع الثقة فى إنسانية الحياة .

إن القصة باختصار يا سيدى هى ان شقيقى عمره ٤٨ سنة ومتزوج منذ حوالى ١٧ عاما وله من زوجته أربعة ابناء صغراهم فى الرابعة من عمرها . ولقد كان يحيا حياة طبيعية مع زوجته السيدة الفاضلة التى تقوم بواجباتها على خير ما يرام إلى ان مرضت ـ شفاها الله ـ منذ ٣ سنوات بذلك المرض اللعين ومرت بمراحل علاج كثيرة ومؤلمة حتى وصلت إلى المرحلة التى لم يعد بعدها إلا انتظار رحمة الله . . واستسلمت زوجة شقيقى للفراش وأصبحت عاجزة عن الحركة . ولظروفها الصحية المؤلمة هذه فقد أصبحت تقوم على خدمتها وخدمة ابنائها وزوجها شقيقة لها فى الثلاثين من عمرها لم تتزوج ومن هنا بدأت المشكلة . . فشقيقى قد شقّت عليه ظروف حياته وطول فترة مرض زوجته . . والظروف المحيطة به واحتياج

ابنائه المستمر إلى وجود خالتهم بجوارهم فقرر ان يطلق زوجته ويتزوج من اختها بحجة رعاية الأبناء وبحجة أنه لايستطيع فى هذه المرحلة من العمر ان يعيش بلا زوجة . ولما كان لايستطيع شرعا ان يجمع بين الاختين . . إذن فلا مفر من أن يطلق زوجته . . ثم يتزوج من شقيقتها ! ، هذا هو الحل الرهيب الذى توصل إليه شقيقى والغريب إنه ليس هاجسا أو خاطرا طرأ له بسبب ظروفه غير الطبيعية . . لكنه تفكير جدى يريد ان يحوله إلى حقيقة أما الأغرب فهو ان أسرة زوجته هى التى عرضت عليه هذا الحل المؤلم على أساس ان الشقيقة أولى من غيرها برعاية أبناء اختها ورعاية زوجها. . وأما مايثير الدهشة فهو ان هذه الأخت سعيدة بهذا الحل الغريب ورفضت عرسانا تقدموا إليها انتظاراً لزوج اختها ! فهل تصدق ذلك ؟

إننى شخصيا ليست لدى اية اعتراضات على شخصية الشقيقة . . لكننى لا اتصور ان تجد زوجة أخى نفسها فى هذا الموقف المؤلم فى نفس الوقت الذى تعانى فيه من آلام جسمانية رهيبة تتضاءل إلى جانبها كل متاعب الحياة ولا استطيع ان اقتنع أو أتخيل ان هناك مبررا مهما كان ضروريا . . يبرر لأخى وأسرة زوجته ان تضيف إلى عذاب ابنتهم مع آلام مرضها عذابا نفسيا مضاعفا حين نحكم عليها بأن ترى زوجها واختها معا كزوجين . . وتجد نفسها وقد أصبحت كما مهملا مهما حرصت اختها على ألا تقصر فى رعايتها لأنها مهما حرصت ومهما فعلت فسوف تشغلها عنها بعض الشىء اهتمامات أخرى ستدخل حياتها بعد زواجها من زوج شقيقتها . . فكيف يسامحنا الله إن أضفنا إلى عذاب هذه السيدة

البائسة . . بدلا من ان نخفف عنها ؟

لقد حاولتُ مع شقيقى كثيرا ان ينتظر إلى ان ينفذ قضاء الله ثم يفعل بحياته بعد ذلك ما يشاء ، لكنه جدَّ جديد فى الأمر ذهبت معه كل محاولاتى عبثا . . فقد حصل شقيقى على عقد عمل فى إحدى الدول العربية وقرر ان يقدم على ما يريد ويطلق زوجته المريضة ويتزوج شقيقتها ثم يصطحب الاثنتين معا والأبناء إلى مقر عمله بتلك الدولة ، وأنا فى أشد الحيرة والألم لما تطورت إليه الأمور فى هذا الاتجاه المؤلم وأسألك : هل يجوز هذا شرعا . . وان جاز شرعا فهل يجوز إنسانيا . . وهل إلى هذه الدرجة تحولت « الواقعية » فى حياتنا إلى قسوة يمكن ان نصدر بهاحكما بالموت على إنسانة وهى على قيد الحياة . . أم ترى أننى مخطئة فى أفكارى واوجاعى هذه . . وان ما يجرى هو الصواب والأمر الطبيعى هذه الأيام . . أو على الأقل فى هذه الظروف ؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : منطق الرحمة والإنسانية لا علاقة له بما يجوز . . ولا يجوز، فيجوز شرعا لشقيقك ان يطلق زوجته وان يبنى باختها . . ويجوز لأختها ان تصحبها معها إلى بيتها الجديد لتواصل رعايتها وخدمتها صحيا ولكيلا تحرم الأم المريضة من رؤية أطفالها أو يحرم الصغار من رؤية أمهم . . لكن هل هذا هو الحل الأمثل لهذه المحنة الأليمة ؟

إننى لن أناقش حق شقيقك فى ان يقدم على ذلك أو لا يقدم . . . فكل إنسان أدرى بنفسه وقدرته على التضحية والاحتمال . . ولعلى اتفهم احتياجاته البيولوجية والإنسانية إلى رفيقة الحياة . . واتفهم رغبته فى ان يتعفف ويحمى نفسه من مخاطر إقامة شقيقة زوجته فى بيته لفترة طويلة مع

ظروفه الخاصة وظروف زوجته وان يحميها هى أيضا من كل ذلك . . ولست ألوم أحدا ولا أعاتب أحدا ، وهو رجل فاضل لم يفكر فى التخلى عن واجبه فى رعاية أم ابنائه صحيا ومواصلة علاجها بدليل انه اختار هذا الحل العجيب وهو ان يصحب زوجته بعد ان تصبح اجنبية لتكون فى رعاية شقيقتها وبالقرب من أبنائها لكنى أقول له فقط أن من تمام نبله وإنسانيته ان يصبر على معاناته وظروفه إلى ان يأذن له الله بما يريد فيفعله مبرأ من أية شبهة نقص فى الرحمة وحسن الرعاية لشريكة حياته وأم أبنائه التى لم تقصر فى حقه إلا حين غلبها المرض على أمرها فالحق أننى اشفق عليه من حسرة المقهور العاجز عن ان يعبر عن قهره وألمه ويصرخ شاكيا منه . . حتى ولو أبدت زوجته موافقتها باللسان على هذا الزواج الآن . . وارجو له ان يسعد بحياته الجديدة حين يأذن له الله بها بقدر ما عاناه من آلام وحرمان خلال رحلة مرض زوجته وبغير وخزة ضمير واحدة تخزه من حين إلى آخر كلما تذكر نظرات زوجته المقهورة الصامتة صمتا أبلغ من كل الكلام .

فلماذا يفسد على نفسه ـ بنفاد صبره ـ أيامه القادمة بعد ان تحمل ماتحمل . لقد رفع الله درجته عنده بكل لحظة حرمان أو صبر أو ألم عاناها خلال ازمته . . فلماذا ينقص من فضله عند خالقه بهذا التعجل ؟

إن هناك حكمة بوذية تقول ان العظمة الحقيقية هى فى القدرة على احتمال المكاره ، ولقد تحمل الكثير من المكاره فما ضره لو تحمل بعض المزيد منها لكى يرضى هو عن نفسه قبل ان يرضى عنـه الآخرون . لقد ألحت على الآن وانا اكتب هذه الكلمات هذه القصة المروية عن العظيم عمر مع أنها قد تبدو بعيدة عن الموقف الذى اناقشه فى ظروفها . . لكنى لم استطع

رغم ذلك مقاومة الرغبة فى ان أوردها هنا . . فلقد روى المؤرخون ان عمرا المعروف بشدته فى الحق وقوة بأسه حتى قال عنه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليخشاه ، كان يمد موائد الطعام للناس فى المدينة ذات يوم فرأى رجلا يأكل بشماله فجاءه من خلفه وقال له : يا عبد الله كل بيمينك ، فأجابه الرجل بهدوء : ياعبد الله إنها مشغولة !. فكرر عليه عمر القول مرتين فأجابه بنفس الإجابة فسأله ، وما شغلها ؟، فأجاب : أصيبت يوم مؤته ، أى اصيبت فى غزوة مؤتة فشُلت وعجزت عن الحركة ، فجلس إليه عمر وبكى وهو يسأله : ومن يوضئك . . ومن يغسل لك رأسك . . وثيابك . . ومن . . ومن . . ومع كل سؤال ينهمر دمعه ، ثم أمر له بخادم وراحلة وطعام وبما يصلح أمره وهو يرجوه العفو عنه لأنه آلمه بملاحظته على أمر لم يكن يعرف انه لا حيلة له فيه . . وازداد الحاحة طلبا لعفوه حتى ارتفعت أصوات أصحاب رسول الله الجالسين إلى الطعام يدعون لعمر لرقته مع الرجل واهتمامه بأمره .

فهل يمكن ان يكون شقيقك أقل رقة لزوجته من العظيم عمر لهذا الرجل الغريب ؟ لقد كان شقيقك بارا بزوجته . . ويستطيع ان يكون أكثر رقة ورحمة معها اذا اختار أن يؤجل مشروع طلاقه لها وزواجه من شقيقتها إلى أن يأذن له ربه بذلك وإذا رأى أن يدع زوجته وابناءها هنا فى مصر فى رعاية شقيقتها وأسرتها وان يرحل إذا أراد إلى مقر عمله ويواصل رعاية أسرته ماديا والانفاق على علاج زوجته فى غربته إلى ان يدعوه داعى السماء للعودة فيعود ويؤدى واجبه الأخير تجاه زوجته . . ثم يختار لنفسه بعد ذلك ما يراه فى صالح ابنائه وصالحه الشخصى . . فهكذا يفعل أصحاب الرحمة . . وأصحاب الرحمة هم الفائزون فعسى ان يكون منهم . . والسلام .

الأرض الخــراب

كتبت إليك منذ فترة أحكى لك عن طفولتى التعيسة وذكرياتها المريرة فرددت على فى باب الردود الخاصة تطالبنى بأن أنسى ذكريات الماضى الأليمة وان ابتسم للحياة من جديد . . فكيف أنسى ياسيدى وكيف ابتسم وقد كنت طفلةمنبوذة من أطفال العمارة لا لشىء إلا لأنها « سوداء غطيس » ؟! لقد كان الأطفال يلعبون ويلهون ويقيمون أعياد الميلاد ويجتمعون فيها فأحاول ان ادخل إليهم فيطردوننى من حفلاتهم وكانت الأفراح تقام على سطح العمارة فأرتدى ملابسى واصعد إليه فيقف الأطفال سدًا على باب السطح ويدفعوننى بأيديهم بعيدا عن الفرح . . أما أمى فمازلت اذكر لها قسوتها علىَّ بلا مبرر ولا أنسى يوم عدت من المدرسة وجلست إلى السفرة لأتناول طعام الغداء من محشى الكرمب والبطاطس فجاءت من خلفى وفوجئت بعصا غليظة تنزل بها على رأسى فأحسست بالدوار . . وسقطت على الأرض . . ثم كبرت واحببت شابا فإذا به يقول لى أن اسرته لا توافق على زواجه منى . . لماذا ؟ لأنى سمراء ! . . وأنا حاليا أعمل فى إحدى الجهات واذهب إلى عملى احيانا وأوقع فى دفتر الحضور ثم بعد قليل اجد توقيعى مشطوبا عليه كأنى لم أعمل ولم أحضر، لقد ضقت بمن دمرونى وأنا طفلة وبمن يحاولون تدميرى وأنا شابة

فوجدت راحتى فى الانتقام منهم وفى التلذذ بأى شر يصيب أى إنسان سواء أعرفه أو لا أعرفه ، وإذا كنت أعرفه كانت فرحتى أكبر فإذا سمعت مثلا ان شخصا قد انتحر فرحت وإذا قُتل إنسان سعدت واذا سمعت عن فسخ خطبة تكون ليلة سعيدة فى حياتى حتى سفاح المهندسين فرحت به وقرأت عن جريمته الوحشية بسعادة ! أما خراب بيوت من عذبونى وأنا طفلة . . ومن اتعامل معهم فلقد أصبح هوايتى ووسيلتى إلى ذلك هو التليفون اللعين وقد بدأت بكل الأطفال الذين عذبونى زمان فعاكست آباءهم وأمهاتهم وعاكست زوجاتهم وعاكستهم جميعا وألفت قصصا وحكايات عن الخيانة الزوجية ورويتها للزوجات وللأزواج فى التليفون . . ودمرت بيوتا كثيرة ، وبعد قليل أسمع أصوات الشجار فى شقة الجارة القديمة ثم أراها تغادر بيتها غضبى إلى بيت أهلها فألتقى بزوجها واخرج معه على أساس أنى أسعى للصلح بينه وبينها فأقول له فى سياق الكلام وكأنى ادافع عن زوجته : صحيح ان زوجتك أخطأت منذ فترة لكنها تابت عن خطئها وعرفت ربها الآن والحمد لله . فيجن جنون الرجل ويوقع الطلاق بزوجته ويرقص قلبى طربا ، أما من ليس عندها تليفون من زميلات الطفولة اللاتى اشتركن فى تعذيبى ففى الخطابات الكفاية لكى ألاحقها وألاحق زوجها بها إلى ان اقضى على راحتهم جميعا وانتقم لنفسى من عذاب الطفولة ، اننى لا أعرف لماذا أعيش . . ولا لماذا خلقنا الله كبنات لكى نعيش تعيسات ولا لماذا كانت معاملة أمى لى بهذه القسوة ولماذا يعاملنى الناس بجفاء ويحاولون تدميرى ؟ لقد كنت أعمل فى إحدى الجهات الحكومية قبل عملى الحالى وكانت لى زميلة فدمرت حياتها عن

طريق التليفون وعرفت اننى المسئولة فقاطعتنى وقاطعنى كل الزملاء واضطررت لترك العمل إلى مكان آخر فلماذا يعاملنى الناس هكذا ؟ . . لقد فكرت فى الانتحار لكنى تراجعت حتى لا أموت كافرة ! ولا أعرف الآن ماذا أفعل وهل لونى الأسود هو الذى جعلنى مجرمة أم طفولتى التعيسة . . أم شبابى الذى يموت كل يوم ؟! أرجو ان تدلنى كيف اتوقف عن الانتقام لأنى أصبحت كالقاتلة سواء بسواء .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة البشعة أقول** : ولماذا تخشين الكفر حين تفكرين فى الانتحار ؟ هل يختلف ما تفعلينه الآن كثيرا عنه ؟ انك تدمرين الأسر المطمئنة . . وتحاسبين وأنت فى سن الرشد رجالا ونساء عن تصرفاتهم معك وهم فى سن الطفولة غير الواعية وترمين المحصنات الغافلات المؤمنات فى شرفهن وراميهن ملعون فى الدنيا والآخرة كما ينبئنا القرآن الكريم. وتسعدين بطلاقهن وتشتت أطفالهن . أليس هذا هو الكفر بعينه؟ وهل يختلف عقابه عن عقاب الكافر بربه وآلائه؟ اننى لا أزين لك الانتحار وحاشاى ان أفعل وإنما أرد فقط على دعوى خوفك من الكفر بأنها دعوى غير مقنعة مع ما تمارسين من خطايا ترقى إلى مستواه. وأؤكد لك إنك لم تفكرى جديا فى الانتحار ولن تفعلى لأن انحرافك النفسى ليس من الانحرافات التى تقود إليه . . فهو انحراف نفسى عدائى للمجتمع وللغير وليس موجها ضد النفس كبعض حالات الاكتئاب أو الادمان وغيرهما وإنما هو من نوع انحراف مدمن السرقة والقاتل المحترف والسادى الذى يتلذذ بإيلام الآخرين وتعذيبهم. فإذا كان الأمر كذلك فأبشرى بطول سلامة . . وبطول سعادة إجرامية بخراب البيوت وتحطيم

القلوب والنفوس . . وبطول وحدة وانعزال نفسى وعملى عن البشر حتى آخر العمر ان لم تسارعى بانقاذ نفسك من هذا المصير بطلب العلاج النفسى من نوازعك الانتقامية هذه . وهى حالة معروفة لدى أطباء النفس وقابلة للعلاج وأستطيع مساعدتك فى هذا الأمر إذا أردت فاذا رغبت فى العلاج حقا وبكل السرية المطلوبة فتفضلى بالاتصال بى ، وإلى ان يتم ذلك أرجو أن أوضح لك ان ذكريات طفولتك المريرة ليست مبررا كافيا لإيذاء الآخرين والسعى لنسف سعادتهم وحياتهم . . فكثيرون هم من عاشوا طفولة غير سعيدة فلم تخلق ذكرياتها فى نفوسهم كل هذه الرغبة الضارية فى إيلام الآخرين . . كما ان لون بشرتك ليس ايضا مبررًا مقبولا لهذا السواد النفسى الذى يتكثف داخلك ضد البشر جميعا . نأتى اذن إلى النقطة الجوهرية . . وهى عدم زواجك وتجمع ذكريات الطفولة المريرة مع احساسك المغالى فيه باليأس من الزواج لأسباب مختلفة ليس أهمها اللون ، ليثير مشاعرك ضد من نعموا بالزواج أو الارتباط قبلك فيدفعك ذلك وتحت ستار الانتقام ممن آذوك فى طفولتك لافساد زيجات من تعرفين . . بمنطق علىَّ وعلى الجميع . . وهو منطق شرير ولايقربك أبدا من أملك فى الاستقرار والحياة الطبيعية ، لأن لكل إنسان نصيبه فى الحياة وليس من العدل ان يحاسب من تأخر حظه فيها الآخرين بحظوظهم منها ماداموا لم يغتصبوا منه حقا ولم يعترضوا طريق سعادته .

أما حكاية اللون . . فهى قصة ثانوية لايتوقف أمامها المرء طويلا إذا اقتنع بشخصية الطرف الآخر وخلقه وروحه الطيبة وسجاياه . . ومشكلتك هى انك قد لبست السواد تحت جلدك وكرهت البشر ونفرت

منهم وآذيتهم فلا عجب إذن ان يبادلوك نفورا بنفور .

فطهري قلبك وأعماقك أولا من سوادهما تتفتح لك قلوب البشر المغلقة فى وجهك . ولا تحاسبى الحياة بأسرها بما صنعه معك بضعة أطفال صغار أو شاب لم يحبك فاعتذر عن الارتباط بك بذلك العذر الواهى ، أو أمّ أخطأت الطريق القويم للتعامل معك فى طفولتك ، تخففين بذلك عن نفسك ما حكمت به عليها من اغتراب وانفصال وتلتحمين بالحياة وتتبادلين مع الآخرين دفء المشاعر والصلات الإنسانية . فتنفرين تلقائيا من الخرائب التى لايسعد بها إلا البوم !

الأرض الجديدة

أنا « الأرض الخراب » . . أو صاحبة الرسالة التى سميتها كذلك لأنى كنت سامحنى الله وغفر لى اسعد بخراب البيوت وأفرح عند سماع الصراخ على ميت . . واسعى بالوقيعة بين الأزواج وزوجاتهم واتهم الزوجات فى شرفهن واتلذذ بطلاقهن وتشردهن انتقاما ممن آذونى وأنا طفلة صغيرة سوداء اللون وكانوا ينفرون من لعبى معهم ، ومن أمى التى قست علىَّ فى طفولتى ، اننى اكتب إليك الآن لأقول لك أننى بدأت خروجى من الأرض الخراب ولن أعود إليها إن شاء الله . . فقد عملت بنصيحتك بعد تفكير طويل وحاولت ان أكفر عن جرائمى فذهبت إلى الأزواج الذين هدمت بيوتهم وكفَّرت لهم عما فعلت وطلبت منهم الصفح والسماح . . وكادت «المسألة» تصل للبوليس لولا رحمة ربنا بى ولولا أنى هددتهم بالانتحار إذا فعلوا ـ وكذلك فعلت مع الزوجات ودعت علىَّ بعضهن لكنهن سامحننى فى النهاية والمسامح ربنا .

وأرجو منك أنت أيضا أن تسامحنى على ما فعلت واشكرك رغم قسوتك علىَّ فى الرد لأنى استحق كل ما قلت عنى ولأنك أخرجتنى من الظلام الذى كنت أعيش فيه ويكفى أننى بدأت الآن أعرف النوم المطمئن الهادئ لأول مرة منذ سنوات . . واطلب من الله العفو والمغفرة لكن بقيت

مسألة واحدة لم اتصرف فيها بعد هى مسألة زميلتى فى العمل التى كنت قد سعيت بالوقيعة بينها وبين رئيستنا فى العمل بالرغم من وقوف هذه الزميلة معى طوال دراستى بمعهد التعاون . . فقد قاطعتنى هذه الصديقة من ذلك اليوم ولا اعرف كيف أصلح ما فعلت معها وأرجو ان تساعدنى فى ذلك وأنا الآن أحاول ان أطهر نفسى وان انظر للحياة بأمل كما نصحتنى فى الردود الخاصة حين كتبت لك أول مرة قبل نشر رسالتى .

وإن كانت حياتى لم تتخلص بعد من كل متاعبها . . فأبى مازال دائم الشجار معى أنا وأخواتى البنات ويعايرنا دائما بأننا لم نتزوج حتى أننى ذهبت مع صديقة لى لدجالة لكى تساعدنا فى الزواج بلا فائدة وقد خطبت قبل ذلك لشاب لكن عمله لايناسبنى لأنه يعمل فى الليل وينام فى النهار وأنا أعمل فى النهار كما انى حصلت على بكالوريوس معهد التعاون بتقدير مقبول ومهنته لا تتناسب مع مؤهلى . . اننى اسير فى الطريق الذى نصحتنى به ـ وأرجو ألا تتخلى عنى . . وأن تدعو لى ربك ورب الجميع ان يسامحنى ويغفر لى وان يسامحنى الناس وينسوا لى ما فعلت بهم . . وليرحم الله أمى ويكفر عنا جميعا سيئاتنا والسلام عليكم ورحمة الله .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول** : قال أحد الصالحين : «ليس البكاء بتعصير العيون . . وإنما بأن تترك الأمر الذى تبكى ندما عليه » .

وهذا صحيح يا آنستى فان كان عزمك قد صح على أن تتحولى من أرض خراب إلى أرض صالحة تنبت الخير لنفسها وللآخرين ، فانه يصبح حقا عليك أن تتركى كل ما كنت فيه خلال جاهليتك وضلالك السابقين، وان تندمى الندم الصادق عليه بالاقلاع عنه والتكفير عما

فعلت . والتوبة الصادقة تَجُبُّ ما قبلها ويغفر الله بها لمن يشاء كل الذنوب و إن عظمت ولايبالى ، وها قد اثبتت لك الحياة ان فى الناس خيرا كثيرا لم يكن لك به ثقة من قبل . . فالأزواج الذين هدمت بيوتهم . . لم يؤذوك ايذاء حقيقيا حين صارحتهم بما فعلت وطلبت عفوهم وماكان تهديدهم لك بالشرطة إلا ضريبة هينة لم تخرج إلى حيز الفعل ولم تتعد حدود التعبير عن الضيق والغضب مما فعلت وكذلك فعلت معك الزوجات البائسات . . ولم يحجب عنك الجميع صفحهم رغم المرارة وفداحة الجريمة . . وما احسب ان زميلتك فى العمل سوف تضن عليك به هى الأخرى إذا لمست فيك تحولا صادقا ! عن كف الأذى وإلى حب الآخرين والندم على ماكان ، فاجعلى سفيرك إلى استعادة مودتها وصفحها سعيك لاصلاح ما أفسدت من أمرها مع رئيستها . . وتحملى جفاءها . . وتشككها فيك إلى ان تثبت لها الأيام عكس ظنونها . . فاسترضاء النفوس مهمة عسيرة تتطلب صبرا ومثابرة ، وما تفسده الشرور منها فى لحظات قد يحتاج إلى شهور واحيانا إلى سنوات لازالة آثاره عنها . وسيكون الفيصل دائما فى عودة العلاقة الطبيعية بينك وبين كل من تتعاملين معهم هو التزامك بالنهج القويم فى علاقتك مع البشر ومع الحياة فإذا ثابرت على الطريق وتحملت ضريبته فلابد ان تصلى ذات يوم إلى ما تنشدين من أمان وسلام وحياة سعيدة ان شاء الله . . وشكرا لك .



الفهرس

الصفحة

الصفحة



صدر للمؤلف

١ ـ اصدقاء على الورق	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٨٦ (نفد)
٢ ـ يوميات طالب بعثة	ادب رحلات	الطبعة الأولى ١٩٨٧ (نفد)
٣ ـ هتاف المعذبين	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٨٨ (نفد)
٤ ـ صديقى لاتأكل نفسك	مقالات وصور ادبية	الطبعة الأولى ١٩٩٠ (نفد)
		الطبعة الثانية ١٩٩١ (نفد)
		الطبعة الثالثة ١٩٩٣
٥ ـ نهر الحياة	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٠
		الطبعة الثانية ١٩٩٣
٦ ـ العصافير الخرساء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩١
		الطبعة الثانية ١٩٩٣
٧ ـ صديقى ماأعظمك	مقالات وصور ادبية	الطبعة الأولى ١٩٩١
		الطبعة الثانية ١٩٩٣
٨ ـ العيون الحمراء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٢
		الطبعة الثانية ١٩٩٣
٩ ـ افتح قلبك	مقالات وصور ادبية	الطبعة الأولى ١٩٩٢
١٠ ـ اندهش ياصديقى	مقالات وصور ادبية	الطبعة الأولى ١٩٩٢
١١ ـ أزواج وزوجات	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٣
١٢ ـ أرجوك لاتفهمنى	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٣
١٣ ـ رسائل محترقة	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٣
١٤ ـ وقت للسعادة ووقت للبكاء	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى ١٩٩٣
١٥ ـ نهر السعادة والشقاء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٣

رقم الإيداع ٢٠٥٦ / ٩٣

I .S. B.N 977 - 09 - 0125 - 3

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤

ص ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣